

سَأَاكَ مِنَ الْقَلْبِ

قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي الْعِلَاقَةِ الْوَجْدَانِيَّةِ
بَيْنَ الْعَبْدِ وَخَالِقِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

قال الإمام الصادق (عليه السلام) القلب حرم
الله فلا تسكن حرم الله غير الله
(بحار الانوار: ٢٥٠/٧٠ ح ٢٧)

مختارات من خطب وأحاديث
سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلته)

هوية الكتاب

اسم الكتاب : ساكن القلب

مختارات من خطب واحاديث: سماحة المرجع الديني

..... الشيخ محمد اليعقوبي (دامت ظلته)

الطبعة : الاولى

السنة : ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)..... (٣)

(وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ)^(١)

[الزمر: ٦٧] [الانعام: ٩١] [الحج: ٧٤]

معنى وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ:

أي ما عرفوا الله حق معرفته ولا أعطوه المنزلة التي يستحقها ويتميز بها عن غيره من المخلوقات، ولا أحسنوا فهم صفاته وأسمائه المباركة، ففي الآية عتابٌ وتوبيخٌ لهذا التقصير في إدراك حقوق الربوبية ووظائف العبودية أمام الله تبارك وتعالى، وبنفس الوقت تستبطن الآية الدعوة لتحصيل هذه المعرفة، مع الاعتراف بالعجز عن إدراك الحقيقة الإلهية.

روى في الكافي عن الفضيل بن يسار، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: (إن الله لا يوصف، وكيف يوصف وقد قال الله في كتابه (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) فلا يوصف بقدر الا كان أعظم من ذلك)^(٢). وفي الحديث المشهور عن رسول الله ﷺ (ما عرفناك حق معرفتك، وما عبدناك حق عبادتك)^(٣)، وهذا معنى للتكبير (الله أكبر) أي أكبر من أن يوصف، إذ ليس لله تعالى قدر، وإنما يقدر المخلوقون (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (الطلاق/٣).

(١) كلمة القيت يوم الجمعة ٧/صفر/١٤٣٧ الموافق ٢٠/١١/٢٠١٥.

(٢) الكافي: ٨٠/١ ح ١١.

(٣) بحار الانوار: ٢٣/٧١.

بل نحن عاجزون عن إدراك اسمٍ من اسمائه تعالى وصفةٍ من صفاته كالمنعم، قال الله تعالى (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) (النحل/١٨)، روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام: يا موسى اشكرني حقَّ شكري، فقال: يا ربِّ كيف أشكرك حقَّ شكرك، وليس من شكرٍ أشكرك به الا وأنت أنعمت به عليّ؟ فقال: يا موسى شكرتني حق شكري حين علمت أن ذلك مني)^(١) وهذا فضلٌ من الله تعالى وكرمٌ حين جعل الاعتراف بالعجز أداءً للحق، فإذا كنا عاجزين عن معرفة اسم من اسمائه فكيف نقدر على معرفته حق المعرفة سبحانه وتعالى.

معنى الزجر والتوبيخ في الآية:

فالاستغراب والزجر والتوبيخ ليس من عدم معرفة الخلق للخالق حق معرفته، لانهم عاجزون عن بلوغ ذلك، ولكن الاستغراب والتوبيخ من عدم سعيهم لتحصيلها بالمقدار الممكن لهم أولاً ولاستكبارهم على ربهم مع هذا العجز ثانياً.

والآية شاملة لكل الناس فكل الناس ما قدروا الله حقَّ قدره، وكان النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم اجمعين) الذين نخاطبهم بوصف (التامين في معرفة الله)^(٢) اكثر الناس اقرارا بالعجز عن معرفة الله تعالى، لان الانسان كلما ازداد معرفة ازداد ادراكا لقصوره وتقصيره وخضوعه وتذليله لله تعالى، وانما

(١) ميزان الحكمة: ٤/٤٧٣.

(٢) مفاتيح الجنان: من زيارة الجامعة الكبيرة.

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) (٥)

يستكبر الجاهل (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عُلوًّا كَبِيرًا) [الإسراء : ٤٣].

نعم كما أن الناس على درجات متسافلة في عدم إعطاء الله تعالى حق قدره كذلك هم درجات متصاعدة في تعظيم قدر الله تعالى.

فبعض الذين ما قدروا الله تعالى حق قدره أنكر وجوده تعالى وبعض أشرك به غيره بل قدّموا غيره تعالى عليه فعبدوا الغير من دون الله تعالى فهؤلاء ما قدروا ربوبيته والوهيته حق قدرها، وبعض أنكر وحيه وبعثة الانبياء والرسل وانزال الكتب فهؤلاء ما قدروا لطفه ورحمته وحكمته وعلمه حق قدرها هذه الاسماء الحسنی التي تقتضي بعث الانبياء والرسل اذ ان الله تعالى يعلم ان الانسان عاجز عن الوصول بمفرده الى الكمال والسعادة ما لم يهده الله تعالى ببعث الانبياء وانزال الكتب، وان رحمته بعباده وحكمته تقتضيان ذلك ولا بخل في ساحته فكيف ينكرون بعث الانبياء والرسل.

وبعض أنكر المعاد يوم القيامة، فهؤلاء ما قدروا عدله وقدرته حق قدرها وبعض انكر صفاته وأسماءه كالقدرة على تدبير الكون والغلبة على اعدائه، قال تعالى (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزمر ٦٧).

وقال تعالى: (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج ٧٤).

وقال تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأْتُمْ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ

ذَرَّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (الانعام ٩١) فينزّه الله تعالى نفسه عن هذه الأباطيل (سبحانه و تعالى عما يشركون)، اذ حق قدره ان يوحد في الوهيته وربوبيته وفي انه المبدأ واليه المعاد وله ما بينهما، وتنزهه عن كل نقص وانه لا يشبهه شيء كما في دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام (وتنزهه عن مجانسة مخلوقاته) ^(١).

الهيمنة اللامحدودة:

وتذكر الآية في سورة الزمر مظهراً من مظاهر قدرته فالسماوات والأرضون كلها في قبضته وتحت هيمنته اللامحدودة كما أن الورقة حينما تُطوى تكون في القبضة فهو تعبير عن التسلط التام على السماوات والأرضين، وهو كذلك في الدنيا وليس في الآخرة فقط، لكن الفرق أنه تعالى في الدنيا خول عباده ببعض الملك وأنحاء التصرفات، لكن الإنسان يأتي في الآخرة مجرداً عن كل ذلك (تَرَكَتُمْ مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ) (الأنعام/٩٤).

المؤمنون ما قدروا حق ربهم:

وننتقل الآن الى دائرة أضييق من الذين ما قدروا الله حق قدره وهم المؤمنون بالله تعالى فإنهم أيضاً ما قدروه حق قدره بأشكال عديدة، أوضحها ارتكاب الذنوب والمعاصي فإن فيها استخفافاً بحقوق الربوبية، روى إسحاق بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام حديثاً جاء فيه: (يا إسحاق خَفِ الله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن شككت أنه يراك فقد كفرت وإن أيقنت أنه

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) (٧)

يراك ثم بارزته بالمعصية فقد جعلته أهون الناظرين اليك^(١).

من أشكال (ما قدرُوا الله حق قدره):

ومن أشكال (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) عدم مراعاة حقّ من أمر الله تعالى بمراعاة حقه، كالنبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام والحجج من بعدهم، وفي موارد كثيرة اخرى وردت في الروايات.

كقوله عليه السلام: (ومن لم يوقّر القرآن فقد استخف بحرمة الله)^(٢)، ومن مصاديق عدم توقير القرآن نذ احكامه والعمل بالقوانين الوضعية التي يصنعها البشر.

وقوله عليه السلام: (الا ومن استخف بفقير مسلم فقد استخف بحق الله والله يستخفُّ به يوم القيامة إلا أن يتوب)^(٣).

وفي الحديث القدسي قوله تعالى: (يا موسى إن من أعظام جلالتي إكرام عبدي الذي أنلته حظاً من حطام الدنيا عبداً من عبادي مؤمناً قصرت يده في الدنيا، فإن تكبر عليه فقد استخف بعظيم جلالتي)^(٤).

ومن أشكال (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) الاعتقاد بأن الاسباب المخلوقة هي المؤثرة من دون الله تعالى كقول البعض (لولا فلان لما حصل كذا)، ومنها

(١) بحار الانوار: ٣٢٣/٥ عن ثواب الاعمال ورجال الكشي وقضاء حقوق المؤمنين.

(٢) البحار: ١٩/٨٩ ح ١٨.

(٣) البحار: ٣٨/٦٩ ح ٣٠.

(٤) البحار: ٢٦٧/٢٣ ح ١٢.

طاعة المخلوقين في غير ما امر الله تعالى به، أو تطبيق القوانين الوضعية في الحياة وترك القوانين الالهية وهكذا. وآية سورة الحج صريحة في ذلك فقد سبقها قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ) (الحج/٧٣) فلا فرق بين من كان في الأزمنة السابقة يعبد الأصنام طمعاً في منفعة أو دفعاً لمضرة بحسب اعتقاده وبين من يلتجئ اليوم الى المخلوقين من دون الله تعالى لنفس الغرض مهما كانت القوة والقدرة الموجودة عند المخلوقين كأمرىكا التي يسمونها (القوة العظمى) أو أي دول أو شخصيات متفرعة اخرى (ضعف الطالب والمطلوب) فهؤلاء كلهم ما قدروا الله حق قدره (إن الله لقوي عزيز) فالعزة والقدرة والعظمة لله تبارك وتعالى.

علاقة غير منصفة مع الله تعالى:

تتناول بعض الأحاديث القدسية هذه العلاقة غير المنصفة بين الناس وخالقهم، روى الإمام الرضا عليه السلام أن أباه عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله تبارك وتعالى يا بن آدم ما تنصفتني أتحبب اليك بالنعمة، وتتمقت اليّ بالمعاصي، خيرى اليك نازل وشرك اليّ صاعد ولا يزال ملك كريم يأتيني عنك في كل يوم وليلة بعمل قبيح يا بن آدم لو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تعلم من الموصوف لسارعت الي مقته)^(١).

(١) بحار الانوار: ١٩/٧٧ ح ٢ عن عيون اخبار الرضا: ٢٨/٢.

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) (٩)

هذا النقص والتقصير في معرفة الله تعالى بسبب الجهل أو التعصب أو اتباع الهوى أو التلقي من وسائل غير صحيحة وبأدوات غير طاهرة يأخذه الإنسان الى يوم القيامة أيضاً ويجادل فيه (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) [الكهف : ٥٤] فيريد أن يعرف ربه من خلال تلك القنوات المعرفية المشوّهة المملوءة بالشوائب، أي يفصل له رباً على طبق معتقداته المستندة الى الأوهام التي ذكرناها آنفاً فلو تجلى له ربه بما يليق بقدسه وجلاله فانه ينكر ربه لانه يريد رباً يصوره هو ويعرفه هو ويتناغم مع هواه، مثلاً كان في الدنيا يتعصب لشخص او جهة او كان يؤمن بعقيدة معينة او باتجاه ما واخبره ربه في الاخرة ان محبوه الذي يتعصب له وهم باطل فانه سيقول له انت لست ربي حقيقة، ولو كنت ربا حقاً لقلت لي ان هذا الشخص او العقيدة او الحالة حق، وهكذا يصرّ الانسان الجاهل بقدر الله تعالى على ربّ يوافق هواه ومعبوده الذي اتخذه ويجعله مقياساً للحق وليس بالعكس بأن يجعل للحق مقياساً للرجال ولما يعبد ويطيع^(١)، فهم يحكمون على الله تعالى بما عندهم من غث وسمين وليس العكس بأن يحكمون الله تعالى فيما عندهم، والاول هو الذي يسميه بعض أهل المعرفة بالرب المقيّد بتصوراتنا واوهامنا والثاني بالرب المطلق الذي لا تحدّه

(١) مثلاً الذين يقدّسون شخصاً معيناً فلو تجلى لهم ربهم وقال لهم ان هذا الرجل غير صالح لكذبوه لانهم لا يريدون رباً يقول عن معبودهم انه رجل مقدس فجعلوا الرجال مقياساً للحق وليس العكس، أو كالذين يقدّسون حالة معينة فلو تجلى لهم رب العزة والجلال وقال لهم هذا الفعل ليس صالحاً ولم أمر به فان هؤلاء سيقولون انت لست رباً حقاً، ولو كنت الرب الحقيقي لقلت لنا أن هذا الفعل من الدين ، وهكذا يريد الانسان رباً يوافق هواه .

اوهامنا وعقولنا واهواؤنا وهو الاعتقاد الصحيح.

وتوجد رواية يظهر منها هذا المعنى عن رسول الله ﷺ قال: (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت^(١))، وتبقى هذه الامة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: انا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: انا ربكم فيقولون: انت ربنا فيتبعونه^(٢).

فإذا أردنا معرفة الله حق معرفته فلنأخذها من أهل لها وهم أهل البيت ﷺ عدل القرآن وصنوه والقرآن الناطق، ومن ادعية أمير المؤمنين والامام الحسين والامام السجاد (صلوات الله عليهم اجمعين) والكلمات الاخرى للائمة المعصومين ﷺ.

(١) وقد يكون هؤلاء الطواغيت متلبسين بزى علماء الدين (تَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) [التوبة : ٣١].

(٢) صحيح مسلم: ٨٢، باب ٨١ معرفة طريق الرؤية، ح ٢٩٩.

أحبوا الله تعالى وحبوه يحبكم الله سبحانه ويحبكم (١١)

(يحبهم ويحبونه) ^(١) [المائدة: ٥٤]

أحبوا الله تعالى وحبوه يحبكم الله سبحانه ويحبكم

الحمد لله كما هو أهله وكما يستحقه حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأكملهم أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

حبوا الله تعالى للناس:

ورد في حديث نبوي شريف أنه توجد فئة من الناس لهم مقام رفيع يوم القيامة يغطهم عليه الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وتشرأب أعناق طالبي الكمال إزاء مثل هذه الأحاديث ويقبلون عليها بكلهم، والحديث الشريف عن النبي (ﷺ) قال: (إني لأعرف ناساً ما هم أنبياء ولا شهداء يغطهم الأنبياء والشهداء بمنزلتهم يوم القيامة: الذين يحبون الله ويحبونه إلى خلقه يأمرونهم بطاعة الله فإذا أطاعوا الله أحبهم الله) ^(٢).

فمن الغريب أنك تجد بعض الناس يتحمس في الدعوة إلى محبة حزبه أو فريقه الرياضي الذي يشجعه، أو الشخص الذي يعجبه، ويغفل عن الدعوة إلى محبة خالقه الكريم ويزهد في هذا المنزلة الرفيعة وهي منزلة قد لا يبدو من الصعب وصول الإنسان إليها بلطف الله تبارك وتعالى وتوفيقه إذ ليس عليه

(١) خطبة صلاة عيد الأضحى سنة ١٤٣٠ التي أقيمت بتاريخ ٢٨/١١/٢٠٠٩.

(٢) مجمع الزوائد للهيتمي: ١٢٦/١.

إلا أن يحبَّ الله تعالى إلى مخلوقاته.

يأمر الله تعالى النخبة من عبادة ليكونوا من الدعاة إلى محبة الله تعالى، ففي حديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (أوحى الله تعالى إلى موسى (عليه السلام): أحببني وحبيني إلى خلقي، قال موسى: يا رب إنك لتعلم أنه ليس أحدٌ أحبُّ إلي منك فكيف لي بقلوب العباد؟ فأوحى الله إليه: فذكّرهم نعمتي وآلائي فإنهم لا يذكرون مني إلا خيراً^(١)، وورد مثله^(٢) عن النبي داود (عليه السلام).

كيف تحب الله تعالى؟

وهذا الحديث يبين طريقاً لتحبيب الله تعالى إلى خلقه بتذكيرهم بنعمه التي لا تُعدّ ولا تحصى، ولا تحتاج معرفتها إلى مؤونة كبيرة، وليقم الإنسان بمراجعة لنفسه وحاله ليعرف سعة النعم، فمثلاً إذا جلس على الطعام ورأى أنواع المواد الداخلة في إعدادة، وكم بُذل عليها من جهود لتصل إليه بهذا الشكل، ولننظر في الخبز الذي هو طعام مشترك لكل الناس كيف تعب الزرّاع لإنتاج حبات القمح ثم طحنت وعُجنت وخبزت، وكل مرحلة من هذه المراحل يقوم عليها عمال ومكائن ولوازم أخرى كالوقود والماء وغيرها، فإذا تأمل الإنسان في هذه المنظومة الواسعة من النعم التي تشترك لتقدم له رغيف الخبز، أحبَّ الإنسان خالقه الذي هيأ له كل هذه الأسباب وذلل له كل الصعوبات، وإذا تأمل في الأنواع الأخرى من طعامه وشرابه فإنه سيعجز عن

(١) بحار الأنوار: ٣٥١/١٣.

(٢) بحار الأنوار: ٣٨/١٤.

أحبو الله تعالى وحبّوه يحببكم الله سبحانه ويحببكم (١٣)

إدراكها فضلاً عن استقصائها. لذلك حكي عن البعض أنه كان يبكي حينما يقدم له الطعام لما يراه من أعظم النعم.

وهذا لا يعني اقتصار النعم على المطعم والمشرب، ومن ظن ذلك فهو جاهل، فإن الله تبارك وتعالى على عبده نعماً لا تحصى على رأسها الإيمان بالله تعالى وتوحيده ونعمة الإسلام وولاية النبي وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) وقد تضمن دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفه جملة من تلك النعم من قبل خروجنا إلى هذه الدنيا، ولو تعرّف الإنسان على عجائب بدنه لرأى عجباً. في أمالي الشيخ الطوسي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (من لم يعلم فضل الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قصر علمه ودنا عذابه)^(١) فإذا علم الإنسان بعض ما أنعم عليه ربه - وهي لا تعد ولا تحصى - أحبه، لأن الإنسان مجبول فطرياً على حب من أحسن إليه، ولو أن شخصاً وقّر لآخر واحدة من نعم الله كالحياة بإنقاذه من غرق أو موت محقق أو وقّر له نعمة البصر أو السمع أو الطعام لأحبه وكان مديناً له طول حياته بذلك الإحسان. فكيف لا يحب الله تعالى الذي وقّر له كل هذه النعم.

عرفوا الله تعالى بما هو أهله من الكمال:

ومن الوسائل الأخرى لتحبيب الله تعالى إلى خلقه بيان صفاته الحسنى وتعريفه إلى خلقه بما هو أهله من الكمال فإن الإنسان ينجذب

(١) بحار الأنوار: ٦٩/٢٠.

فطرياً إلى الجمال والكمال، وذلك يتطلب معرفة فإنه لا حب إلا بمعرفة، فنحن لم نر رسول الله (ﷺ) ولا أمير المؤمنين (عليه السلام) ولا الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء والحسن والحسين والأئمة المعصومين والأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم أجمعين) ولم نعايشهم ولكنهم وُصفوا لنا بمحاسن الأخلاق واطلعنا على سيرتهم الكريمة وسمو ذواتهم ومواقفهم النبيلة فأحببناهم، أما الجاهل بهم فإنه لا يعرفهم حتى يحبهم، وهكذا العلماء من السلف الصالح (قدس الله أرواحهم) فإن العامي الذي لا يعرف قيمة إنجازاتهم العظيمة يكون حبه هامشياً مجملاً، أما العلماء الذين وقفوا على مؤلفاتهم وسبروا أغوار علومهم وعلموا قوة ملكاتهم والجهود المضنية التي بذلوها فإنهم يحملون لهم كل الحب والإجلال والتعظيم.

وهكذا إذا تعرّف الإنسان على الصفات الحسنى لخالقه أحبه، فمثلاً إذا عرف سعة عفوه عن المذنبين وقرأ قوله تعالى: [قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] (الزمر: ٥٣) وقرأ بعض الروايات في ذلك كقول الإمام الكاظم (عليه السلام) في الشاب الذي قتل مائة بريء وكان يائساً من عفو الله عنه فقال (عليه السلام): (إن يأسه من رحمة الله أعظم من قتله مائة نفس محرمة).

أو عرف سعة رحمة الله تبارك وتعالى بعباده وأنه تعالى وزع جزءاً من مائة جزء من رحمته على مخلوقاته فيها تتراحم، تصوروا أن رحمة الأمهات والآباء بأبنائهم لدى الإنسان والحيوان والمشاعر النبيلة التي تتدفق عند رؤية

أحبوا الله تعالى وحبوه يحبكم الله سبحانه ويحبكم (١٥)

مبتلى أو عاجز أو ذوي عاهة، تشكّل هذه كلها جزء من مائة جزء من رحمة الله تعالى التي لا حدود لها، والقصاص في رحمة الله تعالى وتدييره لأمر خلقه ورعايتهم عجيبة.

أو عرف كيف أن الله يستر على المذنبين والخاطئين ويحفظ كرامتهم ويصون سمعتهم بين الناس كقصة السيد بحر العلوم (قُلَيْبٍ) الذي أمره الإمام المهدي (أرواحنا له الفداء) بأن يزور رجلاً عادياً من عامة الناس ويشره بعلو منزلته لخصلة أحبها الله تعالى فيه وهي أنه لما تزوج امرأة لم يجدها باكراً فطلبت منه الستر عليها وعدم فضحها فاستجاب لطلبها قربة إلى الله تعالى. أقول: إذا تعرف الإنسان على مثل هذه الصفات لخالقه أحبه قطعاً.

التعرف على سيرة الأنبياء والرسل والأوصياء:

ومما يحبب الله تعالى إلى عباده التعرف على سيرة أنبيائه ورسوله وأوصيائهم المنتجبين وسمو أخلاقهم وطهارة نفوسهم، فإن رباً يكون رسله وسفراؤه إلى خلقه مثل نبينا الأكرم محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ويكون أولياؤه مثل علي بن أبي طالب (عَلِيِّ) لجدير بأن يستأثر بحب عباده، لأنهم يعكسون صورة عن صفات ربهم. وكمثال على ذلك أن بعض الناس يحبون مرجعية ما يقلدونها لأن وكيلها ومعتمدا عندهم حسن السيرة محبوب عندهم.

أحبوا الله تعالى ثم حبوه الى الآخرين:

ولا بد للإنسان قبل أن يحب الله تعالى إلى خلقه أن ينطوي قلبه على

حب الله تعالى، ويظهر من الآيات الكريمة والروايات الشريفة أن هذا الحب علامة الإيمان، بل لا يؤثر عليه حب غيره، قال تعالى: [قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] (التوبة: ٢٤) وقال تعالى: [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ] (البقرة: ١٦٥) وقال تعالى: [فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ] (المائدة: ٥٤).

متى يحصل الحب الإلهي؟

وروي أنه سئل رسول الله (ﷺ): (يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليك مما سواهما)^(١) وفي حديث آخر (لا يؤمن العبد حتى أكون أحبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين). ويحصل الحب لله تبارك وتعالى بعد تحقق مقدمتين، كلما قويتا قوي الحب وكُمُل:

الأولى: تطهير القلب من حب الدنيا وتهيته بتفريغه لحب الله تعالى، فإن القلوب أوعية لا تستوعب أمراً ما حتى تخلوها من غيره، قال تعالى: [مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ] (الأحزاب: ٤) وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن كنتم تحبون الله فأخرجوا من قلوبكم حب الدنيا) وعن الإمام

(١) الحديث والذي يليه تجده في مجموعة ورام (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر): ٢٢٣/١.

أحبو الله تعالى وحبوه يحبكم الله سبحانه ويحبكم (١٧)

الصادق (عليه السلام): (إذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله تعالى) ولذا وردت الوصية فيه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله).

وروي أن النبي (صلى الله عليه وآله) نظر إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال (صلى الله عليه وآله): (انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيت بين أبيه يغذونه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون)^(١).

الثانية: المعرفة بالله تعالى، فإنه لا حب إلا بعد المعرفة، ولا يحب الإنسان شيئاً يجهله؛ ويكرر القرآن الكريم كثيراً الأمر بالتدبر والتأمل والتفكير في آيات الله للوصول إلى المعرفة، قال تعالى: [سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفُرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] (فصلت: ٥٣).

وتفاوت الناس في حبهم لله تبارك وتعالى بمقدار تفاوتهم في هاتين المقدمتين، وتبعاً لذلك تتفاوت درجاتهم عند الله تبارك وتعالى.

آثار حب الإنسان لله تعالى وعلاماته:

إذا كان الحب صادقاً فإن آثاره ستظهر على سلوك الإنسان وعلاقته بالآخرين، فهذه الآثار تكون علامات على صدق الحب، ومن دون تحققها يكون ادعاء الحب وهماً:

(١) المحجة البيضاء، كتاب مقامات القلب: ١١٤.

١- طاعة المحبوب والقيام بكل ما يقربه من محبوبه ويطبّق ما يكسبه رضاه ويجتنب ما يسخطه، ففي الحديث: (قال رجل للنبي ﷺ): يا رسول الله علّمني شيئاً إذا أنا فعلته أحبني الله من السماء وأحبني الناس من الأرض، فقال ﷺ له: ارغب فيما عند الله عز وجل يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس^(١) قال الله تبارك وتعالى: [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] (آل عمران: ٣١)، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما أحب الله عز وجل من عساه، ثم تمثّل فقال:

تعصي الإله وأنت تُظهرُ حبهُ هذا لعمرى في الفعال بديعُ
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن أحب مطيع^(٢)

ولا يجتنب المحرمات فقط بل يترك المكروهات لأن الله تعالى لا يحبها.

٢- إدامة ذكر الله تبارك وتعالى، فإن المحب لا يغفل عن ذكر حبيبه ومن أحب شيئاً أكثر ذكره بلسانه أو بقلبه وعقله وأحبّ ذكر الله تعالى، عن الرسول ﷺ: (علامة حب الله تعالى حب ذكر الله، وعلامة بغض الله تعالى بغض ذكر الله تعالى)^(٣)، ودوام ذكر الله تعالى حصن الإنسان من الوقوع فيما يسخط الله تعالى ويبعد منه ومفتاح الارتقاء في الكمالات وسبب لذكر الله تعالى إياه [فَاذْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ] (البقرة: ١٥٢).

(١) بحار الأنوار: ٥/٧٠ عن ثواب الأعمال والخصال.

(٢) بحار الأنوار: ١٥/٧٠ عن أمالي الصدوق.

(٣) ميزان الحكمة: ٥١٠/١.

أحبو الله تعالى وحبوه يحبكم الله سبحانه ويحبكم (١٩)

٣- إيثار محبة الله على ما يحبه العبد، فإذا خيّر بين أمرين اختار أَرْضَاهُما لله تبارك وتعالى وإن كان على خلاف هواه وما تشتهيه نفسه، لأن المحب يؤثر رضا محبوبه على رضا نفسه ففي البحار عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (دليل الحب، إيثار المحبوب على من سواه).

٤- إنه سيحب كل من يرتبط بمحبوبه فيحب الأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم أجمعين) لأنهم مبعوثون من الله تبارك وتعالى، ويحب الأئمة والأوصياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) لأنهم منتجبون من الله تبارك وتعالى، ويحب القرآن لأنه رسالة ربه إلى عباده، عن الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) للناس وهم مجتمعون عنده: أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبوني لله عز وجل وأحبوا قرابتي لي)^(١) ويحب العلماء والفقهاء لأنهم يهدونه إلى الله تبارك وتعالى، ويحب الشعائر والمشاعر المقدسة لأنها تذكّره بالله تعالى، ويحب المؤمنين لأنهم أهل طاعة الله تعالى، عن الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك فإن كان يحب أهل طاعة الله عز وجل ويبغض أهل معصيته ففك خير والله يحبك، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحب).

٥- وإذا أحبَّ العبدُ ربَّه نشطت الأعضاء للعبادة ولم يستثقلها واستزاد منها فلم يقتصر على الواجبات، بل يكثر من المستحبات لأنها محبوبه عند الله تعالى، عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (كان فيما ناجى الله عز وجل به

(١) بحار الأنوار: ١٦/٧٠ عن علل الشرائع والأمالى للصدوق.

موسى بن عمران (عليه السلام) أن قال: يا بن عمران كذب من زعم أنه يحبني فإذا جنه الليل نام، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه، هذا أنا ذا يا بن عمران مطلع على أحبائي إذا جنهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم ومثلت عقوبتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة، ويكلموني عن الحضور، يا بن عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينيك الدموع في ظلم الليل وادعني فإنك تجدني قريباً مجيباً^(١).

٦- ومن علامات حب الله تعالى أن العبد لا يكره الموت قال تعالى: [قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] (الجمعة: ٦) في الرد على زعمهم [وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ] (المائدة: ١٨)، وكيف يكرهه وبه ينتقل الإنسان من سجن الدنيا إلى حظيرة القدس ولقاء ربه وأوليائه (وإذا علم أنه لا وصول إلى هذا اللقاء إلا بالارتحال عن الدنيا بالموت، فينبغي أن يكون محباً للموت غير فارٍ منه، فالمحِب لا يثقل عليه السفر عن وطنه إلى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته. والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة قال النبي الأكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (من أحب لقاء الله أحب لقاءه)^(٢).

نعم قد يحب الإنسان البقاء في الدنيا للاستزادة من طاعة الله تبارك وتعالى ونيل رضاه وهذا لا ينافي الحب ((وفي الخبر المشهور أن إبراهيم

(١) بحار الأنوار: ١٤/٧٠ عن أمالي الصدوق.

(٢) المحجة البيضاء للفيض الكاشاني، كتاب مقامات القلب.

أحبو الله تعالى وحبّوه يحبّكم الله سبحانه ويحبّكم (٢١)

(عائشة) قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه: هل رأيت خليلاً يميت خليله؟ فأوحى الله تعالى إليه: هل رأيت محباً يكره لقاء حبيبه، فقال: يا ملك الموت الآن فاقبض^(١).

٧- ومن علامات حب الله تعالى وآثاره أنه يسعى للاتصاف بصفاته الحسنى، فالمحب يتمثل في حياته كل حركات وسكنات بل رغبات محبوبة، كما نجد من يحب عالماً أو بطلاً فيقلّده في ملبسه ومشيته ومطعمه وحرركاته ونحوها، فالعبد إذا أحب ربه اتصف بصفاته الحسنى.

٨- ومن علامات حبّ الله تعالى حبّ عباده ومخلوقاته والرحمة بهم والشفقة عليهم لأنهم من صنع ربه وإبداعه ولأنهم رعاياه فيسعى لإسعادهم وقضاء حوائجهم وتفريج كربهم ورفع الظلم عنهم. فالذي يقابل حاجة الناس ومعاناتهم بقسوة قلب وعدم اكتراث لا يحلّ في قلبه حبّ الله تعالى.

٩- ومن علامات حب الله تعالى الرضا بقضائه والتسليم لأمره روي (إن رسول الله (ﷺ) مرّ بقوم فقال لهم: ما أنتم؟ فقالوا: مؤمنون. فقال: ما علامة إيمانكم؟ قالوا: نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء، فقال (ﷺ): مؤمنون برب الكعبة^(٢) وقال أيضاً: (إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتي أجنحة فيطرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها

(١) مجموعة ورام: ٢٢٣/١.

(٢) مجموعة ورام: ٢٢٩/١.

ويتنعمون كيف شاؤوا فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم حساباً؟ فيقولون: ما رأينا حساباً، فيقولون: هل جزتم على الصراط؟ فيقولون: ما رأينا صراطاً، فيقولون لهم: هل رأيتم جهنم؟ فيقولون: ما رأينا شيئاً، فتقول الملائكة: من أمة من أمتهم؟ فيقولون: من أمة محمد (ﷺ)، فيقولون: نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون: خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضلته ورحمته، فيقولون: وما هما؟ فيقولون: كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا، فتقول الملائكة: يحق لكم هذا^(١).

١٠- وأن يكون الحب ممزوجاً بالخوف من الإعراض أو الإبعاد أو أن يستبدل به غيره، يروى أن الإمام (عليه السلام) إذا أحرم ولبي وقال: (ليك اللهم ليك) كانت ترتعد فرائصه ويقول: أخشى أن يجينني الله تبارك وتعالى: لا ليك). وقد يكون الخوف من التوقف وعدم التوفيق لمزيد القرب من الله تعالى فيكون من أهل الحديث: (من استوى يومه فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون)^(٢).

جزاء من يحب الله تبارك وتعالى:

١- إذا أحب العبد ربه أحبه وقربه منه وأدخله جنته قال تعالى: (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)، عن الإمام الصادق (عليه السلام): (من أحب أن يعلم ماله عند الله

(١) مجموعة ورام: ٢٣٠/١.

(٢) معاني الأخبار للصدوق: ٢٤٢.

أحبو الله تعالى وحبّوه يحبّكم الله سبحانه ويحبّكم (٢٣)

فليُنظر ما لله عنده^(١) ويشرح الحديث الآخر كيفية معرفة ذلك عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (من أراد منكم أن يعلم كيف منزلته عند الله فليُنظر كيف منزلة الله منه عند الذنوب كذلك منزلته عند الله تبارك وتعالى)، وفي حديث آخر عن علي (عليه السلام) قال: (من أحب أن يعلم كيف منزلته عند الله فليُنظر كيف منزلته عنده فإن كل من خيّر له أمران أمر الدنيا وأمر الآخرة فاختار أمر الآخرة على الدنيا فذلك الذي يحب الله ومن اختار الدنيا فذلك الذي لا منزلة لله عنده)^(٢).

وروي في أخبار داود (عليه السلام) (يا داود أبلغ أهل أرضي أني حبيب من أحبني، ما أحبني أحد أعلم ذلك يقيناً من قلبه إلا قبلته لنفسي وأحبته حباً لا يتقدمه أحد من خلقي، من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني، فافرضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي ومؤانستي وأنسوني أو أنسكم وأسارع إلى محبتكم)^(٣).

٢- وإذا أحب الله عبده: وفقه لطاعته وجنبه معصيته، روي أن موسى (عليه السلام) قال: (يا رب أخبرني عن آية رضاك عن عبدك فأوحى الله تعالى إليه: إذا رأيتني أهيب عبي لطاعتي وأصرفه عن معصيتي فذلك آية رضائي)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا أحب الله عبداً ألهمه طاعته). وفي حديث آخر (إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه).

(١) الحديث وما بعده في بحار الأنوار: ١٨/٧٠ عن معاني الأخبار والخصال.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦/٧٠.

(٣) الحديث والذي يليه في بحار الأنوار: ٢٦/٧٠.

٣- وإذا أحب الله عبده: تولى أمره وتدبير شؤونه، ونصره على أعدائه، وأولهم نفسه التي بين جنبيه فلا يخذله ولا يكله إلى نفسه وشهواته، وفي الحديث عن النبي (ﷺ): (عن جبرئيل قال: قال الله تبارك وتعالى: وإن من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأكفّه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده، وإن من عبادي المؤمنين لمن لم يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك)^(١) إلى آخر الحديث.

٤- وإذا أحب الله عبده: كان دليله وسدد خطاه وأنار بصيرته وما أحوجنا إلى دليل يسدّ لنا ويميّز بين الحقّ والباطل ويبصّرنا بحقائق الأمور، في الحديث النبوي المتقدم: قال الله تبارك وتعالى: (وما يتقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتهلّ إليّ حتى أحبه، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً وموثلاً إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته)^(٢).

٥- وإذا أحبّ الله عبداً حشره مع من أحب، جاء إعرابي إلى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ فقال (ﷺ): ماذا أعددت لها؟ فقال: ما أعددت كثير صلاة ولا صيام إلا أنني أحب الله ورسوله، فقال رسول الله (ﷺ): المرء مع من أحب. قال: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام

(١) علل الشرائع: ١٢ الباب ٩، ح ٧.

(٢) وفي المحاسن: (كنت سمعته الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) (بحار الأنوار: ٢٢/٧٠).

أحبو الله تعالى وحبوه يحبكم الله سبحانه ويحبكم (٢٥)

فرحهم بذلك^(١).

ما يحبكم إلى الله تعالى:

من خلال استقراء الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تحصل على قائمة طويلة بما يحبكم إلى الله تعالى، قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ] (البقرة: ٢٢٢) وقال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنْيَانًا مَرْصُوصًا] (الصف: ٤).

ومن الأحاديث الشريفة^(٢) عن النبي (ﷺ): (ثلاثة يحبها الله سبحانه: القيام بحقه، والتواضع لخلقه والإحسان لعباده) وعنه (ﷺ): (ثلاثة يحبها الله: قلة الكلام، وقلة المنام، وقلة الطعام، ثلاثة يبغضها الله: كثرة الكلام، وكثرة المنام، وكثرة الطعام) وعنه (ﷺ) قال: (يقول الله تعالى: إِنَّ أَحَبَّ الْعِبَادِ إِلَيَّ الْمُتَحَابُونَ بِحِلَالِي الْمُتَعَلِّقَةَ قُلُوبُهُمْ بِالْمَسَاجِدِ الْمُسْتَغْفِرُونَ بِالْأَسْحَارِ، أَوْلَئِكَ إِذَا أُرِدْتُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ عِقُوبَةً ذَكَرْتَهُمْ فَصُرِفَتِ الْعِقُوبَةُ عَنْهُمْ).

وعن رسول الله (ﷺ): (أحب العباد إلى الله عز وجل رجل صدوق في حديثه محافظ على صلواته وما افترض الله عليه مع أدائه للأمانة) وعنه (ﷺ): (أحب المؤمنين إلى الله من نصب نفسه في طاعة الله ونصح لأمة نبيه وتفكر في عيوبه وأبصر وعقل وعمل) وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (ما عبد الله بشيء أحب إلى الله عز وجل من إدخال السرور على المؤمن) وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

(١) مجموعة ورام: ٢٢٣/١.

(٢) هذه الأحاديث نقلت من بحار الأنوار ومجموعة ورام.

(ألا وإن أحب المؤمنين إلى الله من أعان المؤمن الفقير من الفقر في دنياه ومعاشه ومن أعان ونفع ودفع المكروه عن المؤمنين)، وعن الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: (ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عز وجل من التزويج)^(١).

أوثق عرى الإيمان:

أيها الأحبة:

إن الله تبارك وتعالى يحبُّكم لأنه خالقكم وصانعكم وأبدع في صنعكم وجعلكم في أحسن تقويم وكرمكم وفضلكم على كثير ممن خلق وسخر لكم ما في الأرض جميعاً ويباهي بكم ويتحدى بكم من اتخذوهم أرباباً من دونه وأنداداً له [هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] (لقمان: ١١) يروى أن أبا تمام الشاعر المشهور يقول إن كل بيت من شعري عندي كابني، أقول: هذا وهو بيت من الشعر مهما كان بديعاً، فما هو محل هذا الكائن العجيب عند خالقه ومبدعه.

أتحسب أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

فأحبوا الله تبارك وتعالى وحبوه إلى عباده وأحبوا عباد الله ومخلوقاته، واجعلوا دليلكم في من تحبون ومن تبغضون حب الله لهم وبغضه إياهم، في الكافي عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله

(١) وسائل الشيعة: كتاب النكاح، باب استحبابه، ح ٤.

أحبو الله تعالى وحبّوه يحبّكم الله سبحانه ويحبّكم (٢٧)

وتبغض في الله وتعطي في الله وتمنع في الله^(١) وفي المحاسن عن أبي عبد الله
(عليه السلام) قال: (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع له فهو ممن كمل إيمانه).

(١) الحديث والذي يليه في بحار الأنوار: ٢٣٨/٦٩-٢٣٩.

(ورحمتي وسعت كل شيء) ^(١) [الأعراف: ١٥٦]

موجبات الرحمة الإلهية

سعة الرحمة الإلهية:

ورد في الدعاء الشريف (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك) ^(٢) وطلب الرحمة أمر طبيعي لأنه لا نجاة ولا توفيق إلا برحمة الله تعالى، عن النبي (ﷺ) قال (لن يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله، قالوا: ولا أنت؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني) ^(٣).

فما هي موجبات الرحمة الإلهية؟ وهل تحتاج الرحمة الإلهية إلى موجبات وأسباب وقد وسعت كل شيء؟

في الحديث الشريف عن الإمام السجاد (عليه السلام) قال (لا يهلك مؤمن بين ثلاث خصال: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وشفاعة رسول الله (ﷺ) وسعة رحمة الله عز وجل) ^(٤).

(وقيل له (عليه السلام) يوماً أن الحسن البصري قال: ليس العجب ممن هلك

(١) كلمة سماحة الشيخ يعقوبي يوم الخميس ١١ رجب ١٤٣١ المصادف ٢٤/٦/٢٠١٠.

(٢) البحار: ج ٨٣ ص ٦٣.

(٣) كنز العمال: ١٠٤٠٧.

(٤) بحار الأنوار: ٧٨ / ١٥٩.

كيف هلك، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا، فقال (ﷺ): أنا أقول ليس العجب ممن نجا كيف نجا، وإنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله^(١).

وتصديق هذا في كتاب الله تعالى فإن السؤال يوم القيامة لا يكون عن الناجين كيف نجوا، وإنما [عَنِ الْمُجْرِمِينَ، مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ] (المدثر: ٤١-٤٢).

وقد أشارت عدة آيات كريمة إلى سعة رحمة الله تبارك وتعالى، قال عز من قائل [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ] (الأعراف ١٥٦).

وقال تعالى [رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ] (غافر: ٧).

مثال في الرحمة الإلهية:

ويقرب لنا النبي (ﷺ) سعة رحمة الله تعالى بقوله (إنَّ الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تعالى تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة)^(٢) فتصوروا سعة رحمة الله تعالى التي كتبها على نفسه وألزم تبارك وتعالى نفسه بها، قال تعالى [قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ

(١) المصدر: ١٥٣/٧٨.

(٢) كنز العمال: ج ٤ ص ٢٤٩، ح ١٠٣٨٢.

وَالْأَرْضِ قُلِّ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ [الأنعام: ١٢] وقال تعالى [وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] [الأنعام: ٥٤] بل إن الله تعالى إنما خلق الخلق ليرحمهم بأن يجعلهم أمة واحدة متفقة على التوحيد، قال تعالى [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ] [هود ١١٨-١١٩].

الرحمة العامة والخاصة:

ولكن - اعلّموا أيها الأحبة - أن الله تبارك وتعالى رحمة عامة لكل مخلوقاته وهي التي أشير إليها في موارد كثيرة كما في أدعية رجب (يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة)^(١)، وفي دعاء آخر (ورزقك مبسوط لمن عصاك، وحلمك معترض لمن ناواك، عادتك الإحسان إلى المسيئين وسبيلك الإبقاء على المعتدين)^(٢) فجميع خلقه حتى الذين يبارزونهم بالمعصية والإنكار يرفلون بنعمه التي لا تعد ولا تحصى. وهناك رحمة خاصة يمنُّ بها على عباده المؤمنين الذين عرفوه ودلَّهم عليه بفضله وكرمه وهداهم إلى طاعته فراحوا يتحروون رضاه، وهي التي أشير إليها في الحديث النبوي الشريف (اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده) وعنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

(١) إقبال الأعمال: ج ٣ ص ٢١١.

(٢) السابق: ص ٢١٠.

موجبات الرحمة الإلهية.....(٣١)

(تعرضوا لرحمة الله بما أمركم به من طاعته)^(١) والتعرض لها يعني التعرض لأسبابها وموجباتها، كما في الدعاء (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك)^(٢).

تعرضوا لرحمة الله تعالى:

وقد ورد في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ذكر الكثير من هذه الموجبات للرحمة الإلهية، فنحن لا يمكن أن نعرفها ونهتدي إليها إلا أن يهدينا الله تبارك وتعالى [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ].

وبعض هذه الأسباب لا يكون الإنسان مسؤولاً عن توفيرها وإنما جعلها الله بكرمه وفضله وليس على العاقل الكيس إلا استثمارها والتعرض لها كالأضرحة المقدسة للمعصومين (سلام الله عليهم) وقد حبانا الله تعالى نحن العراقيين بالعديد من أبواب الرحمة هذه، ومنها عموم المساجد، ومنها صلاة الجمعة والجماعة وحلقات العلم والمذاكرة، وعموم التجمعات الإيمانية، والأزمنة الشريفة قليلة الجمعة ويومها، ومنها هذا الشهر الشريف: شهر رجب الذي لقب في الأحاديث الشريفة بالأصِّب لأن الرحمة تُصبُّ فيه صبًّا.

ما تستدر به الرحمة الإلهية:

ومن أسباب الرحمة الإلهية ما يوفرها الإنسان بفضل الله تبارك

(١) تنبيه الخواطر: ج ٢ ص ١٢٠.

(٢) البحار: ج ٨٣ ص ٦٣.

وتعالى،

وقد وجدت من أهل تلك الموجبات الاتصاف بالرحمة بحيث تكون محرّكة لأفعاله ومنبعاً لمشاعره وتبنى عليها علاقاته مع الآخرين من خلال الرحمة بهم والشفقة عليهم والرفق بهم ومداراتهم والتفاعل مع قضاياهم وحوادثهم عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أبلغ ما تُستدر به الرحمة أن تضم لجميع الناس الرحمة)^(١)، لأن الرحمة من صفات الله تبارك وتعالى، وقد وصف الله عباده الذين رضي عنهم بأنهم [رُحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ] [الفتح: ٢٩] [وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ] [البلد: ١٧] [وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً] [الحديد: ٢٧] وقال تعالى [إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ] [الأعراف: ٥٦].

وفي الأحاديث الشريفة عن النبي (صلى الله عليه وآله): (من لا يرحم لا يُرحم)^(٢) (إنما يرحم الله من عباده الرحماء)^(٣) (من رحم ولو ذبيحة عصفور)^(٤) (الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة، أرحم من في الأرض يرحمك من في السماء)^(٥) قال رجل للنبي (صلى الله عليه وآله): أحب أن يرحمني ربّي قال (صلى الله عليه وآله): ارحم

(١) ميزان الحكمة: ج ٢ ص ١٠٥٠.

(٢) الوسائل: ج ٤ ص ١٩٧.

(٣) البحار: ج ٧٩ ص ٩١.

(٤) كنز العمال: ج ٦ ص ٢٦٣.

(٥) البحار: ج ٧٤ ص ١٦٧.

نفسك وارحم خلق الله يرحمك الله^(١).

والرحمة بالآخرين تبدأ من رحمة نفسه بأن يجنبها ما يضرها في الدنيا ككثير من الحماقات والأفعال اللاعقلانية كالتدخين وصرف الأموال الطائلة في اللهو والعبث، وما يضرها في الآخرة كارتكاب المعاصي والعياذ بالله وصرف العمر في التفاهات وعدم التفقه في أمور الدين والمعرفة الضرورية.

ثم تتوسع الرحمة إلى من يليه في بيته كوالديه، قال تعالى [فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا] (الإسراء ٢٣-٢٤).

ثم الرحمة بالزوجة والزوج بالنسبة للمرأة، قال تعالى ممتناً على عباده [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] (الروم: ٢١) وورد في الحديث الشريف (اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة)^(٢) ثم الرحمة بالأقرباء وقد اشتق لهم اسم من الرحمة فيقال لهم الأرحام والأوامر في صلة الرحم كثيرة والنواهي عن قطعه شديدة.

ثم الرحمة بالآخرين خصوصاً إذا كانوا من ذوي الحاجة والمرضى والفقراء والمبتلين ببلاء ما، وهكذا حتى يمتلئ قلبه رحمة وشفقة على كل الموجودات، ومنبع هذه الرحمات كلها تقوى الله تبارك وتعالى وحب الله

(١) كنز العمال: ج ١٦ ص ١٢٨.

(٢) البحار: ج ٧٦ ص ٢٦٨.

تبارك وتعالى، فالتقوى تردعه عن ظلم الآخرين والإساءة إليهم والتقصير في أداء حقوقهم وحب الله يترشح منه حب الخير لجميع الخلق حتى أعدائه بأن يسأل الله تعالى لهم الصلاح والهدى لأن الجميع عيال الله تبارك وتعالى، وخلقهم فيحبهم حباً لخالقهم وربهم ومدبر شؤونهم وفي بعض الأحاديث ما مضمونه (الخلق عيال الله، فأحب خلقه إليه أنفعهم لعياله) وفي حديث آخر عن الإمام الكاظم عن مثل هذا الشخص أنه معنا في درجتنا.

كالوالد الرحيم:

وكلما ازدادت ساحة مسؤولية الفرد، ازداد مقدار الرحمة الواجب توفرها، سواء كانت المسؤولية دينية - كالمرجعية الدينية ومعتمديها- أو سياسية - ككبار مسؤولي الدولة- أو اجتماعية - كزعماء العشائر أو وجهاء المجتمع- أو إدارية - كمدير الدائرة أو المدرسة- أو تعليمية- كالمدرس مع طلبته- في كتاب الخصال بسنده عن الإمام الصادق (ع) عن أبيه (ع) قال (إن الإمامة لا تصلح إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن المحارم، وحلم يملك به غضبه، وحسن الخلافة على من وُلِّيَ حتى يكون له كالوالد الرحيم)^(١) والحديث مطلق يشمل أي إمامة ورياسة وزعامة مما ذكرنا.

من موجبات الرحمة:

وللرحمة الإلهية موجبات أخرى، وهي كثيرة نذكر منها شيئاً مختصراً

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٠٧.

لإلفات نظركم.

منها: طاعة الله ورسوله قال تعالى [وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ

لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ] (آل عمران: ١٣٢) وقال تعالى [وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] (النور: ٥٦) وقال تعالى [فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا

بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا

مُسْتَقِيمًا] (النساء: ١٧٥).

ومنها: الصبر على المصائب قال تعالى [الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُهْتَدُونَ] (البقرة: ١٥٦-١٥٧).

ومنها: الاستغفار قال تعالى [لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ]

(النمل: ٤٦).

ومنها: الإصلاح بين الإخوة المتخاصمين، قال تعالى [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] (الحجرات: ١٠).

ومنها: ما ورد في الأحاديث الكثيرة من قولهم (عَلَيْهِمُ) رحم الله امرءاً كذا

وكذا، كقول أمير المؤمنين (عَلَيْهِمُ): (رحم الله امرءاً أحياً حقاً وأمات باطلاً،

وأدحض الجور وأقام العدل) وقوله (رحم الله امرءاً علم أن نفسه خطاه

إلى أجله فبادر عمله وقصر أمله).

ومنها: ما عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه قال (سبعة يُظلمهم الله عز وجل في ظله

يوم لا ظلّ إلا ظلُّه: إمام عادل، وشابُّ نشأ في عبادة الله عز وجل،
ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان كانا
في طاعة الله عز وجل فاجتمعا على ذلك وتفرّقا، ورجل ذكر الله عز
وجل خالياً ففاضت عيناه من خشية الله عز وجل، ورجل دعت امرأه ذات
حسب وجمال، فقال: إني أخاف الله عز وجل، ورجل تصدّق بصدقة
فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما يتصدق يمينه^(١).

نسأل الله تعالى أن يتغمدنا برحمته في الدنيا والآخرة وأن يوفقنا
لموجبات رحمته إنه لطيف بعباده.

(فاعلم أنه لا إله إلا الله)^(١)
نبذ الآلهة من دون الله تعالى

[محمد : ١٩]

ما المراد من رمي الجمرات؟

من مناسك الحج رمي الجمرات الثلاث في منى بالحصى، وقد ورد في الروايات عن أصلها بأن خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) لما أخذ ولده إسماعيل لذبحه امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى اعترضه إبليس في الموضع الأول ليرده ويخذله ويحرك عواطفه حتى يتراجع عن تنفيذ ما أمر الله تعالى فرماه إبراهيم (عليه السلام) بالحصى فانهزم اللعين، ثم تمثّل له مرة أخرى في الموضع الثاني والثالث وكان رد إبراهيم (عليه السلام) الحازم هو هو فتحوّل إلى منسك يؤديه الموحّدون لرمي الشياطين.

وقد يثار هنا إشكال حاصله إن رمي الجمرات في الإسلام تعبير عن نبذ أصنام الجاهلية ورفض عبادتها، وقد كان هذا العمل مبرراً وله وجه في صدر الإسلام حيث كانوا حديثي عهد بالجاهلية فأراد لهم الشارع المقدس قلع عبادة الأصنام بالكلية من داخل نفوسهم وترسيخ رفضها، أما اليوم حيث لم تعد توجد أصنام تُعبد من دون الله تعالى فلا يبقى معنى لأداء هذا المنسك. وأجوبة

(١) صلاة الجمعة في مكة المكرمة يوم ٦/ذو الحجة/١٤٣١ المصادف ١٢/١١/٢٠١٠.

هذا الإشكال عديدة نريد أن نجعل واحداً منها محور خطبتنا.

الاصنام التي تعبد من دون الله تعالى:

وهو أن الأصنام والآلهة التي تُعبد من دون الله تعالى عديدة ومتنوعة وبقية ما بقي البشر إلا أن يملأ الله تبارك وتعالى الأرض قسطاً وعدلاً ويسط كلمة التوحيد على إرجاء الأرض، ولئن زال أحد أشكالها وهي الأصنام والأوثان التي تُصنع من الحجر والخشب وربما التمر ثم تعبد من دون الله وتقدس وتقدم لها النذور والقرابين، فإن أشكالاً أخرى من الأصنام تعبد وتقدس وهي أشد وطئاً على الإنسان وأكثر إذلالاً للبشرية وتكلف الناس أضعاف ما كانت تكلفهم تلك الأصنام، وأولها هوى النفس وشهواتها وأطماعها وغرائزها التي يطيعها الإنسان ويسعى لتنفيذ إرادتها ويخضع لسلطتها وإن كان في ذلك معصية الله تبارك وتعالى، فأصبح الهوى إلهاً يعبد من دون الله تعالى لأن معنى العبادة هي الطاعة والانقياد والاستسلام بحيث ورد عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق يؤدي عن الله عز وجل فقد عبد الله وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان)^(١)، وقد سمي الله تبارك وتعالى الهوى إلهاً في قوله تعالى [أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ...] (الجاثية: ٢٣)، كم من تاجر تعرض له معاملة مشبوهة ينهى عنها الشرع المقدس لكن ربحها يسيل لعابه ويشير طمعه فيرتكبها؟ وكم من امرأة تعلم أن السفور حرام وإن إبداء مفاتها أمام الرجل

(١) الكافي: ج ٦ ص ٤٣٤.

نُبذ الآلهة من دون الله تعالى..... (٣٩)

الأجنبي معصية فتفعله إرضاءً لغرائزها؟ وكم من شاب يعلم أن الصلاة واجبة عليه وأنها عمود الدين وهوية المسلم لكنه يتركها كسلاً وحباً للراحة والدعة؟ أليس كل هؤلاء وأمثالهم قد نصبوا من أهوائهم وأنفسهم الأمانة بالسوء أصناماً وآلهة يعبدونها ويطيعونها من دون الله تبارك وتعالى؟

التشريعات البشرية:

وثاني الآلهة التشريعات التي تُسنُّها عقول الناس القاصرة وبحسب ما يقدرونها من مصالح بنظرهم الضيق ويتعبدون بها ويلتزمون بها ويعاقبون على مخالفتها من دون الرجوع إلى شريعة الله تبارك وتعالى تحت عناوين مختلفة كالديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان وحاكمة الشعب والقوانين والدساتير الوضعية وغيرها، وهذا الوضع قائم حتى في الدول التي تصف نفسها بأنها إسلامية، وقد ذكر الله تبارك وتعالى هذه الآلهة وهذه الأرباب في قوله تعالى: [اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ] (التوبة: ٣١) وورد في تفسيرها عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون)^(١) فانطبق عليهم اتخاذهم أرباباً من دون الله تعالى لأنهم شرّعوا لهم من أنفسهم قوانين تحكّمهم من دون الرجوع إلى الشريعة الإلهية.

(١) الكافي: ج ٦ ص ٤٣٤.

وهذه الرواية تنطبق على كثير مما يجري في مجتمعاتنا كـ بعض القوانين التي يسنّها البرلمان، والسنيّة العشائرية التي يضعها ناس جاهلون بأحكام الشريعة وتفصيلها فتأتي مليئة بالمظالم والفساد والانحراف.

آلهة الأعراف والتقاليد غير الصحيحة:

ومن الآلهة الأخرى الأعراف والتقاليد الاجتماعية التي يضعها الناس ثم يعطونها قداسة وأهمية بحيث لا يستطيع الفرد الخروج عنها خشية العار والفضيحة والضغط الاجتماعي ونحوها.

فبعض السادة التزموا بعدم تزوج بناتهم العلويات إلا من سادة ولو أدى ذلك إلى عنوستهن وحرمانهن من هذا الحق المقدس رغم إقدام الشباب الأكفاء على خطبتهن، أو إلزامهن التزويج من ابن العم فلو نهى عليها ابن عمها فلا يحق لأي أحدٍ خطبتها ولو أعرض عنها ابن العم ولم يتزوجها.

أو المغالاة في المهور الذي حرم الكثير من الشباب عن التفكير في الزواج لعدم قدرته على هذه التكاليف الباهظة، وكل هذه الأعراف والتقاليد مخالفة للشريعة ولوصايا النبي (ﷺ) الذي روي عنه: (إن جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير) ^(١) وقوله (ﷺ): (النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني) ^(٢) ومثلهم بعض النساء اللواتي يلزمن أزواجهن بتوفير احتياجات باهظة كلبس بدلة جديدة في كل

(١) عوالي اللئالي: ج ٣ ص ٣٤٠.

(٢) كنز العمال: ج ١٦ ص ٢٧٢.

نُبذ الآلهة من دون الله تعالى.....(٤١)

مناسبة أو تغيير أثاث بيت في كل سنة أو موسم مما يكلف الزوج كثيراً وقد يضطر إلى الإغماض عن مصدر الأموال الواردة إليه ليبي رغبة امرأته، فهؤلاء يعبدون هذه الأعراف والتقاليد ويقدمونها من دون الله تعالى.

الحكام والطواغيت:

ومن تلك الآلهة الحكام والطواغيت الذين يريدون من شعوبهم الاستسلام لهم وتنفيذ أطماعهم ونزواتهم والتضحية من أجل إدامة حكمهم وتقديم الشعب كله قرابين لهم، وهكذا سائر النظم الاقتصادية والسياسية والقوانين الوضعية المتبعة في المحاكم والكيانات المتنفذة كالمصارف وغيرها مما صنعه البشر من دون الرجوع إلى حكم الله تعالى [آلله أذن لكم أم على الله تفترون] (يونس: ٥٩).

كونوا موحدين:

هذه نماذج من الآلهة التي تُعبد وتطاع من دون الله تعالى ومن الأصنام التي لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً ولكنها تُقدّس وتُتخذ أرباباً للبشر الذين يصنعونها بأيديهم ويعلمون أنها زائفة [يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب] (الحج: ٧٣)، يسخر الناس اليوم من عقول أسلافهم في الجاهلية ويسخفونهم حيث اتخذوا آلهة من أصنام يصنعونها بأيديهم وهامهم اليوم يفعلون فعلتهم وينقادون لأصنام وآلهة من

صنعهم وإن كان من نوع آخر.

هذه الحقيقة التي يدمغ الله تبارك وتعالى بها الناس في قوله تعالى: [وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ] (يوسف: ١٠٦).

موعظة الشيخ جعفر الشوشتري:

نُقل عن الواعظ الشهير الشيخ جعفر الشوشتري (توفي عام ١٣٠٣ هجرية) صاحب كتاب الخصائص الحسينية وقد كان له منبر وعظ في الصحن الحيدري الشريف يحضره المجتهدون والعلماء والفضلاء وعامة الناس، نُقل عنه أنه قال يوماً: أيها الناس أن مئة وأربع وعشرين ألف نبي بعثهم الله تعالى كلهم يقولون للناس: (كونوا موحدين وأنا أقول كونوا مشركين) فتعجب الناس من كلامه ولم يفهموا مرامه فأمهالهم حتى قال لهم: (إنكم أصبحتم كلكم للدنيا وأنا أدعوكم إلى أن تجعلوا لله نصيباً من حياتكم فأشركوه في أعمالكم).

خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً:

وستجدون في دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة: (إلهي عميت عينٌ لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً)^(١) وهذه هي الخسارة الحقيقية أن لا يخلص الإنسان عمله لله تبارك وتعالى ويوحّد هدفه في هذه الحياة ليجعله رضا الله تبارك وتعالى، ولا يُثبت على الصراط المستقيم ويتيه يمناً ويسرة بين هذه الآلهة والأرباب المصطنعة.

(١) مفاتيح الجنان: ص ٣٣١.

نُبذ الآلهة من دون الله تعالى.....(٤٣)

إن رسول الله (ﷺ) وسلم) بُعث ليحرّر الإنسان من هذه التبعية المقيتة التي تُكبّله بقيود وأغلال وآصار تعيقه عن التكامل ونيل رضوان الله تبارك وتعالى [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] (الأعراف:١٥٧)، فلا يحق للإنسان الحر أن يعيد إلى عنقه تلك الأغلال ويحيط نفسه بتلك القيود.

وهذه بعض معاني رمي الجمرات أن نرفض كل الآلهة التي تُعبد وتُطاع والأرباب التي تتخذ من دون الله تبارك وتعالى.

افِرُوا إِلَى اللَّهِ^(١) (الذاريات: ٥٠)

قال الله تعالى: [فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] (الذاريات : ٥٠) في هذه الآية الشريفة عدة دلالات وإرشادات نهتدي بها في حياتنا العملية وفي طريق التكامل إن شاء الله تعالى:

١- إن الأمر بالفرار يعني التسليم بأننا في وضع يوجب الفرار منه؛ لأن الفرار والهرب لا يكون إلا من خطر وضيق وعسر ومشقة، فالأمر بالفرار يعني أننا واقعون فعلاً فيه أو أننا في معرض الوقوع فيه سواء التفتنا إليه أو لم نلتفت لغفلتنا وجهلنا بحقائق الأمور، وما يستوجب الفرار كثير مما نواجه في الدنيا وفي الآخرة، ففي الدنيا: الفرار من المشاكل والتعقيدات والأزمات والصعوبات والقلق والأخطار وقساوة الحياة، أما في الآخرة فالفرار من طول الموقف وسوء الحساب وشدة العقوبة والعذاب، وهذه كلها تلزم كل عاقل بأن يهرب منها إلى ملجأ يحميه ويوفر له الأمن والاستقرار والسعادة، وقد كرّر تعالى في هذه الآية والتي تليها [إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] للتنبيه من الغفلة وإيقاظ العقول والتأكيد على هذه المخاطر.

٢- إن الأمر بالفرار يستلزم من الأمر تحديد المهرب والملاذ الآمن كما أن الدول حينما تقوم بعملية عسكرية لتطهير مدينة أو موضع من إرهابيين

(١) أُلقيت يوم الاثنين ٦ صفر ١٤٣٨ الموافق ٢٠١٦/١١/٧.

(فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ).....(٤٥)

ومجرمين فإنها تحدد مسارات وملاجئ آمنة لخروج المدنيين الأبرياء، وقد حدّدت الآية الجهة التي نفرّ إليها وهي جهة النجاة الوحيدة إنه الله تبارك وتعالى ولا يوجد مفرّ إلا إليه [يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرَى، كَلَّا لَا وَزَرَ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ، يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ] (القيامة : ١٠-١٣)، وهي بهذا المعنى تلتقي مع آيات عديدة [إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ] (العلق: ٨) [وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ] [النجم : ٤٢] [النجم: ٤٢] [إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ] (البقرة : ١٥٦).

وهذا المعنى الذي عبّر عنه الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَام) في العديد من الأدعية والمناجاة كقوله (عَلَيْهِ السَّلَام) في مناجاة الراجين (يا من كل هارب إليه يلتجئ، وكل طالب إياه يرتجئ) وفيها (كيف أرجو غيرك والخير كله بيدك، وكيف أومل سواك والخلق والأمر لك) وفي مناجاة التائبين (إلهي هل يرجع العبد الآبق إلا إلى مولاه، أم هل يجيره من سخطه أحد سواه) وفي مناجاة المطيعين لله قال (عَلَيْهِ السَّلَام): (فإننا بك ولك ولا وسيلة لنا إليك إلا أنت) وفي مناجاة المفتقرين (إلهي كسري لا يجبره إلا لطفك وحنانك، وفقري لا يغنيه إلا عطفك وإحسانك، وروعتي لا يسكنها إلا أمانك، وذلتي لا يعزها إلا سلطانك، وأمني لا يبلغنيها إلا فضلك) إلى غيرها من الفقرات التي اغتنت بها الصحيفة السجادية المباركة وأدعية الإمام السجاد الأخرى الملحقة بها.

٣- ارتبطت الآية بفاء التفرّيع [فَفَرُّوا] فالأمر بالفرار إلى الله جاء تفرّيعاً ونتيجة على ما ذكر في الآيات السابقة التي ذكرت الأسباب الموجبة لكون الله

تعالى الجهة الوحيدة التي نفر إليها وهي ثلاثة.

فالآية (٤٧) بَيَّنَّتْ مِثَالاً لِعِظْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ [وَالسَّمَاءَ بَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ] (الذاريات : ٤٧) التي تعني في بعض الوجوه استمرار توسع الكون وتمدده وقد اكتشف العلم الحديث التوسع الهائل الذي تتجه فيه النجوم والمجرات بسرعة تصل إلى ٦٦ ألف كيلومتراً في الثانية^(١).

والآية (٤٨) بَيَّنَّتْ رِعَايَةَ اللَّهِ لَخَلْقِهِ وَإِعْدَاقِهِ النِّعَمَ عَلَيْهِمْ [وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ] (الذاريات : ٤٨) فبسط لنا الأرض وجعل لها حركة هادئة مريحة وزودها بكل ما يوفر للإنسان السعادة والراحة والمتعة كما تفرش الأم مهد صغيرها وتجهزه بكل وسائل الراحة والسعادة.

ثم عطف الآية التالية على ذلك بيان شكل من أشكال فقر المخلوقات - كل المخلوقات - ونقصها الذاتي واحتياجها إلى ربها الغني من خلال إظهار حاجتها إلى غيرها ووجود ما يضادها، [وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] (الذاريات : ٤٩) إذ الزوجية هنا تعني أعم من الزوجية الجنسية كالذكر والأنثى، وزوجية السالب والموجب كشحنتي الإلكترون والبروتون في الذرة، وزوجية التضاد كالظلمة والنور أو زوجية الظاهر والباطن وغير ذلك؛ فالأشياء كلها إذن فقيرة ناقصة محتاجة في ذاتها.

فالفرار إلى الله تعالى لأن القدرة بيده والخير منه والسعادة عنده والكل محتاجون إليه.

(١) تفسير الأمل: ٢٣٦/١٣ عن كتاب (حدود النجوم) ل(فرد هويل).

(فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ).....(٤٧)

فالأيات تقرر هذه الحقيقة وتدعو الناس إلى وعيها والالتفات إليها وتذكّرها دائماً لترتيب الأثر عليها وأخذ العبرة منها [لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] فمن الطبيعي أن تتفرع الآية التالية عليها [فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] (الذاريات : ٥٠) فإن الله تعالى لشفقته على عباده وحبّه لهم ولطفه بهم لم يتركهم سدى ولم يوكل أمورهم إلى الصدفة أو إلى حماقة الجهّال من البشر ولم يتركهم يجربون طريقة المحاولة والخطأ (tryal & error) للتوصل إلى القوانين التي تكفل سعادتهم في الدنيا والآخرة وإنما أرسل إليهم منه الأنبياء والرسل لينذروهم ويبينوا لهم هذه الحقائق والمعارف كراماً منه وفضلاً [إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ].

ولما كان الله تعالى أجلاً من أن تكون له جهة أو مكان أو حيّز يشغله فالفرار إليه ليس كالفرار إلى حصن أو أي مكان آمن يتوجه إليه الهارب، وإنما الفرار إليه يعني التمسك بالوسائل الموصلة إليه تبارك وتعالى وفعل ما يوجب قربه ورضاه وتجنب ما يسخطه سبحانه ويوجب غضبه؛ لذلك كانت الآية التالية كالبيان لمعنى الفرار ووسيلته [وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] فالفرار إلى الله تعالى يستند إلى الإيمان به وتوحيده ويبدأ من نفي الشركاء عنه.

والفرار إلى الله يعني الهروب من المعاصي والذنوب وكل ما يسخط الله تبارك وتعالى إلى طاعته ورضاه، ويعني الهروب من عذاب الله تعالى وعقابه

إلى رحمته ورضوانه، من مناجاة الراغبين للإمام السجّاد (عليه السلام): (وها أنا فارٌّ من سخطك إلى رضاك وهارب منك إليك).

والفرار إلى الله تعالى يعني الانقطاع عما سواه والتحرر من كل الآصار، والأغلال التي تعيق حركته نحو التكامل وثقله إلى الأرض وتوجب عبوديته وأسره [وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ] (الأعراف: ١٥٧).

والفرار يعني الهروب والتحرر من ذل أتباع كل الآلهة والمعبودات التي تطاع من دون الله سواء كانت بشرية أو أصناماً حجرية أو أهواء وشهوات وغرائز أو أنظمة وقوانين من صنع البشر أو أعراف وتقاليد اجتماعية أو عشائرية أو سلطات وزعامات تحكم بغير ما أنزل الله، أو ضلالات أو أفكار مبتدعة أو أوضاع اجتماعية خارجة عما يريد الله تعالى بحيث صارت الدول التي تصف نفسها بالتحضر والعظمة تبيح الشذوذ الجنسي بين المثليين بقوانين رسمية تحت عنوان الحرية والديمقراطية وأمثالها، فالفرار يعني الهروب من كل هذه المعبودات المطاعة إلى الإله الواحد القهار وهو الله تبارك وتعالى.

بل المطلوب أكثر من ذلك وهو السعي الحثيث لتحرير البشرية منها وإزالتها وليس الانعزال السلبي فضلاً عن مدهانة أتباعها ومسايرتهم كالذي حصل قبل أيام حينما نجح بعض الإخوة في استصدار قرار من البرلمان يحظر تجارة المسكرات وتناولها في محلات علنية وهو موافق للدستور الذي يمنع من مخالفة ثوابت الإسلام، ومن ما يخالف الديمقراطية وقد نال القرار موافقة الأغلبية، فانبرت أصوات منبوذة لرفض القرار حتى قال أحدهم أن هذا القرار

(فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ).....(٤٩)

يَثْبُطُ عِزَائِمَ الْحَشْدِ الَّذِي يُقَاتِلُ دَاعِشَ لَأَنَّهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَقَاتَلُوا دَاعِشَ لِأَنَّهَا مَنَعَتْهُمْ مِنْهَا، وَلَمْ يَمْتَلِكْ أَكْثَرَ مَدْعَى الشَّعَارَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الشَّجَاعَةَ فِي نَصْرَةِ الْحَقِّ وَالْإِصْلَاحِ وَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى نَهْجِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَكَانُوا عَلَى عَكْسِ مَا أَرَادَتْ مِنْهُمُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فَارَيْنَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَ لَيْسَ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ فَبُئِثَتِ الصَّفَقَةُ.

٤- ولما كانت هذه الوسائل على درجات، فإن الفرار إلى الله تعالى له درجات متصاعدة في الكمال، كما أن الابتعاد عنه تعالى له درجات في الانحطاط، فأولى درجات الفرار وأساسها توحيد الله تعالى ونبذ الشركاء عنه، وأرقاها الانقطاع عما سواه حتى عن نفسه فيصبح مخلصاً لله تعالى فاراً مما سواه، مستقراً عنده عز وجل [إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ] (القيامة: ١٢).

٥- ووسائل الفرار إلى الله تعالى غير منحصرة فالقيام بكل عمل صالح ومثمر ومفيد للشخص أو المجتمع هو فرار إلى الله تعالى واجتناب كل فعل سيئ مضر لا ينسجم مع التعاليم الإلهية هو فرار إلى الله تعالى، وأساس كل ذلك التوحيد كما في الآية أعلاه ومفتاحه ولاية أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) والأخذ عنهم والتمسك بنهجهم قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ [المائدة: ٣٥] فهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أوضح الوسائل إلى الله تعالى كما أفادت الروايات^(١)، وقد ذكرت الروايات مصاديق أخرى، فقد روى الكليني في الكافي والصدوق في معاني الأخبار بالإسناد عن الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في تفسير

(١) راجع تفسير البرهان: ٢٣٢/٣.

الآية قال: (حجّوا إلى الله عز وجل) وهذا من باب ذكر بعض المصاديق وهي واسعة ولعل الحج هنا يراد به معناه اللغوي أي القصد إلى الله تعالى وتدل عليه رواية الشيخ الصدوق في (مَن لا يحضره الفقيه) بسنده عن زيد الشهيد عن أبيه الإمام السجاد (عليه السلام) قال: (يعني حجّوا إلى بيت الله، يا بني إن الكعبة بيت الله، فمن حجّ بيت الله قصد إلى الله، والمساجد بيوت الله، فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه)^(١).

وقد دلّت بعض المنقولات على أن أوسع وسائل النجاة والفرار إلى الله تعالى إحياء ذكر أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) والعمل على تحقيق أهدافه المباركة في إصلاح الأمة وإحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى قال الشاعر الشعبي (غير حسين ما عدنا وسيلة) أي أنه (عليه السلام) أيسر وأسرع سفن النجاة.

(١) راجع مصادرها في تفسير البرهان: ١٣٤/٩.

(قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) ^(١) [يونس: ٥٨]

موجبات الفرح الحقيقي

حالة الفرح لدى الإنسان:

يحصل الإنسان في هذه الدنيا على الكثير من النعم التي يفرح بها، ويحقق الكثير من الانجازات والأعمال المفرحة كالتاجر يربح بصفقته ربحاً غير متوقع، أو المعدلات العالية التي حققتوها في الامتحانات العامة للسادس العلمي خصوصاً إذا كانت الدرجات أكثر مما كان يظن وفق تقييمه لأجوبته.

وهذا الفرح حالة وجدانية طبيعية لا يمكن الغاؤها والاعتراض عليها، وإنما يحتاج إلى وضعه في مساره الصحيح المثمر، وفي ضوء هذا نفهم ما ورد في قوله تعالى (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) (القصص/٧٦) والمشكلة ليست في نفس الفرح والحل في قوله تعالى بعد ذلك (وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) (القصص/٧٧) فالفرح بالمال والموقع الوظيفي والجاه والنفوذ لا يكون لذات هذه الأمور لأنها زائلة ولذتها وقتية وهي لوحدها غير قادرة على تحقيق السعادة للإنسان، والشاهد على ذلك كثرة الانتحار وشيوع الأمراض النفسية والعصبية والتفكك الأسري والعنصرية

(١) كلمة القيت يوم الأربعاء ٢٣/شوال/١٤٣٥ المصادف ٢٠/٨/٢٠١٤.

والتمايز الطبقي وأمثالها من الأمراض الاجتماعية التي تؤدي إلى نشوء مافيات العنف والقتل في الدول الأكثر ترفاً ورفاهية^(١).

ما يوجب الفرح الحقيقي:

فالآية تدلنا على ما يوجب الفرح الحقيقي بهذه النعم من خلال توظيفها واستثمارها في الوصول إلى الهدف الحقيقي وهو نيل رضا الله تعالى من خلال الالتزام بطاعته تبارك وتعالى فإنها توفّر السعادة الحقيقية للإنسان (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس/٥٨)، من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام: (فإن المرء ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته، ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه، فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة أو شفاء غيظ، ولكن اطفاء باطل أو إحياء حق، وليكن سرورك بما قدّمت، وأسفك على ما خلّفت، وهمك فيما بعد الموت)^(٢).

الفرح للنعم المعنوية:

والذي ينبغي أن يوجب الفرح أكثر هو التوفيق للنعم المعنوية والاهتداء إليها كنعمة القرآن الكريم الذي وصف آثاره الآية السابقة عليها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)

(١) وأنا أكتب هذه الكلمات لازالت الاضطرابات والمواجهات بين السود وقوات الامن مستمرة منذ التاسع من الشهر الجاري مما دعا الى اعلان حالة الطوارئ في ولاية ميسوري الأمريكية بعد قتل مراهق أسود على يد الشرطة لأسباب عنصرية على ما قيل.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: ٦٦.

(يونس/٥٨) فهذه النعم الإلهية (الموعظة، شفاء الصدور، الهدى، الرحمة) هي التي تستحق ان يفرح بها الإنسان فرحاً يحركه للحصول عليها والاستزادة منها، وهي آثار مترتبة يوفرها القرآن الكريم للإنسان فأول أثر للقرآن هو أن يطرق باب النفوس الغافلة المتعلقة بالدنيا وزخارفها اللاهثة وراء الماديات، والقلوب المملوءة بالردائل فيعظها ويوقظها من الغفلة والجهل فيحركهم نحو الطريق الصحيح.

فإذا لزموا هذا الطريق أخذ القرآن في تهذيب نفوسهم وتطهير قلوبهم بمدة قد تطول وقد تقتصر بحسب استعداد الشخص وهمته وقوة عزمته حتى يطهره منها ويشفيه من عللها وهذه هي المرتبة الثانية.

وحيثُ تكون قلوبهم صافية ونفوسهم سالحة متهيئة لتلقي الأخلاق الفاضلة والمعارف الحقة والأعمال الصالحة التي يرتقون بها في درجات الكمال، وهذا هو الهدى في المرتبة الثالثة.

وبذلك يستحقون منازل الرحمة ودار الكرامة عند ربهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

لذا ورد في الدر المنثور في تفسير الآية عن ابن عباس (قل بفضل الله) القرآن (وبرحمته) حين جعلهم من أهل القرآن، وفي حديث مروي عن رسول الله ﷺ يبيّن فيه آثار القرآن التي تستحق أن يفرح الإنسان بها ويعمل لتحصيلها، قال ﷺ (إن اردتم عيش السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحسرة والظل يوم الحرور والهدى يوم الضلالة، فادرسوا القرآن فإنه كلام

الرحمن وحرز من الشيطان ورجحان في الميزان)^(١) ويصف الإمام السجاد عليه السلام أنسه وفرحه بالقرآن بقوله (لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي)^(٢) فهذه هي النعم الحقيقية التي تستحق الفرح بها.

نعمة الإسلام واتباع النبي وأهل البيت عليهم السلام:

والنعمة الأخرى التي يستحق الفرح بها رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هدانا الله تعالى به للإسلام وعلمنا القرآن وأرسله إلينا رحمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء ١٠٧، ونعمة أمير المؤمنين عليه السلام الذي ثبت به الإسلام وحافظ على إصالته ونقاوته وحفظ مسيرة المسلمين من الانحراف والتزييف.

لذلك كثرت الروايات في كتب المسلمين عامة أن المراد بفضل الله في الآية رسول الله صلى الله عليه وآله وبرحمته علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن بعد أمير المؤمنين الأئمة الطاهرون عليهم السلام ومن بعدهم العلماء العاملون المخلصون المتفانون في اعلاء كلمة الله تعالى وهداية الناس وخدمتهم، فإذا كان النظر إلى وجه العالم عبادة، وزيارته كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله ونحو ذلك مما دلت عليه الروايات الشريفة ألا يكون مثل هؤلاء العلماء نعمة تستحق الفرح بوجودهم وأخذهم لموقعهم الذي يستحقونه؟ فالتفوا حولهم واستفيدوا منهم وخذوا بتوجيهاتهم.

(١) بحار الأنوار: ١٩/٨٩.

(٢) أصول الكافي: كتاب فضل القرآن، ح ١٣.

فضله تعالى غير رحمته:

وظاهر الآية أن فضل الله له معنى غير رحمته لارتباط كل منهما بباء السببية، وقد ذكر المفسرون وجوهاً لإعطاء معنيين مختلفين للفضل والرحمة منها:

١- (أن يكون المراد بالفضل ما يبسطه الله من عطائه على عامة خلقه، وبالرحمة خصوص ما يفيضه على المؤمنين فإن رحمة السعادة الدينية إذا انضمت إلى النعمة العامة من حياة ورزق وسائر البركات العامة كان المجموع منهما أحق بالفرح والسرور وأحرى بالانبساط والابتهاج)^(١) ويؤيده تقييد الرحمة بالمؤمنين في هذه الآية وغيرها.

٢- إن المراد^(٢) بالفضل الإلهي النعم الظاهرية أو قل المادية وقد ورد بهذا المعنى في عدة آيات كقوله تعالى (وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) (النحل / ١٤) وقوله تعالى (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) (الجمعة / ١٠)، والرحمة إشارة إلى النعم الباطنية أو المعنوية.

٣- إن الفضل الإلهي بداية النعمة ويساعد عليه المعنى اللغوي للفضل وهو بذل النعمة وهبتها، والمراد بالرحمة دوام النعمة، وهذا يناسب ما ذكرناه من تفسير فضل الله برسول الله ﷺ ورحمته بعلي بن أبي طالب عليه السلام لأن النبي ﷺ كان السبب في هدايتنا إلى نعمة الإسلام والإمام علي عليه السلام سبب بقائه

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٧٧/١٠.

(٢) حكى هذا الوجه وما بعده في تفسير الأمل: ٤٩٩/٥.

(٥٦) ساكن القلب

واستمراره وكما قيل أن النبي ﷺ علة محدثة وموجدة، وأمير المؤمنين عليه السلام علة مبقية.

٤- أن يكون الفضل إشارة إلى نعم الجنة، والرحمة إشارة إلى العفو عن الذنب وغفرانه.

(وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ)^(١)

[إبراهيم: ٥]

يَبِينُ هَذَا الْمَقْطَعُ مِنَ الْآيَةِ أَحَدِي وَظَائِفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُئِمَّةِ (صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ) وَالْقَادَةَ الدِّينِيَّةِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَهُوَ تَذْكَيرُ النَّاسِ بِأَيَّامِ اللَّهِ تَعَالَى.

الايام كلها لله كما ان كل شيء في الوجود لله تعالى (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) (البقرة/٢٥٥) (وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (النحل/٥٢) (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) (الأعراف/٥٤) لكن الله تعالى يعلم ان الانسان يغفل وينهمك في تفاصيل حياته فينشغل عن مراجعة علاقته بربه فيحتاج الى محطات زمانية او مكانية او فعلية تجدد هذه العلاقة وتعطيها زخماً وحيوية جديدة فجعل اياماً وأمكنة ومشاعر وشعائر لتحقيق المزيد من القرب لربه والالتفات الى قضيته الكبرى، والله تعالى لم يغب عن عباده وعن خلقه لكنهم هم الذين يغفلون عنه (متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك).

وهذه سيرة تعلمها العالم المتحضر فجعل أياماً لقضايا المهمة فيوم للأمم ويوم للمرأة وآخر للعامل والبيئة ونحو ذلك لتجديد الاهتمام بهذه القضايا وإجراء مراجعة لطبيعة العلاقة معها وإلا فإن الاهتمام بهذه القضايا مطلوب على

(١) كلمة أُلقيت يوم الخميس ٢٨/٢/١٤٣٧ المصادف ٢٠١٦/٤/٧.

الدوام.

والسؤال ما هي الخصوصية في هذه الايام حتى أصبحت أيام الله؟
والجواب: لأن هذه الايام شهدت بعض تجليات الله تعالى لخلقه بصفاته
الحسنى.

ففي يوم ميلاد النبي (ﷺ) وبعثته تجلت رحمة الله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء/١٠٧) (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا)
(يونس/٥٨) وفي يوم الغدير تجلت حكمة الله تعالى وشفقته على عباده.

وفي يوم عاشوراء تجلت عظمة الله تعالى حينما تستعظم ما قدمه الامام
الحسين (عليه السلام) لله تعالى، وتجلّى حلم الله تعالى إذ لم ينزل نقمته وبأسه على
الأشرار، ويتجلّى ما يمنّ به على عباده المصطفين من التوحيد الخالص والفناء
في محبة الله تعالى.

وفي يوم فتح مكة وعندما يظهر الحجة القائم (ﷺ) يتجلّى نصر الله
وفتحه على عباده المؤمنين، ويتحقق وعد الله تعالى (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي
لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور/٥٥).

وفي اي يوم يتحقق فيه إنجاز للبشرية يسعدها ويرفّه حياتها ويخلصها من
معاناتها من الفقر او المرض او الخوف وغيرها تتجلّى قدرة الله تعالى إذ زوّد
البشرية بهذا العقل المبدع وما يتفق عنه من علوم حتى ألف مجموعة من

علماء الغرب كتاب (الله يتجلى في عصر العلم).

وحينما أغرق فرعون وجنوده وأهلكت عاد وثمود وصدّام تجلّت عدالة الله تعالى وإنّقامه، وإذا مات إنسان تجلّت صفة (القهار) كما في الدعاء (الحمد لله الذي قهر عباده بالموت والفناء) وتجلّت صفة (الباقي) لله تعالى (فان أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون) بحسب المروي عن الامام الحسين (عليه السلام) فالاحتفال بهذه الأيام واستذكار ما جرى فيها إنما هو امتثال لهذه الآية الشريفة وتجديد لذكر الله تعالى.

وقد تعدّدت الروايات في تفسير هذه الآية بمعاني متعددة إشارة الى هذه المناشياء المتعددة لتسمية الأيام بأيام الله تعالى فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (أيام الله نعمائه وبلائه وهي مثلاته^(١) سبحانه) وروي عن ابي جعفر الباقر (عليه السلام) قال (أيام الله عز وجل ثلاثة: يوم يقوم القائم، ويوم الكربة - أي الرجعة - ويوم القيامة) وعن ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال (ذكرهم بنعم الله سبحانه في سائر أيامه)^(٢).

اقول: بقية الآية ونهايتها تشعر بهذا المعنى قال تعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (إبراهيم/٥)، فالصبر على البلاء والشكر على النعماء.

وقد يضيف الله تعالى بعض الأيام الى نفسه ليزيد فيها من عطائه الخاص على عباده فيدعوهم الى ذكره ودعائه ليذكّرهم برحمته وكرمه وعفوه

(١) من قوله تعالى (وَقَدْ خَلَقْنَا مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّاتُ) (الرعد/٦) أي النعمات التي تجعل من تنزل به مثلاً يرتدع به الآخرون.

(٢) تفسير البرهان : ٢٣٣/٥.

ومغفرته (فَادُكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ) (البقرة/١٥٢) كيوم عرفة وشهر رمضان ومنها هذه الايام التي اطلت علينا مع حلول شهر رجب المرجو لكل خير كما في الدعاء المستحب فيه يوماً (يا من أرجوه لكل خير وآمن سخطه عند كل شهر)، فقد شرف الله تعالى هذه الايام وبارك فيها من الطافه ودعاهم الى التعرض لنفحاته (إن لله في دهركم نفحات الا فتعرضوا لها)^(١)، أي تعرضوا لأسبابها من الأزمنة والامكنة والاحوال المختلفة لأن نفس النفحات من الغيب الإلهي ولا يعلمها العباد فكيف يتعرضون لها؟

فكل أيام هذه الأشهر الثلاثة (رجب وشعبان ورمضان) شريفة ومباركة وسنّها لها الأئمة المعصومون (عليهم السلام) أعمالاً مستحبة كثيرة، وتتألاً خلالها أيام اشد نوراً وعطاءً ومنها اليوم الاول من رجب وليلته، في الحديث الشريف عن الامام الصادق (عليه السلام) عن ابائه عن علي (عليه السلام) قال (كان يعجبه أن يفرغ نفسه أربع ليالٍ في السنة، وهي أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة النحر)^(٢).

وفي الختام نقول ان الآية الكريمة تدعو جميع المؤمنين الرساليين أن يتأسوا بالأنبياء العظام والأئمة الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين) فيذكرون الناس بأيام الله تعالى، تلك الايام التي تربطهم بالله تعالى وتزيد معرفتهم به وتوثق علاقتهم بربهم.

(١) أنظر ملحق القبس (وسارعوا الى مغفرة من ربكم).

(٢) مفاتيح الجنان: ١٧٦ أعمال الليلة الاولى من رجب.

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ)..... (٦١)

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ)^(١)

[الحديد : ١٦]

الذي أريد أن أعرضه هنا هو كيف نحول إيماننا بالله تعالى من مستوى النظرية إلى مستوى التطبيق، يعني إذا كنا كلنا نعلم أنّ هذا التصرف خطأ فلماذا نفعله؟ وإذا كنا نعلم أنّ هذا التصرف صحيح فلماذا لا نفعله؟ كيف نوّلد في أنفسنا الدواعي والدوافع نحو التطبيق بحيث نتعامل مع الله تبارك وتعالى كأننا نراه فإن لم نكن نراه فإنه يرانا؟ وهذا مما لا يشك فيه مؤمن.

فهذه المرأة التي لا تلتزم بالحجاب، وهذا الشاب الذي لا يصلي، وهذا الشخص الذي يلعب الطاولة والدومينو والمؤذن ينادي حيّ على الصلاة، وهؤلاء الذين يغشون في السوق ويأكلون المال بالباطل متذرعين بالحيل الشرعية، وهذا الذين يخون الأمانة، وهذه العشائر التي تحكم بغير ما أنزل الله وتتقاتل فتسفك الدماء وتُتيم الأطفال من أجل الأمور التافهة، وهؤلاء الشباب والشابات الذين يكونون علاقات غير مشروعة تحت عناوين مختلفة كالزمانة ونحوها، كل هؤلاء وغيرهم ألا يعلمون أنّ هذه أفعال محرمة لا يرضاها الله تبارك وتعالى؟ لا بد أنهم يعلمون! فما الذي يُجرّتهم على الله؟! ألا يعلم هؤلاء أنّ أماننا عقبه كؤوداً هي الموت، وما بعد الموت أعظم وأدهى؟ أليس هؤلاء

(١) أُلقيت يوم عيد الأضحى المبارك ١٤٢٢هـ الموافق ٢٣/٢/٢٠٠٢ م .

مسلمين ويؤمنون بالله - ولو نظرياً على الأقل - ويؤمنون بالآخرة والمعاد والحساب، فلماذا لا ينعكس هذا الإيمان على تصرفاتهم؟ أين الخلل؟ وهنا تذكرت كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما رأيت يقيناً أشبه بشكٍّ مثل الموت)، فإنه يقين مائة بالمائة على مستوى النظرية، لكنك لا تجد من يؤمن به عملياً، بمعنى أنه يستعد له الاستعداد الكامل، وكأنه كُتِبَ على غيره، فتري الإنسان إذا عزم على سفر قد لا يطول شهراً يُعدُّ كل ما يحتاجه أو يُحتمل أنه يحتاج إليه، ويهيئ جميع أموره حتى الحقيير منها، فلماذا لا يستعد بنفس الاستعداد لسفر الآخرة ويحضر زاده لهذا السفر الذي بينه القرآن الكريم: [وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ] (البقرة: ١٩٧)، وقال الإمام الحسين (عليه السلام): (وحصل زادك قبل حلول أجلك).

فكيف نرجع إلى الله تعالى ونعود إليه خصوصاً بمناسبة العيد الذي قلنا أن معناه العود إلى الله تبارك وتعالى؟ وكيف نحجب الإيمان إلى نفوسنا وقلوبنا استجابة للعتاب الرقيق الرحيم الذي يوجهه الله تبارك وتعالى إلينا نحن المؤمنين: [أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ] (الحديد: ١٦)، ثم يضرب لنا مثلاً لهذه القلوب التي تقسو بسبب الخوض في أمور الدنيا، لكنها ترقّ وتحيى بعد أن يزهر فيها الإيمان وتعمر بذكر الله تعالى، فيقول في الآية التالية: [اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] (الحديد: ١٦-١٧)، بل قد وصف في

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ)..... (٦٣)

آية أخرى إعمار القلب بالإيمان وذكر الله بالحياة، فقال الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ] (الأنفال: ٢٤)، ونحن هنا نثير بعض المحفزات النفسية والعقلية والقلبية التي تحثنا نحو التطبيق:

١- إن من شأن كل عاقل أن يرد الجميل بالجميل ويجازي الإحسان بالإحسان [هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ] (الرحمن: ٦٠) [وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ] (القصص: ٧٧)، ونعم الله تعالى علينا كثيرة سواء على صعيد أبداننا التي هي عبارة عن معامل ومصانع كثيرة تعمل بدقة وإتقان، وأبسط مراجعة لكتاب (الطب محراب الإيمان)^(١) تنبئك عن هذا مما يوقف شعر رأسك، أو على صعيد الحياة حولنا من كون متناسق وأرض طيبة معطاء ونعم لا تعد وتحصى [وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها] (إبراهيم: ٣٤)، وجزاء الإحسان إحسان مثله، ولما كان الله غنياً عن عباده ولا يمكن أن يصل إليه نفع من أحد، فرَّد الإحسان بالنسبة إليه طاعته، ومن أشكال شكر النعم أن تطيع المنعم بها، أمّا عصيانه مع نعمه الوفيرة فهذا مما لا يرضاه عاقل.

٢- إن كل واحد منا يحب أن تزيد النعم عليه، وهي بيد الله سبحانه المنعم الحقيقي، وقد وعدنا سبحانه: [لئن شكرتم لأزيدنكم] (إبراهيم: ٧)، وفي الحديث: (بالشكر تدوم النعم)، فعلى من يريد زيادة النعم كالمال والبنين والجاه والصحة وغيرها فعليه أن يطيع الله ويشكره ليزيده الله من النعم [وَكُوْنُوا أَهْلَ الْقُرَىٰ آمِنُونَ وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ]

(١) تأليف: الدكتور السوري خالص جلبي، وهي رسالة دكتوراه في كلية الطب.

(الأعراف:٩٦).

٣- إنه إذا أخبرنا إنسان ثقة بأن حيواناً مفترساً في هذه الجهة، فإننا سنهرب بالاتجاه المعاكس، ونحذر منه ونتخذ الإجراءات الواقية من الوقوع في الخطر، فإذا أكد هذا الخبر ثقة آخر ازداد استعدادنا لذلك وكنا أكثر حزمًا، وقد أخبرنا مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ومثلهم من الأوصياء والعلماء أنه سيكون هناك يوم قيامة يثاب فيه المطيع على طاعته ويعاقب العاصي على عصيانه بنارٍ وقودها الناس والحجارة، أفلا يوجب هذا البيان المؤكد الحذر والابتعاد عن كل ما يورطنا في هذه النار المتأججة، وقد وصفها القرآن الكريم بمشاهد مرعبة، وأخبرنا أن معصية الله سبحانه توقعنا فيها، وأن طاعته تورثنا جنة عرضها السماوات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ] (السجدة: ١٧)؟.

٤- أن نسأل أنفسنا سؤالاً: ماذا يخسر الإنسان لو أطاع الله سبحانه واستقام على الشريعة؟! لا يخسر شيئاً، بل هو يعيش ويتمتع بالحياة كما يفعل البعيد عن الله سبحانه، وفوق ذلك له المكاسب الدنيوية والأخروية التي يحققها له الإيمان بالله سبحانه والسير على شريعته، قال الله تعالى: [وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ] (النساء: ١٠٤)، وقد اتبع هذا الأسلوب الإمام الصادق (عليه السلام) حين قال لأحدهم: (يا هذا إن كان ما تقول أنت - بأنه لا جنة ولا نار ولا حساب حق - فنحن وأنتم سواء، فإننا نأكل كما تأكلون وننكح كما تنكحون، وإن كان الأمر كما نقول

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ)..... (٦٥)

هلكتم ونجوناً^(١) وهو أسلوب لا يستطيع أن يرفضه أي عاقل.

٥- أن نلتفت إلى أن الله تعالى مطلع علينا ولا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، وقد جعل على كل واحد منّا ملائكة يحصون الأعمال في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، وجعل الشهود على ذلك من أعضائنا التي نمارس بها حياتنا [شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِيُجْلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنْنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنْنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ] (فصلت: ٢٠-٢٣)، فإذا التفتنا إلى هذه الحقائق فسنكون دقيقين في تصرفاتنا، وسنحسب ألف حساب قبل أن نورط أنفسنا في المعصية.

٦- إن الإنسان الذي يمتنع عن إعطاء شيء من نفسه أو ماله لطاعة الله تعالى فإنه سيدفع أكثر منها في معصية الله وهو راغم، وستكون عليه حسرة يوم القيامة، فلا يدفع الحقوق الشرعية في أمواله لكنه يدفع أموالاً كثيرة في أمور تافهة تجرّ عليه حسرة يوم القيامة، أو يقصّر في العبادة أو يتكاسل عن قضاء حوائج المؤمنين فيبتليه الله بمشاغل كان يمكن أن يدفعها الله عنه لو لم يقصر في طاعة الله فيفوز بالآخرة ويكفيه الله مؤونة الدنيا وتعبها.

(١) الكافي: ٧٨/١.

٧- إن من يطيع الله سبحانه ويتجنب معصيته يعيش لذة الانتصار على أعدى أعدائه، وهي النفس الأمارة بالسوء كما وصفها الحديث الشريف، وكلما كان تمرد النفس على الترك قوياً كان الفعل أكثر لذة، مثلاً: تعرض أمامك امرأة متبرجة قد أظهرت مفاتها أو طالبة جامعية أو زميلة في دائرة تبرعت بإنشاء علاقة عاطفية معك فتنتصر أنت على نفسك الطموحة إلى ذلك، فتعيش لذة الانتصار، وهو ما أشار إليه الحديث الشريف: (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها لله تعالى أبدله الله نوراً وإيماناً يجد حلاوته في قلبه)، أو يغيظك شخص ويسيء إليك وأنت قادر على رد إساءته، فتتركها لله تعالى وتنتصر على نفسك التي ترغب بالتشفي والانتقام، وهذا معنى الحديث: (ما جرة أحبُّ إليّ من جرة غيظ لا أكافي بها صاحبها)^(١).

وتوجد نقاط كثيرة لا أعتقد أن الوقت يسع لها. ولكن نلفت^(٢) النظر إلى أمرين مهمين يدعوان الإنسان إلى الالتزام بالشرعة والعمل بالقوانين الإلهية:

الأمر الأول:

إن التكاليف الشرعية ليست طوقاً في عنق الإنسان ثقيلاً يريد أن يتحرر منه، بل هو تشريف له. وأضرب لك مثلاً لو أن الملك دعي إلى مأدبة فأناج إنساناً بدلاً عنه، كم سيكون هذا الإنسان محظوظاً أن ينال شرف النيابة عن

(١) الكافي: ١٠٩/٢.

(٢) هذه الاضافة من بيان مفصل صدر بمناسبة حلول شهر رمضان في تلك الفترة أي ما قبل سقوط صدام المقبور عام ٢٠٠٣ ألحقناه في نهاية هذا الكتاب بعنوان (فلنرجع إلى الله).

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ)..... (٦٧)

الملك ويتحدث باسمه، فكذلك الإنسان اختاره الله سبحانه ليكون خليفته في هذه الأرض [إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً] (البقرة: ٣٠) والله ملك الملوك ورب الملوك فكم تكون عظمة النعمة أن يستخلف أحداً ويسخر له كل ما في الأرض [هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً] (البقرة: ٢٩) وينقل عن شخص عارف انه احتفل يوم بلوغه سن التكليف الشرعي لأنه يوم تشريفه بأعظم النعم.

الأمر الثاني :

إن الشريعة الإلهية إنما وضعها الله سبحانه لتنظيم حياة البشر وهدايتهم إلى ما فيه صلاحهم؛ لأنه خالقهم وهو العارف بما يصلحهم، فإن أي جهاز يعطل نرجع إلى الشركة المصنعة للجهاز فتعرف عيبه وطريقة إصلاحه، والله هو خالق الإنسان وصانعه فهو العارف بمناشئ انحرافه وطرق علاجها، ومن القبيح والمستهجن أن نرجع إلى نفس الإنسان التائه الضال ليرسم لنا طريق الصلاح، وقد جربت البشرية كل النظم الوضعية فزادتها سوءاً على سوء وظلماً على ظلم، وما زالت تتجرع ويلات تلك النظم البشرية، والنتيجة أن الالتزام بالتعاليم الإلهية هو الطريق الوحيد الذي يضمن للبشرية سعادتها واستقرارها وطمأنينتها، وأنت ترى بعينك وتحس سعادة المؤمن واستقراره الروحي في مقابل شقاء الكافر الفاسق وصراعه النفسي وانحرافات [وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى] (طه: ١٢٤).

فعلى الأخوة المؤمنين أن يلتفتوا إلى هذه النقاط التي ذكرناها ويعملوا

على تحقيقها دائماً، ولا يغرنكم بالله الغرور وهو الشيطان الذي يريد أن يخرجكم من الجنة، أي جنة طاعة الله سبحانه ورضوانه، قال تعالى: [وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] (التوبة: ٧٢) [كَمَا أَخْرَجَ أَبُويَكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا] (الأعراف: ٢٧) وهو تقوى الله سبحانه، قال تعالى: [وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ] (الأعراف: ٢٦) ليريهما سوءاتهما وعورتهما، وأساء العورات هو الانحراف عن طاعة الله سبحانه، والانغماس في طاعة الهوى والنفس الأمارة بالسوء. قال تعالى: [إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ] (الأعراف: ٢٦).

فما أشد العدو الذي يرانا ولا نراه، ولكن الله تعالى أعاننا عليه ونبهنا إلى خدعه وغروره وشراكه وفخوخه، وما علينا إلا أن نكون على حذر وملفتين، ولا تأخذنا الغفلة فإنه ليس له سلطة على البشر إلا التزيين والغواية، ويبقى اتخاذ القرار بإرادة الإنسان واختياره [وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَوَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] (إبراهيم: ٢٢) فليس لنا أن نتسامح ونتهاون في أمر الله سبحانه فنخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

إننا جميعاً مطالبون بالعودة إلى الله سبحانه والرجوع إليه لأنه هو الغاية وهو المنتهى [إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ] (العلق: ٨) [وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْأُمْتَهَىٰ] (النجم: ٤٢) قال تعالى: [قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَشَىٰ وِفْرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا]

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ).....(٦٩)

(سبأ:٤٦)، فلنغسل قلوبنا مما علق بها من أدران المعاصي ولنتوجه إلى الله ضارعين تائبين عازمين على عدم العود لمعصيته، وإن الله ليفرح بعودة عبده إليه أكثر من فرح شخص تائه في الصحراء قد فقد دابته وعليها كل متاعه وما يحتاج إليه من مؤنه، ثم عثر عليها فأوصلته إلى غايته، وقد قال تعالى [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ] (البقرة:٢٢٢)، أما يريد أحدكم أن يكون ممن أحبه الله سبحانه؟! ولك أن تجرّب عندما يحبك مدير دائرتك أو رئيسك أو مرجعك كم تشعر بالنشوة، فكيف إذا أحبك رب العالمين وخالق الكون وما فيه؟!.

أسأل الله سبحانه لنا جميعاً الهداية والتوفيق خصوصاً في الفرص العظيمة التي أعدها الله سبحانه ليزيد فضله على عباده فيها وليضاعف النعم عليهم، سواء على صعيد الزمان كشهر رمضان والليالي والأيام الشريفة العظيمة، أو المكان كالمساجد والعتبات المقدسة في مجالس ذكر أهل البيت (عليهم السلام) والاحتفال بمناسباتهم، فاغتنموا هذه الفرصة إن إضاعة الفرصة غصة، وأختم كلامي بوصية رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لأبي ذر: ((يا أبا ذرّ اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)).

ومن أعظم الأسباب التوسل بأولياء الله العظام وخصوصاً بقية الله الأعظم الذي نعيش برعايته وبركاته وأنظاره الشريفة، جعلنا الله من أهل خاصته وذوي الخطوة لديه وما ذلك على الله بعبير..

(٧٠) ساكن القلب

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا لَطَاعَتِهِ، فَتَكُونَ أَيَّامُنَا كُلَّهَا أَعْيَاداً، وَالْعِيدَ الْأَكْبَرُ
حِينَ نَلْقَاهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ رَاضٍ عَنَّا [وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ] (التوبة: ٧٢).

(هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)..... (٧١)

(هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه)^(١)

[لقمان: ١١]

معنى الخلق:

(هَذَا خَلَقَ اللَّهُ) اي هذه مخلوقات الله تعالى فـ (خلق) اسم مصدر بمعنى المفعول، في تفسير القمي (هَذَا خَلَقَ اللَّهُ) اي مخلوق الله، لان الخلق هو الفعل، والفعل لا يُرى وانما اشار الى المخلوق، والى السماء والارض والجبال وجميع الحيوانات فأقام الفعل مقام المفعول^(٢).

ماذا وجد من فقدك:

(فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) من الآلهة والشركاء التي يدعونها، وهذه الدعوة تتضمن عدة معانٍ:

١- تحدي المشركين والملحدّين والكفار ليقدّموا ما صنّعه الهتهم التي يعبدونها من دون الله، فاذا عجزوا - وهم عاجزون قطعاً حتى عن استنقاذ ما يسلبهم الذباب منه وهم يعلمون بعجزهم - فليذعنوا بألوهية الله تبارك وتعالى وليثوبوا الى رشدهم وليحترموا عقولهم، فالآية فيها تحدي وتعجيز وانتزاع

(١) كلمة القيت يوم السبت ١٤/محرم الحرام/١٤٣٦ المصادف ٢٠١٤/١١/٨.

(٢) تفسير البرهان: ٧ / ٢٧٨.

للإقرار منهم.

٢- اظهار حب الله لخلقه وتكريمه تعالى اياهم واحترامه لهم باعتبارهم صنعا جميلا له تبارك وتعالى حتى انه سبحانه يتباهى بهم امام الاخرين فيقول (هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) كما ان الصناع المبدعين يتباهون بما صنعوا امام اهل المهنة والزبائن.

٣- تذكير عباده بنعمته العظيمة ومعجزاته في خلقه التي يغفلون عنها لطول الفتهم لها واعتيادهم عليها ولجهلهم او أي شيء اخر فتراهم يقفون مبهورين امام جهاز يصنعه الانسان ويتقن صنعه لكنهم يمرّون معرضين على هذا الخلق العجيب.

٤- الفات نظرهم الى تجليات صفاته الحسنی في صنعه من القدرة والعلم والحكمة والعظمة والإنعام ونحو ذلك ليزدادوا معرفة بربهم (سُئِرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت / ٥٣).

الذين ظلموا أنفسهم:

وهنا يأتي الحكم النهائي الذي يصدره كل عاقل منصف على من لم يُدْعن بهذه الحقائق وليتوجه الى خالقه الحقيقي (بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) لقمان/١١، الذين ظلموا انفسهم بعدم اتباع الحق (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان/١٣) رغم كل هذه الحجج الدامغة (فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) (الأنعام / ١٤٩)، فعبدوا وخضعوا لآلهة من دون الله تعالى سواء كانت مادية صنعوها من الحجر

(هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)..... (٧٣)

او الخشب او التمر او اعتبارية صنعوها من شهواتهم وحماقاتهم او صنعها الاخرون من جبايرة وطواغيت او اسواق مالية او الفن او الرياضة ونحو ذلك من الرموز التي تعبد وتطاع من دون الله تعالى، فمن اضل من هؤلاء، ومن هو احمق واجهل منهم (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ اَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا اُولَئِكَ كَالْاَنْعَامِ بَلْ هُمْ اَضَلُّ اُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ) (الأعراف/١٧٩).

العلم والإيمان جناحا المعرفة:

بعد هذا العرض المختصر لما نفهمه من الآية الكريمة نقول انكم - معاشر الاطباء والمتخصصين في العلوم الطبية والعلاجية - اقدر الناس على فهم المعاني التي ذكرتها لهذه الآية من الانبهار والتحدي بخلق الله تعالى والفتات النظر الى عظيم نعم الله تعالى لأنكم وقفتم على التفاصيل المذهلة في جسم الانسان وفي كل ذرة من ذراته حتى خاطبه الشاعر:

أتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ويكون ايمانكم وتدينكم حينئذٍ ذا قيمة اكبر لأنه عن معرفة ووعي وبرهان .

قرأت كتاباً في فلسفة جسم الانسان صدر في اوائل سبعينيات القرن الماضي أبان المواجهة بين الايمان والالحاد وكان عنوانه (الطب محراب الايمان) وهي اطروحة دكتوراه في هذا الاختصاص ودُهِلتُ من عجائب خلق الانسان وبنفس الوقت اصابني الرعب لان اي اختلال في موازين هذه القوى

والهرمونات او اداء اعضاء لوظائفها - وهي عبارة عن مصانع معقدة ضخمة - فانه يؤدي الى كارثة صحية تجعل الحياة بائسة لولا لطف الله تبارك وتعالى .
فهنيئا لكم هذه النعمة العظيمة اذ بعد تحصيلكم لهذا العلم الشريف وُقِّتم لممارسته هذه المهنة النبيلة ذات الوزن الكبير في ميزان الاعمال الصالحة لان فيها انقاذ حياة الناس والتخفيف من آلامهم وادخال السرور عليهم وتفريج الكرب عنهم وهي من اعظم القربات الى الله تعالى وثوابها عند الله عظيم في الدنيا والاخرة مع اخلاص النية والعمل لما عند الله تبارك وتعالى .

تجارة مربحة:

هذا ولكن الامام الحسين عليه السلام يدلنا على تجارة اربح من تجارتكم العظيمة هذه، وتستطيعون الجمع بينهما من خلال حديثه الآتي، قال عليه السلام لرجل: (ايهما احبُّ اليك، رجل يروم قتل مسكين قد ضعف تنقذه من يده، او ناصب يريد اضلال مسكين من ضعفاء شيعتنا تفتح عليه ما يمتنع به ويفحمه ويكسره بحجج الله تعالى) قال عليه السلام: (بل انقاذ هذا المسكين المؤمن من يد هذا الناصب، ان الله تعالى يقول (مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) المائدة ٣٢ اي ومن احيائها وارشدها من كفر الى ايمان فكأنما احيا الناس جميعا من قبل ان يقتلهم بسيوف الحديد)^(١) .

فهذه المعرفة وهذا الايمان الذي اكتسبتموه من مشاهدة وبرهان مع ما تضيفون اليه من معارف دينية واخلاقية وفكرية تستطيعون نقلها للآخرين

(١) بحار الانوار: ٢ / ٩ ح ١٧ عن تفسير العسكري: ٣٤٨ / ح ٢٣١ .

(هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ).....(٧٥)

فتجعلون منها وسيلة للهداية والاصلاح وتحصين اخوانكم من الانحراف فتسيرون بذلك على خُطى الانبياء والمرسلين والائمة (صلوات الله عليهم اجمعين).

ان مجتمعنا خصوصا جيل الشباب يتعرضون لهجمات متنوعة من الداخل والخارج مليئة بالشبهات والفتن والضلالات لابعادهم عن الدين القويم والصراط المستقيم فلا بد من ان تتعبوا انفسكم وتسلحوا بالعلم والمعرفة ونشرها لتحصين شبابنا من الانحراف الفكري والاخلاقي.

تأتيني رسائل عديدة من الشباب عبر الايميل يتحدثون فيها عما يتعرضون له اثناء ايفادهم خارج العراق من مؤثرات وغسيل دماغ بأساليب علمية ينبهر بها المتلقي فيتبع اجنداتهم، وهم مخادعون يعطونه نصف الحقيقة، ويوهمونه انها تنفي وجود الخالق او تؤدي الى عدم الحاجة الى الدين ونحو ذلك ولو اعطوا الحقيقة كاملة لوجدوها لا تنافي الدين على اقل تقدير وربما ستجدها مؤيدة للشوابة الدينية بل ان تعاليم الدين سبقت العلم الى الكثير من الحقائق التي اكتشفها لاحقا وقد رأينا كيف صوروا نظرية اصل الانواع او الانفجار العظيم او علم الداينتكس على انها تنفي وجود الخالق مع انها على العكس تماما ولكن تحتاج الى اخذ المعلومة كاملة.

(أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان)^(١) [التوبة: ١٠٩]

تأسيس بناء الإنسان على التقوى

قال تعالى (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) (التوبة: ١٠٩).

بنيان التقوى ورضوان الله تعالى:

تُبين الآية قاعدة اخرى من قواعد السلوك المعنوي والبناء الصالح للإنسان والمجتمع، وقد عُرضت بشكل استفهام لطلب المقارنة والتمييز بين بنيانين، لكنه ليس استفهاماً حقيقياً لاستحالاته في حق الله تعالى ولوضوح الجواب، بل هو استفهام استنكاري لتوبيخ الجهلة وأهل الغفلة والمتعصبين والمنافقين الذين لا يميزون بينهما، وهو استفهام تقريرى لترسيخ الاسس المتينة للبنيان الصحيح.

وجاءت الآية بعد المقارنة السابقة عليها (والَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَيَخْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا

(١) كلمة القيت يوم الاثنين ٢/جمادى الاخرة ١٤٣٦ المصادف ٢٣/٣/٢٠١٥ على الطلبة

الجامعيين المشاركين في الزيارة الفاطمية.

تأسيس بناء الإنسان على التقوى (٧٧)

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (التوبة ١٠٧-١٠٨).

ولا شك أن المسجد الحق الذي تقوم فيه هو الثاني لأن حقيقة المسجدية متوفرة فيه وأهداف المسجد متحققة منه ولأن فيه رجالاً يسعون للتطهر والكمال وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ بعكس الأول الذي ظاهره المسجدية وشعاره ديني الا أن كل أهدافه هي حرب على الدين وأهله.

وهنا يأتي الاستفهام الاستنكاري والتقرير الذي بدأنا به فأن البنيان المثمر الراسخ الرصين هو ما أسس على ركيزتين: التقوى ورضوان الله تعالى، فالأساس الاول التقوى المأخوذة من الاتقاء والاجتناب والاحتماء تعني تجنب كل شيء سيء وخبيث سواء على مستوى النيات أو الأعمال فلا رياء ولا سمعة ولا حب الجاه والدنيا ولا مصادر غير مشروعة للمال وأساليب ماكرة في العمل، والأساس الثاني هو الرضوان الذي يعني اشتراك كل العناصر الإيجابية من نظافة الأيدي وسلامة النيات والصدق في العمل وابتغاء الخير والإحسان.

ويقابله ببيانٌ فاشلٌ في مهب الريح وبالٌ على أصحابه يشبهه القران الكريم بمن بنى على (شفا) أي حافة (جرف) وهي حافة النهر أو البئر التي جرف الماء ما تحتها فهو (هار) أي متصدع مشرف على السقوط والانهيال في أي لحظة لأنها حافة منحورة متآكلة فيسقط في هذا الوادي المرعب العميق.

ولا يختلف اثنان في أن البنيان الأول هو الثابت الجيد الذي يطلبه العقلاء فعليهم أن يتوجهوا الى مثله، ويتجنبوا الثاني.

مسجد ضرار:

والآيات وإن نزلت في حالة قائمة في زمن النبي ﷺ وهما مسجد ضرار^(١) الذي بناه جمع من المنافقين في قضية معروفة للأهداف المذكورة في الآية / ١٠٧ المتقدمة وقد أمر النبي ﷺ بإحراقه، وفي مقابله مسجد قبا أو مسجد النبي ﷺ الذي أسس على التقوى إلا أنها - كما هو شأن سائر الآيات القرآنية - عامة شاملة لكل بنيان لذا قلنا إنها تؤسس لقاعدة عامة من قواعد السلوك، روى في مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام في تأويل الآية قوله عليه السلام (وكل عبادة مؤسسة على غير التقوى فهي هباء منثور)^(٢).

ركائز النجاح القرآني:

وفي ضوء هذا المعنى الواسع للآية الكريمة تكون النتيجة أن كل حالة أو مؤسسة أو مشروع فردي أو جماعي يراد له أن يكون صالحاً ومثمراً ومتيناً ويدوم عمله لا بد أن يشتمل على ركنين:

- ١- أن يكون الغرض الذي أسس من أجله والهدف الذي يصبو إلى تحقيقه نبيلاً سامياً والنية التي تدفعه إليه حسنة مستندة إلى تقوى الله تبارك وتعالى وطلب رضوانه (أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ).
- ٢- أن يكون القائمون على هذا البنيان والمدبرون لأمره والعاملون فيه

(١) حكى بعض المطلعين ان موقع مسجد ضرار الى اليوم لا يتقبل الاعمار والبناء ويقول من هناك انه كلما عُمِّرَ احترق وتهدم والله العالم.

(٢) نور الثقلين: ٢٦٨/٢.

تأسيس بناء الإنسان على التقوى (٧٩)

مؤمنين مخلصين يحبون الخير والتطهر والكمال ويسعون اليه (فيه رجالٌ يُحِبُّونَ
أَنْ يَتَطَهَّرُوا).

وإلا فان البناء ينهار ولا يحقق شيئاً بل يكون وبالاً على أصحابه في الدنيا
والآخرة وإن رفع شعارات وأسماء دينية لخداع الناس وسوقهم لتحقيق
المصالح الشخصية فلا يصح أن يكون الانسان مغفلاً وينخدع بالعناوين الفارغة
من المحتوى الصحيح.

المنهج الإصلاحى فى القرآن الكريم:

وينبغى ملاحظة نقطة مهمة فى المسيرة الإصلاحية للشريعة المقدسة وهى
أنها تقدم البديل الصالح حينما تهدم الحالة الفاسدة (لأنَّ تَقُومَ فِيهِ - أى مسجد
ضرار- والبديل أحقُّ أن تَقُومَ فِيهِ -وهو المسجد المؤسس على التقوى) وهو
منهج ربانى اعتمده الشريعة منذ أول كلمة نطق بها الرسول الكريم ﷺ (لا
اله الا الله) فهى فى الوقت الذى تبطل الآلهة المزيفة المصطنعة تُقيم عبادة
التوحيد لله تبارك وتعالى، فلنتعلم اننا حينما نريد هدم حالة معينة فاسدة
اجتماعية او ثقافية او عقائدية علينا ان نؤسس ونبنى البديل الصالح، فحينما
نريد معالجة الفساد الاخلاقى والانحراف الجنسى علينا ان نيسر امور الزواج
ونساعد عليه وهكذا.

بناء مستقبل الشباب:

أياها الأحبة من الشباب وطلبة الجامعات الذين وفدتم الى النجف الأشرف

لتعزية أمير المؤمنين عليه السلام باستشهاد زوجته بضعة النبي صلى الله عليه وآله.

استحضروا هذا المعنى وأنتم تتلون هذه الآية الشريفة واجعلوها نبراساً وبوصلةً لحياتكم لأنكم بصدد وضع حجر الأساس لعدد من مشاريع البناء:

المشروع الاول: بناء النفس والذات والمستقبل المعنوي والعلاقة مع الله تعالى التي هي أساس الحياة الآخرة الباقية لأن الفتى الذي يبلغ سن الرشد ويلتحق بالبالغين هو في بداية حياة جديدة يُشرف فيها بالتكاليف الالهية وتفتح امامه فرص التكامل والقرب الالهي عليه ان يلتفت الى بناء حياته على تقوى من الله ورضوان، ويكون كما أراد الإمام السجاد عليه السلام في دعائه (واجعل الحياة زيادة لي في كل خير والوفاء راحة لي من كل شر) لذلك أعطت الأحاديث الشريفة قيمة كبيرة لمن ينشأ من أول أمره ويؤسس بنيان نفسه على طاعة الله تعالى، عن النبي صلى الله عليه وآله قال (سبعة في ظلّ عرش الله عز وجل يوم لا ظل الا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل...) ^(١) وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله (فضل الشاب العابد الذي تعبّد في صباه على الشيخ الذي تعبّد بعدما كبرت سنّه كفضل المرسلين على سائر الناس) ^(٢) وعنه صلى الله عليه وآله قال (إن أحب الخلائق الى الله عز وجل شاب

حدث السن في صورة حسنة جعل شبابه وجماله لله وفي طاعته، ذلك

الذي يباهي به الرحمن ملائكته، يقول: هذا عبدي حقاً) ^(٣).

(١) الخصال: ٣٤٣ ح ٨

(٢) كنز العمال: ٤٣٠٥٩.

(٣) كنز العمال: ٤٣١٠٣.

تأسيس بناء الإنسان على التقوى (٨١)

المشروع الثاني: إن الطالب الجامعي الذي يُنهي دراسته ويتوجه الى العمل والكسب عليه أن يفهم أنه يبني مستقبله ويحدد بوصلة حياته القادمة فلا بد أن يحدد اختياره لنوع الوظيفة والعمل ويضع برنامج عمله وفق هذه الاسس المتينة للبناء.

المشروع الثالث: إنكم مقبلون على الزواج إن شاء الله تعالى بعد المشروع الثاني والزواج وُصفَ في بعض الأحاديث الشريفة أنه بنيان، عن أبي جعفر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (مَا بُنِيَ بِنَاءٌ فِي الْإِسْلَامِ أَحَبُّ إِلَيَّ إِلَيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ التَّزْوِيجِ) ^(١) فالذي يريد أن يبني حياة زوجية سعيدة صالحة ثمرة عليه أن يبنئها من أول خطوة عندما يبحث عن الزوجة أن يجعل أساس اختياره التقوى ورضوان الله تعالى في صفات الزوجة ومعدنها وفي نيته من مشروع الزواج، وليس البحث عن الامور الدنيوية الزائلة، وهو ما نطقت به الأحاديث الشريفة، كقوله صلى الله عليه وآله (عليك بذات الدين)، والمرأة يوجه لها نفس الخطاب قال صلى الله عليه وآله: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه) ^(٢).

المشروع الرابع: ما بعد الزواج وهو إنجاب ذرية طيبة صالحة تكون عاقبتهم الى خير عليه وذلك بأن يؤسس بنيانهم ويلتفت الى تربيتهم من أول

أيامهم على الخير وطاعة الله تعالى والأخلاق الفاضلة وتجنب الرذائل فإن

(١) وسائل الشيعة: كتاب النكاح، ابواب مقدماته وآدابه، باب ١ ح ٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٠٣ ص ٣٧٢ ح ٣.

بناءه سيكون رصيناً ثابتاً مستقيماً حتى ورد عن رسول الله ﷺ قوله (من تعلم في شبابه كان بمنزلة الرسم في الحجر)^(١) وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال (العلم من الصغر كالنقش على الحجر)^(٢) أما إذا لم يكن أساسه كذلك وحصل اعوجاج فيحتاج الى مشقة كبيرة لإصلاحه وقد يتعذر ذلك كما هو واضح. فليتفت أحبنا الشباب وأولياء امور الفتیان والصغار الى هذا المعنى. وهكذا تتوسع الحالة الى الذي يتصدى لقيادة دينية أو سياسية في مساحة صغيرة أو مساحة واسعة ويريد أن يبني مجتمعاً صالحاً فانه لا بد أن يكون أساس بنيانه تقوى الله تعالى وطلب رضوانه، روي في الحديث الشريف (صنفان من امتي ان صلحا صلحت وان فسدا فسدت: العلماء والامراء)^(٣).

فيه رجال يحبون أن يتطهروا:

وهنا علاقة تكاملية متبادلة بين البنيان والبانى فكما أن حال البانى المعنوي المستند الى التقوى ورضوان الله تعالى مؤثر في صلاح البنيان واستقامته وديمومته، كذلك فإن البنيان الصالح المبارك - كالمشاهد المقدسة - مؤثر في صفاء نفوس رواده وسمو حالتهم المعنوية (فيه رجال يحبون أن يتطهروا)، كما أن البناء المستند الى الرياء والنفاق وخبث الباطن يؤثر في نفوس وقلوب مرتاديه، فلا بد للإنسان أن يلتفت الى الركن الثاني فيختار صحبة الصالحين

(١) بحار الانوار: ٢٢٢/١ ح ٦.

(٢) بحار الانوار: ٢٢٤/١ ح ١٣.

(٣) الخصال: ص ٣٦-٣٧ ح ١٢.

ولا يكتفي بالركن

الأول، وحينئذٍ يحظى بمحبة الله تبارك وتعالى (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ).

إحباط المشاريع الهدامة:

وعلى أي حال فهذه قضية خطيرة أثارها القرآن الكريم لا نستطيع بهذه العجالة بيان كل تفاصيلها، بحيث أن النبي ﷺ يأمر بعض أصحابه أن يحرقوا مسجد الضرار لإحباط هذا المشروع المناق الخطير الذي يمزق وحدة المجتمع المسلم مع أنه في ظاهره مشروع ديني، وهذا الكلام له بيان آخر.

دور الأسرة المسلمة في البناء الاجتماعي الصالح:

لكن ما اريد أن اقله أننا في كل تفاصيل حياتنا في عملية بناء ابتداء من بناء أنفسنا الى اسرتنا الى مؤسساتنا الى مجتمعنا الى البشرية كلها فلا بد من الالتفات الى الاسس الرصينة التي تقوم هذا البناء وتحسنه ليؤدي أهدافه بشكل تام.

وكما هو واضح فإن في كل الحالات المتقدمة وأنواع البنيان المذكور فان المرأة هي المدير التنفيذي - كما يُقال - لتلك المشاريع وهي المهندس المباشر لتنفيذ مراحل البناء واستقامته وانما سُميت امأ لأنها الاصل في هذا الوجود، ولذا ورد عن السيدة الزهراء عليها السلام قولها: (الزم رجلها - أي الام - فان الجنة تحت اقدامها)^(١).

(١) موسوعة المصطفى والعترة للشاكري: ٣٦٥/٤.

أما الرجل فهو المهندس المصمم لتلك المراحل والمخطّط لها والمقومٍ لمسيرتها.

وقد كانت السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ أكمل مثال للنجاح في بناء كل هذه المشاريع، فعلى صعيد الذات هي من الخمسة أهل الكساء أكمل الخلق وقد خُلِقَ الوجود لأجلهم: فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها (صلوات الله عليهم أجمعين) وهي محور هؤلاء الخمسة.

وعلى صعيد الاسرة فاسرتها أسعد وأطيب وأظهر اسرة هي وأمير المؤمنين وفي ظل رعاية أبيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعلى صعيد الذرية فهي أصل الذرية الطيبة الطاهرة المعصومة ومنها ذرية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى صعيد العطاء المثمر المبارك سمّاها الله تعالى (الكوثر) وجعلها هبة الله تبارك وتعالى لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) (الكوثر ١) والكوثر تعني الخير الكثير.

هذه الحقيقة القرآنية تكشف عن أهمية نشر فروع الحوزة العلمية في المحافظات المختلفة للرجال والنساء وتكتسب شرفها وأهميتها من وظيفتها في بناء الانسان والمجتمع على أساس التقوى ورضوان الله تعالى من خلال نشر المعارف القرآنية والأحكام الشرعية والأخلاق الفاضلة فابنوا مشروعكم على هذه الاسس الرصينة من أول يوم الى آخره وارفدوه دائماً بالنخبة الصالحة الطيبة من

الشباب ليكون لكم صدقة جارية بكل كلمة تدل على هدى أو تردّ عن

تأسيس بناء الإنسان على التقوى (٨٥)

ضلالة.

وأدعوكم الى التنويع في آليات عملكم وعدم التوقف عند طريقة معينة
على طول المدة لان من طبيعة الانسان والحياة التغيير والتجديد.

(وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم)^(١)

[النور: ٢٢]

درس من حياة الإمام السجاد عليه السلام:

في هذه الليلة الأخيرة من شهر رمضان المبارك نأخذ درساً من فعالية كان يقيمها الامام السجاد عليه السلام في مثل هذه الليلة، وفيها تطبيق وتجسيد لآية في القرآن الكريم، والأئمة المعصومون عليهم السلام كجدهم رسول الله صلى الله عليه وآله كان خلقهم القرآن، والآية قوله تعالى (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) النور: ٢٢.

لنتعلم تحصيل المغفرة:

فالآية تعلمنا اسلوباً لتحصيل المغفرة الالهية والعفو والصفح، وإن كان الله تعالى متصفاً في ذاته بأنه غفور رحيم وابتدى عباده بمغفرته ورحمته وإن لم يكن منهم استحقاق، لكنه تعالى يزيدهم من فضله فيعلمهم أنهم إن أحبوا أن يغفر الله لهم وكل إنسان يحب ذلك إذ ما من عاقل مستعد لملاقاة الله تعالى بعمله من دون فضل الله تعالى وكرمه فعليهم أن يتعاملوا بينهم بالعفو والصفح

(١) كلمة القيت يوم الاحد ٢٩ رمضان ١٤٣٥ المصادف ٢٧/٧/٢٠١٤.

وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ (٨٧)

ويتجاوز بعضهم عن بعض ليحتجوا بذلك على الله تعالى احتجاج انس ومودة وشفقة واستعطاف.

وهذه المعاني عبر عنها الامام السجاد عليه السلام في دعاء ابي حمزة (اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ فِي كِتَابِكَ أَنْ نَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمْنَا وَقَدْ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاغْفُ عَنَّا فَإِنَّكَ أَوْلَىٰ بِذَلِكَ مِنَّا وَأَمَرْتَنَا أَنْ لَا نُرَدَّ سَائِلًا عَنْ آبَائِنَا وَقَدْ جِئْتِكَ سَائِلًا فَلَا تَرُدَّنِي إِلَّا بِقَضَاءِ حَاجَتِي)^(١).

في العفو والصفح:

وقد جسّد الامام السجاد عليه السلام هذه الآية في فعالية كان يجريها في آخر ليلة من كل شهر رمضان، فقد روى السيد ابن طاووس في كتاب الاقبال بإسناده الى الامام الصادق عليه السلام مضمونها باختصار ان الامام السجاد عليه السلام كان يشتري العبيد والاماء خلال السنة ويؤدبهم ويفقههم وكان لا يضرب عبداً ولا امة وإذا أذنب احد منهم كتب ذنبه في صحيفة وتاريخها ولم يعاقبه. حتى إذا كانت آخر ليلة من شهر رمضان، دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهر الكتاب ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أودبك اذكر ذلك؟ فيقول: بلى يا ابن رسول الله، حتى ياتي على آخرهم ويقرّهم جميعاً.

ثم يقوم وسطهم ويقول لهم: أرفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كل ما عملت، كما أحصيت علينا ما عملنا، ولديه

(١) مفاتيح الجنان: ٣٤٩ من دعاء ابي حمزة الشمالي.

كتاب ينطق عليك بالحق، لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا احصاها، وتجد كل ما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً، فأعفُ وأصفح كما ترحو من المليك أن يعفو عنك، فأعفُ عنا تجده عفواً، وبك رحيماً، ولك عفوراً، ولا يظلم ربك أحداً، كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما اتيناها إلا احصاها.

وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم، وهم ينادون معه وهو واقف بينهم يبكي وينوح ويدعو بمضمون ما نقلناه من دعاء ابي حمزة، ثم يقبل عليهم ويقول: قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني ومما كان مني اليكم، فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا وما اسأت.

فيقول لهم: قولوا اللهم أعفُ عن علي بن الحسين كما عفا عنا فأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق فيقولون ذلك، فيقول اللهم آمين رب العالمين اذهبوا فقد عفوتُ عنكم وأعتقت رقابكم رجاءه للعفو عني وعتق رقبتي فيعتقهم.

فإذا كان يوم الفطر منحهم جوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس، وما من سنة إلا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين نفساً الى أقل أو أكثر^(١).

دروس من العفو والصفح:

أقول في الرواية دروس عديدة:

(١) المراقبات للملكي التبريزي: ١٩٩-٢٠٠.

وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ.....(٨٩)

(منها) تواضع ائمة أهل البيت عليهم السلام وسمو اخلاقهم وترفعهم عن الانتقام والرد على الاساءة مضافاً الى اننا تعرفنا من خلالها على احدى الوسائل التي نشر الامام السجاد عليه السلام علوم أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم وأخلاقهم ومظلوميتهم لأن هؤلاء العبيد كانوا ينتشرون في الامصار وينقلون ما شاهدوه من سيرة الامام السجاد عليه السلام .

هذه كلها اشارات مختصرة، والمهم هنا تطبيق الآية الكريمة على هذا الفعل، فقد كان الامام عليه السلام يستطيع أن يقوم بهذا العمل سراً بينه وبين ربه فيعفوا عن أساء اليه ويطلب من الله تعالى العفو إلا ان الامام عليه السلام كان يجري العمل علناً ليوصل هذا الدرس الى الآخرين ويُنقل عبر الاجيال مضافاً الى أن (العمل بالقلب كما انه عبادة له فإجراء ما فيه على الجوارح ايضاً عبادة للجوارح فعند الاتيان بالجوارح تتحقق العبادة بها ايضاً، وانها تؤثر في القلب تأثيراً خاصاً ورقة لا يؤثره مجرد الامر القلبي ويصير سبباً لعمل آخر مؤثر ايضاً فيمتد الفيض الدائم، لان للجوارح ايضاً حظاً من نور العمل فيؤثر عملها في القلب نوراً زائداً على نور عمله)^(١).

هذا الادب هو ما يريده الله تعالى ورسوله والائمة الاطهار (صلوات الله عليهم اجمعين) منّا، اذ لا شيء يستحق التباغض والتقاطع بين المؤمنين وخصوصا اذا كانوا ذوي رحم، وليس من المعقول اننا نرجو رضا الله تبارك وتعالى ومجاورة اوليائه في الجنان ونحن نقطع الرحم وآصرة الايمان لأجل

(١) المراقبات للملكي التبريزي: ٢٠٢.

كلمة سيئة قالها او تقصير صدر منه او تجاوز على بعض حقوقه، او تنازع بينهم على مال.

سياق الآية الكريمة:

والملفت للنظر ان الآية التي ورد فيها الامر بالعفو والصفح جاءت في سياق جريمة كبرى ارتكبها البعض في حق رسول ﷺ اذ اتهموا زوجته مارية القبطية بالفاحشة وانها ولدت ابراهيم من خدين لها لا من زوجها رسول الله ﷺ وهي الحادثة المعروفة بحديث الافك، فرغم عظم الجريمة وعظم من وقعت عليه وهو اكرم خلق الله وخاتم الأنبياء، ورئيس الدولة، وقد اشارة الآيات الى ذلك (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) النور: ١٩ وقال تعالى عنها (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) النور: ٢٣ ومع ذلك فقد جاء معها الامر بالعفو والصفح في الآية محل البحث، فكيف لا نعفو ولا نصفح نحن عن توافه الامور التي نتعرض لها في حياتنا.

(واصطنعتك لنفسى)^(١) [طه : ٤١]

الصناعة الإلهية للإنسان

أهمية الطفولة:

من المعلوم أن فترة الطفولة لدى الإنسان هي أطول من كل الكائنات الحية، وما ذلك إلا لينال التربية الكاملة والكافية التي تؤهله لممارسة دوره كخليفة لله تعالى في أرضه وليستطيع بناء كل قواه البدنية والعقلية والفكرية والنفسية حتى يتمكن من تلقي التشريف الإلهي ويبلغ سن التكليف الذي يتأخر عن السنة التاسعة عند الإناث وأكثر من ذلك عند الذكور.

ولاشك أنه كلما تتوفر للإنسان عوامل أقوى لتربيته وبنائه فإن فرصته لبلوغ الكمال والرقي أفضل وأوسع، وكلما كان الدور المناط بالشخص والمسؤولية التي سيضطلع بها أهم وأوسع، كان نوع المربي المطلوب متصفاً بكمالات أرقى.

التربية الإلهية:

ولما كان رسول الله ﷺ أكمل البشر وأفضلهم ومعداً لأداء أعظم الرسالات الإلهية، فلم يكن هناك من هو جدير بتربيته وتأديبه، لذا تكفل الله

(١) كلمة القيت يوم الثلاثاء ١٥/٢٤/١٤٣٤ المصادف ٢٦/٢/٢٠١٣.

تبارك وتعالى بذلك، قال ﷺ: (أدبني ربي فاحسن تأديبي) ^(١) وعنه ﷺ (أنا أديب الله وعلي أديبي) ^(٢).

وفي نهج البلاغة يصف أمير المؤمنين ﷺ هذه الصناعة بقوله (ولقد قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره) ^(٣).

وأرقّ تعبير وألطفه وأعظمه لهذه الفكرة هو ما ورد في القرآن الكريم في حق نبي الله تعالى وكليمه موسى ﷺ، قال تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي) (طه/٣٩) وقال تعالى: (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) (طه/٤١)، حينما يحظى الإنسان بلحظة من العناية الإلهية والألطف الإلهية فإنها تغنيه وتكفيه، فكيف بمن يُصنع كله بعين الله تعالى ورعايته ولطفه، وليس هذا فقط بل يصطعنه لنفسه خالصاً مخلصاً ليحمل رسالته الكريمة إلى البشرية فليس له نظرٌ إلى ما سوى الله تبارك وتعالى، ولا يطمع فيه أحد من شياطين الجن والإنس، والصنع كما في المفردات (إجادة الفعل) أما الاصطناع فإنه (المبالغة في إصلاح الشيء) ^(٤).

نتيجة الاصطفاء الإلهي:

وكانت النتيجة أن يكون موسى ﷺ مخلصاً لله تبارك وتعالى نبياً رسولاً

(١) البحار: ج ٦٨ ص ٣٨٢.

(٢) ميزان الحكمة: ٨٠/١.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة، ١٩٢ المسماة بالقاصعة.

(٤) المفردات: ص ٢٨٦.

من أولي العزم ﴿وَإِذْ كُرِّفِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ (مريم / ٥١)، هكذا تتدخل الألفاظ الإلهية في صناعة الأفضال المؤهلين للأدوار العظيمة، والمستحقين للمقامات السامية، ومنهم أهل البيت عليهم السلام، فقد أراد الله تعالى أن يكونوا معصومين مطهرين مخلصين له تبارك وتعالى، قال تعالى (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (الأحزاب/ ٣٣) وإذا أراد الله شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، ولا راد لقضائه.

هل تساءل أحد كيف يمكن أن توجد مثل خديجة بنت خويلد التي لُقِّبت بالسيدة الطاهرة في ذلك المجتمع الجاهلي المملوء بالجرائم والموبقات والمفاسد التي لم يسلم منها إلا الأندرون كجد النبي صلى الله عليه وآله وأبويه وعمه وابن عمه؟ وهل يوجد تفسير لذلك إلا الصناعة الإلهية لتلك القديسة الطاهرة؟
وهكذا يجد من يراجع سير العظماء ان يداً من وراء الغيب تتولى أمرهم وتصنعهم بحب وشفقة واتقان لتعدّهم للدور الكبير الذي يراد لهم.

كيف ننال الاصطفاء الإلهي؟

والذي يهمننا من ناحية عملية هو هل يمكن أن نحظى بهذه الألفاظ الإلهية ونكون ممن يصنعهم الله تعالى على عينه ويصطنعهم لنفسه بدرجة من الدرجات؟ ومن الواضح اننا نتحدث هنا عن التربية الإلهية الخاصة، لأن العامة شاملة للجميع، فهو تبارك وتعالى (رب العالمين) و(مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا) (هود/٥٦).

والجواب واضح بإمكان ذلك إذ أن الله تبارك وتعالى لا يخل في ساحته -

كما قيل - ولا يحتجب عن خلقه، إلا أن تحجبهم الذنوب دونه - كما في الدعاء.

والسؤال الأهم في كيفية تحصيل ذلك، ويمكن ان نستفيد معنيين من نفس الآيات الشريفة.

الأول: من نفس الآية الأولى (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه/٣٩) فالطريق أن تحب الله تعالى ويحبك الله تعالى، وقد شرحنا علامات هذا الحب المتبادل وطريقة تحصيله في قبس مفصل^(١)، وورد في كلمات الحكماء (إن الله إذا أحب عبداً تفقده كما يتفقّد الصديق صديقه)^(٢).

الثاني: من الآية الثانية (فَلَبِثَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى * وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) (طه / ٤٠-٤١) فعندما يكون الإنسان ذا همّة عالية وطموح كبير للعمل في إعلاء كلمة الله تعالى ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام وإصلاح النفس والمجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الله يستخلصه لنفسه وسيصلح شأنه ويتولاه بنفسه ويعينه على هذه الرسالة ويؤهله لأدائها.

ما يوجب الصناعة الإلهية:

ويستفاد من الروايات الشريفة ما يوجب تلك الألفاظ الإلهية.

(منها) صحيحة أبان بن تغلب عن أبي جعفر الباقر عليه السلام - في حديث -

(١) من نور القرآن: ج ٢.

(٢) مفردات الراغب ص ٣٢١.

(إن الله جلّ جلاله قال: ما يتقرب إلي عبدٌ من عبادي بشيء أحبُّ إليّ مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتىّ أحبّه، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أحبته، وإن سألتني أعطيته)^(١).

(منها) ما في الحديث القدسي (أيما عبد اطلعتُ على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكري تولّيتُ سياسته و كنت جليسه ومحادثه وأنيسه)^(٢).

(ومنها) ما في الحديث الشريف: (ما يتقرب إليّ عبد من عبادي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضتُ عليه وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتىّ أحبّه ، فإذا أحبته كنت إذا سمعته الذي يسمع به ، و بصره الذي يبصر به ، و لسانه الذي ينطق به ، و يده التي يبطش بها ، إن سألتني أعطيته)^(٣).

وفي البحار عن إرشاد الديلمي وغيره (فمن عمل برضائي ألزمه ثلاث خصال: أعرّفه شكراً لا يخالطه الجهل، وذكراً لا يخالطه النسيان، ومحبّة لا يؤثر على محبتي محبة المخلوقين).

فإذا أحبّني أحبّته، وأفتح عين قلبه إليّ جلالتي، ولا أخفي عليه خاصّة خلقي، وأناجيّه في ظلم الليل ونور النهار حتى ينقطع حديثه مع المخلوقين ومجالسته معهم، وأسمعه كلامي وكلام ملائكتي، وأعرّفه السر الذي سترته عن

(١) وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أبواب اعداد الفرائض ونوافلها، باب ١٧، ح ٦.

(٢) البحار: ج ٩٠ ص ١٦٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٥٢ ح ٨.

خلقي، والبسه الحياء حتى يستحي منه الخلق كلهم، ويمشي على الأرض مغفوراً له، وأجعل قلبه واعياً وبصيراً، ولا أخفي عليه شيئاً من جنة ولا نار، وأعرّفه ما يمرُّ على الناس في القيامة من الهول والشدة، وما أحاسب به الأغنياء والفقراء والجهال والعلماء، وأنومّه في قبره، وأنزل عليه منكرًا ونكيرًا حتى يسألاه، ولا يرى غم الموت وظلمه القبر واللحد وهول المطلع، ثم أنصب له ميزانه وأنشر ديوانه، ثم أضع كتابه في يمينه فيقرؤه منشوراً ثم لا أجعل بيني وبينه ترجماناً، فهذه صفات المحبين^(١).

الدعاء يوصل الى الصنعة الإلهية:

ولا شك أن الدعاء وطلب معالي الأمور يوشك أن يوصل إلى ذلك فليجتهد العبد في الطلب والدعاء، من دعاء الإمام السجاد عليه السلام في طلب مكارم الأخلاق^(٢) (واصلحني بكرمك وداوني بصنعك) وورد في دعائه عليه السلام الذي أوله (يا من تحلّ به عقد المكاره)^(٣) (وأذقني حلاوة الصنع فيما سألت) ومن دعائه عليه السلام في طلب العفو (اجعلني... وخلصته بتوفيقك من ورطات المجرمين، فأصبح طليق عفوك من أسار سخطك، وعتيق صنعك من وثاق عدلك)^(٤).

خصوصاً أنتم معاشر الشباب ما دمتم في مقتبل العمر وبداية الطريق

(١) البحار: ج ٧٤ ص ٢٩.

(٢) مفاتيح الجنان: ص ١٠٥.

(٣) السابق: ص ١٤٨.

(٤) الصحيفة السجادية، من دعائه عليه السلام في طلب العفو والرحمة: ص ١٧٠.

لصناعة مستقبلكم المعنوي والمادي، فاسألوا الله تعالى أن يختاركم لأعظم الأدوار وأرقى المسؤوليات وأن يصنعكم بيده سبحانه لأدائها، وواظبوا على طلب ذلك بإخلاص ولسوف يعطيكم ربكم ذلك كما حكى سبحانه عن عباد الرحمن أن من دعائهم (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (الفرقان/٧٤).

(ونحشره يوم القيامة أعمى)^(١)

[طه : ١٢٤]

عميت عين لا يراك:

من دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة وهو يناجي ربه بكل تذلل وخضوع (عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت^(٢) صفقة عبد لم تجعل له من حَبِّكَ نصيباً) وهاتان الفقرتان فضلاً عن بقية فقرات الدعاء تزودنا بقواعد في السلوك المعنوي إلى الله تبارك وتعالى، وتدلنا على الجناحين اللذين نظير بهما في سماء الكمال ومعرفة الله تعالى وبلوغ رضوانه وهما المراقبة والحب، مراقبة الله تعالى في كل الأفعال والأقوال والمواقف، واحتواء القلب على محبة الله تعالى حتى يكون هذا الحب هو البوصلة الموجهة لكل الحركات والسكنات، وبالحب والمراقبة تتحقق التقوى التي هي خير الزاد ليوم المعاد (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (البقرة/١٩٧).

فالشخص الذي يفعل ما يحلو له من دون إحساس وجداني بأن الله تعالى مطلع عليه وأنه بمحضر رب العزة والجلال دائماً (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا

(١) كلمة القيت يوم الاثنين ٨ ذ.ح ١٤٣٤هـ المصادف ١٤/١٠/٢٠١٣.

(٣) العبارة تحتمل أن تكون إخباراً عن العين والصفقة بأنهما تعمى وتخسر وقد تكون إنشأاً بمعنى الطلب من الله تعالى أن يعمي العين ويخسر الصفقة وكلاهما وارد.

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (٩٩)

تُخْفِي الصُّدُورُ) (غافر/١٩) (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) (آل عمران/٥) (وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) (إبراهيم/٣٨) مثل هذا الشخص لا يبصر الحقيقة وهو أعمى البصيرة وإن كانت له عينان تبصران: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (الأعراف/١٧٩) (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وَهَمُّ جَهَنَّمَ كَلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) (الإسراء/٩٧).

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى) (طه/١٢٤-١٢٦).

عقوبة الإعراض عن ذكر الله تعالى:

فمن يعرض عن ذكر الله تعالى ويهمل وظائف العبودية لربه تحصل له عقوبتان:

الأولى: المعيشة الضيقة النكدة المليئة بالقلق والخوف وعذاب الضمير ويزداد هذا الضيق قسوة عليه عند الموت وما بعده في القبر والبرزخ.

الثانية: يُحشر يوم القيامة أعمى لا يرى طريق السعادة والنجاة ورضوان الله تعالى وإن كان يرى العذاب والألم والأهوال أي أنّ عماء ليس مطلقاً وإنما عن خصوص ما ينجي ويوصله إلى السعادة والفلاح أمّا العذاب والألم والمصير

المشؤوم فإنه يراه (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) (ق/٢٢) (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ) (الفرقان/٢٢) (وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) (يونس/٥٤) (سبأ/٣٣) (وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلِ) (الشورى/٤٤) (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ) (البقرة/١٦٦) لأنه كان هكذا في دار الدنيا، كان معرضاً عن الهداية والرشد ولا يرى طريق السعادة لكنه كان يبصر الشهوات والهوى والدنيا فتجلت حقيقته في الآخرة كما اختار هو في الدنيا (وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا) (الإسراء/٧٢) وبهذا نرد على إشكال بعض متحذلقه الكلام بوجود تناقض في القرآن الكريم بين آيات الإبصار والرؤية وآيات العمى.

ولأن هذا الشخص نسي ذكر ربه وأعرض عن آياته وأهملها فكان جزاؤه يوم القيامة أن ينسى بمعنى يهمل ولا يلتفت إلى استغاثته وندائه واستصراخه كما يقول أحدنا لمن أهمله ولم يلتفت إليه إنك نسيتني، فقد جوزي إذن بنفس فعله (وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) (الشورى/٤٠) روي عن رسول الله (ﷺ) قوله (ليس الأعمى من يعمى بصره، إنما الأعمى من تعمى بصيرته)^(١) والثاني أشد من الأول روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (فقد البصر أهون من فقدان البصيرة)^(٢).

(١) كنز العمال: ١٢٢٠.

(٢) غرر الحكم: ٦٥٣٦.

هل أنت من أهل البصيرة؟

وتدلنا الروايات على بعض علامات أهل البصيرة، كالمروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (أبصر الناس من أبصر عيوبه وأقلع عن ذنوبه)^(١) وعنه (عليه السلام) (ألا إن أبصر الأبصار ما نفذ في الخير طرفه)^(٢).

ومن موجبات النور في الدنيا والآخرة بحسب ما أفادت الروايات الشريفة:

١- تقوى الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الحديد/٢٨).

٢- الصلاة، عن رسول الله (ﷺ) قال (الصلاة نور)^(٣).

٣- تلاوة القرآن، عنه (ﷺ) (عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء) وعن الإمام الحسن (عليه السلام) (إن هذا القرآن فيه مصابيح النور).

٤- صلاة الليل، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (ما تركت صلاة الليل منذ سمعت قول النبي (ﷺ): صلاة الليل نور).

٥- ترك فضول الكلام وهو مادة أكثر أحاديثنا في مجالسهم، عن

(١) غرر الحكم: ٣٠٦١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٥.

(٣) مصادر الروايات المذكورة في هذه النقاط في ميزان الحكمة: ١٧٧/٩ وما بعدها.

أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أكثر صمتك يتوفر فكرك، ويستتر قلبك ويسلم من يدك).

٦- تجنب ظلم الآخرين، والآخرين المقصودون بالظلم
يمكن أن يكونوا الوالدين أو الزوجة أو الأولاد أو الجيران لتضييع حقوقهم أو عموم الناس عند عدم مراعاة الحق والعدل والإنصاف معهم،
روي أن رجلاً قال لرسول الله (ﷺ): أحبُّ أن أحشرَ يومَ القيامةِ في النور، قال رسول الله (ﷺ): (لا تظلم أحداً تُحشر يومَ القيامةِ في النور).

٧- أن تشهد بالحق للآخرين وتنصفهم، على أي مستوى من المستويات كما لو أريد منك الشهادة لأحد بالصلاح وحسن السيرة لتزويجه أو بحق مالي له أو أي حق اعتباري آخر عن النبي (ﷺ) قال (من شهد شهادة حق ليحيي بها حق امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولو جهه نورٌ مدَّ البصر يعرفه الخلائق باسمه ونسبه).

٨- الدعاء، عن رسول الله (ﷺ) قال (أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي يعرفه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، اللهم اجعل في سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي قلبي نوراً، اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأعوذ بك من وسواس الصدور وتشتت الأمور).

موجبات العمى:

أما ما يوجب العمى يوم القيامة هو كل إعراض وصدود عن شرع الله

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٠٣)

وحكمه وعدم العمل بكتاب الله وسنة رسول الله (ﷺ) في كل شؤون الحياة مما أصبح مألوفاً اليوم في الأسواق ومعاملاتنا التجارية وفي السنائن العشائرية وفي العلاقات الاجتماعية وفي السياسة والحكم وإدارة مؤسسات الدولة وغيرها كثير.

ولكل شريحة في المجتمع امتحانها وابتلاؤها بآيات الله التي يلزم العمل بها فلرجل الدين والطبيب والمدرّس والمهندس والكاسب والزوجة والابن والوالدين وغيرها من العناوين له الآيات والأحاديث التي تخاطبه وتنطبق عليه قوله تعالى (كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا) (طه/١٢٦) حيث بلغه تكليفه والمطلوب منه، عن النبي (ﷺ): (ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى فيقول: (رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا))^(١).

وقد علّمنا هذا الحديث وكلمة الإمام الحسين (عليه السلام) السابقة المدى الواسع لمن يمكن أن تشملهم الآية وأنه لا أحد -حتى الملتزمين بأداء العبادات الدينية- بمنأى عن حشرهم عمياً إذا لم يكونوا مراقبين لله تعالى متّقين عاملين بشكل تفصيلي بآيات الله تعالى.

وهذا يفسّر لنا لماذا يطلب الأئمة (عليهم السلام) منا أن نشعر بأننا مشمولون بكل آية فيها تخويف وإنذار وتهديد وأنها ليست مقتصرة على الكافرين والمشرّكين والمنافقين، ففي وصف سيرة الإمام الرضا (عليه السلام) أنه كان ((يكثّر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن فإذا مرّ بآية فيها ذكر جنة أو نار بكى وسأل

(١) ثواب الأعمال: ٣٣٧ ح ١.

الله الجنة وتعود من النار))^(١) وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله في صفة الذين يتلون حق تلاوته (ويرجون وعده ويخشون عذابه)^(٢) ونعود الآن إلى ذكر بعض الروايات التي شخّصت بعض موارد هذا الإهمال للأوامر الإلهية الموجب للعمى ومنها:

١- عدم التمسك بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ، عن الصادق (عليه السلام) في قول الله عز وجل (ومن أعرض عن ذكرى) قال (عليه السلام): يعني ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وعن قوله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال (عليه السلام): يعني أعمى البصر في القيامة أعمى القلب في الدنيا عن ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو متحير يوم القيامة يقول (رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا) (طه/١٢٥-١٢٦) قال: الآيات الأئمة (عليهم السلام) (فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى) (طه/١٢٦) يعني تركتها، وكذلك اليوم تترك في النار كما تركت الأئمة فلم تطع أمرهم ولم تسمع قولهم)^(٣).

٢- ترك الحج وهو مستطيع عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (من مات وهو صحيح موسر ولم يحج فهو ممن قال الله عز وجل (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (طه/١٢٤)، قال أبو بصير: قلت: سبحان الله: أعمى قال: نعم إن الله عز وجل أعماه عن طريق الحق)^(٤).

(١) عيون أخبار الرضا: ١٨٢/٢ ح ٥.

(٢) تنبيه الخواطر: ٢٣٦/٢.

(٣) الكافي: ٣٦١/١ ح ٩٢.

(٤) الكافي: ٢٦٩/٤ ح ٦.

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا^(١)

[النساء : ٦٥]

الإيمان لا يتحقق إلا بتحكيم شريعة الله تعالى

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الفرق بين الحقيقة والدعوى:

إن الحقيقة تحتاج إلى دليل يبرزها ويؤكدها ويثبت وجودها، ومن دونه تكون الأشياء مجرد دعاوى، ويؤكد هذا الأمر الإمام الكاظم عليه السلام في وصيته لهشام بن الحكم، قال (سلام الله عليه): (يا هشام لكل شيء دليل ودليل العاقل التفكير ودليل التفكير الصمت)^(٢) فلا بد أن لا نسلّم بالأمر والدعاوى حتى نتحقق من الدليل، ولا نسترخي للأوصاف التي ندّعيها لأنفسنا ونثبتها في هويتنا كالإسلام والتشيع وولاية أهل البيت عليهم السلام من دون أن نراقب أنفسنا ونتفقدنا باستمرار ونمتحنها لتلمس الدليل على صدق هذه الدعاوى. هذه المقدمة تلقي الضوء على واقع مؤسف نعيشه نحن المسلمين وهو

(١) كلمة القيت يوم الثالث من جمادى الآخرة، عام ١٤٣٥ الموافق ٣/نيسان/٢٠١٤.

(٢) تحف العقول: ٢٤٦.

أنا ندعي عناوين كثيرة من دون تقديم الدليل على وجود حقائقها بل قد نقوم بالعكس من ذلك، فتخالف أقوالنا أفعالنا، لذا يعلمنا الإمام الحسين عليه السلام في الدعاء المروي عنه الاعتراف بهذا التقصير أمام الله تبارك وتعالى: (ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لا تكون دعاواه دعاوى)^(١).

حقيقة الإيمان بالله تعالى:

وأهم تلك العناوين التي يجب أن نتأكد من وجود حقيقتها هو الإيمان بالله تبارك وتعالى لأنه أصل الدين وأساس الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة، وتأكيداً لهذه الأهمية فقد كان النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون عليهم السلام يلفتون نظر الناس إلى تفقد هذه الحقيقة فيسألون من يقولون: (نحن مؤمنون) ويقولون لهم: (فما حقيقة إيمانكم) أو يدؤونهم بالبيان كقول الإمام الباقر عليه السلام: (لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال.. إلى آخر الحديث)^(٢).

أهم مظهر للتوحيد هو إقامة الأحكام الإلهية:

وقد بينت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ما تكتمل به حقيقة الإيمان، قال تعالى: [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] (النساء : ٦٥)، فيقسم الله تبارك وتعالى على هذه الحقيقة [فَلَا وَرَبِّكَ] ويحصر الإيمان بها [لَا يُؤْمِنُونَ

(١) مفاتيح الجنان، ٣١٥.

(٢) ميزان الحكمة: ٢٨٦/١.

الإيمان لا يتحقق إلا بتحكيم شريعة الله تعالى (١٠٧)

حَتَّى يُحَكِّمُوكَ] ويعطينا قاعدة مهمة من قواعد العقيدة في الإسلام، وهي أن أهم مظهر للتوحيد والإيمان بالله هو إقامة حكم الله تبارك وتعالى في الأرض، وتطبيق شريعته في شؤون الحياة والرجوع إليه في الحكم والالتزام بمنهجه في الحياة، وإن هاتين القضيتين متلازمتان، وإن جوهر الصراع بين الإيمان والكفر هو في من له حق الحاكمية والتشريع ورسم المنهج الذي تسير عليه البشرية، هل هو الله تعالى خالق الكون والعالم بما يصلحه ويسعده، أم الإنسان بقصوره وفقره وعجزه ومصالحة المتصارعة وأهوائه المتقلبة [وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ] (المؤمنون: ٧١)؟.

الإيمان يكتمل بثلاثة عناصر:

لذا فإن الآية الكريمة تؤكد على أن الإيمان الحقيقي يكتمل بثلاثة

عناصر:

١- الرجوع إلى شريعة الله تعالى التي بلغها رسول الله ﷺ والأئمة المعصومون عليهم السلام ومن بعدهم العلماء العاملون المخلصون [حَتَّى يُحَكِّمُوكَ] أي يرجعون إليك في كل أمورهم ويأخذون الحكم منك ولا يحكمون غيرك وغير من نصبته من الحجج، وإن كل قانون يضعه البشر لم يؤخذ من الشريعة فإنه باطل وينافي أصل الإيمان بالله تعالى ولا يجوز لأحد أن يشرع ويقنن خارج النصوص الشرعية.

٢- أن يسلّموا بتلك الأحكام ويزعنوا إليها ويؤمنوا بها سواء أدرکوا المصلحة فيها وعرفوا أسرار تشريعها أو لم يدركوا ذلك، وأن لا

يشعروا بالحرَج والضيق إذا عاب أحد عليهم هذه الأحكام أو انتقصها أو زعم أنها تخالف حقوق الإنسان وتنافي الحرية والعدالة والمساواة، أو أنها رجعية وتخلف ولا تواكب الزمان الحاضر، ونحو ذلك من التهم والاستفزازات.

٣- أن يلتزموا بتلك الأحكام ويطبّقوها في حياتهم من دون تبعض وانتقائية للأحكام التي توافق رغباتهم وأهوائهم ومصالحهم، ويعرضون عنها إذا كانت لا تحقق مصالحهم الضيقة وتصطدم مع أهوائهم وشهواتهم، وإن صدق الإيمان يظهر عندما يكون الحكم على خلاف الهوى والمصلحة ومع ذلك يسلم له ويطبّقه ولا يجد في نفسه حرجاً منه.

روى الشيخ الكليني في الكافي بسند صحيح عن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: (لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا، وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنع الله أو صنع رسول الله صلّى الله عليه وآله: ألا صنع خلاف الذي صنع؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية: [فلا وربك لا يؤمنون..] ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: عليكم بالتسليم^(١).

ولقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في آيات كثيرة، قال تعالى: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ] (الأحزاب : ٣٦) وقال تعالى: [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ] (الأنعام: ١٥٣)، وقال تعالى: [إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ

(١) الكافي: ٣٢١/١، ح ٢.

الإيمان لا يتحقق إلا بتحكيم شريعة الله تعالى (١٠٩)

اللَّهُ الْإِسْلَامُ] (آل عمران: ١٩)، وقال تعالى: [وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ] (آل عمران: ٨٥) وغيرها.

اهتمام الشريعة بتنظيم الأحوال الشخصية:

والروايات الشريفة حافلة أيضاً بهذه المعاني، وقد حظيت أحكام ما يعرف اليوم بالأحوال الشخصية باهتمام كبير من الأئمة عليهم السلام ولم يعذروا من يطبق القوانين الوضعية ولا يرجع إلى الأحكام الشرعية لأنها تنظم أموراً أساسية في حياة الأفراد كالزواج والطلاق والمواريث وأي خلل فيها يعني وقوع الناس في المحرمات في ذرياتهم وأموالهم، ولا مجال فيها للاعتذار بالتقية ونحوها لأنها قضايا شخصية لا تتعارض مع السلطات، وتحركوا بالوسائل المتاحة لهم عليهم السلام ليقنعوا الأمة بها^(١).

الانطلاقة من فروع الدين إلى إقامة أصول الدين:

أيها الأحبة المجتمعون لنصرة الصديقة الطاهرة عليها السلام: إن السيدة فاطمة

(١) ويصل الاهتمام إلى درجة أن الإمام يسعى لإقامتها ولو بالقوة، في رواية صحيحة في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: (لا يستقيم الناس على الفرائض - أي المواريث - والطلاق إلا بالسيف) ومثلها عن الإمام الباقر عليه السلام.

وفي رواية أخرى عن أحدهم قال: (سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن النساء هل يرثن من الرباع - أي الأراضي -؟ فقال: لا، ولكن يرثن قيمة البناء، قال: قلت: فإن الناس لا يرضون بذلك؟ فقال: إذا وئينا فلم يرض الناس بذلك ضربناهم بالسوط فإن لم يستقيموا ضربناهم بالسيف) (الروايات في الكافي: ج ٧، كتاب المواريث، باب ٤٤).

الزهاء (سلام الله عليها) حينما قامت بأمر الله تعالى في وجه الانحراف والظلم وطالبت بحقها في فذك وحاجتهم بآيات المواريث إنما أرادت أن تنطلق من هذا الحكم المتعلق بالأحوال الشخصية إلى مطلب أوسع وأعظم وهو إقامة شريعة الله تعالى في الأرض وعلى رأسها اتباع الإمام الحق والقيادة الصالحة المصلحة، والقوم قد فهموها هكذا؛ لذا أرادوا قطع الطريق من أوله على مشروع السيدة الزهاء (يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في أمر فذك: وسألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد - وهو من علماء العامة - فقلت له: أكانت فاطمة عليها السلام صادقة؟ قال نعم. قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فذك وهي عنده صادقة؟ فتبسّم ثم قال: لو أعطها اليوم فذك بمجرد دعواها لجاأت إليه غداً وادعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء؛ لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة في ما تدعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بينة ولا شهود. قال ابن أبي الحديد: وهذا كلام صحيح^(١).

الخشية من انطلاقة القانون الجعفري:

وهذا ما يقوم به الأعداء على طول التاريخ منذ أن صدع النبي صلى الله عليه وآله بالدعوة الإسلامية المباركة فيعملون على إجهاض كل حركة لإيقاظ الناس وتفعيل دور الدين في حياة الأمة ويسعون لإبقاء الأغلال التي تكبل الأمة ويحيطون الحركة بالتشويه والتسقيط والشبهات كما حصل في مواجهة القانون

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٨٤/١٦.

الإيمان لا يتحقق إلا بتحكيم شريعة الله تعالى.....(١١١)

الجعفري لتبقى الغشاوة على عيون الناس وإلحاق الهزيمة بالإسلام، وهذا يفسر اجتماع كل القوى في الداخل والخارج لمعارضة القانون وهو ما يزال مسودة لم يعرض للنقاش أصلاً؛ لأنهم يخشون من آثاره المباركة اللاحقة على الأمة.

لا حكم غير الإسلام إلا الجاهلية:

لقد كانت الصديقة الطاهرة عليها السلام حازمة وصریحة في وعظهم وتحذيرهم بأنهم يعودون إلى جاهليتهم الأولى إذا خالفوا حكم الله تعالى، قالت عليها السلام في خطبتها: (وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟ أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته)^(١).

فتذكرهم عليها السلام بقوله تعالى: [أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] (المائدة: ٥٠) ويفسرها الإمام الباقر عليه السلام بقوله: (الحكم حكمان حكم الله وحكم الجاهلية وقد قال الله عز وجل: [وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] واشهدوا على زيد بن ثابت لقد حكم في الفرائض - أي المواريث - بحكم الجاهلية)^(٢)، والكلام شامل لغير زيد ممن خالفوا حكم الله تعالى.

(١) الاحتجاج: ١٣١/١.

(٢) الكافي: ٤٠٧/٧.

الأحكام الإلهية لا تقبل المساومة:

أيها الأحبة: إن تطبيق الأحكام الشرعية وتنظيم شؤون الحياة على أساسها قضية حدية فاصلة لا تقبل المساومة والمداهنة والتبعض أو التأجيل بحجة أن الوقت غير مناسب أو أي عذر آخر، فلا تسويف لأمر الله تعالى فيما أن يُطبَّق حكم الله تعالى وإما أن يكون الحكم حكم أهل الجاهلية، روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (الحكم حكمان: حكم الله وحكم الجاهلية فمن أخطأ حكم الله بحكم الجاهلية)^(١).

الإسلام يقود الحياة: شعار المرجعية الرسالية

إن فهم هذا الصراع والنهوض بمسؤولية الدفاع عن الإسلام وإقناع البشرية به وبقدرته على قيادة الحياة - كما عبّر السيد الشهيد الصدر الأول قدس سره حينما عنون أحد كتبه بذلك - هو سر انقسام المرجعية الدينية والحوزة العلمية إلى خطين وقيادتين متباينتين في المنهج والسلوك، أولهما عالم فاعل عامل لا يكتفي بتنميق الكلمات على الأوراق فقط بل يتحرك ويواصل الليل بالنهار ليعيد للإسلام هيئته وعزته وللمسلمين كرامتهم وحرّيتهم وثقتهم بأنفسهم ويدلّهم على معالم هويتهم المسلوبة من خلال ما يقدّم من نظريات وتشريعات ومنظومات فكرية ومعرفية تثبت أن دين الإسلام هو أصلح نظام للبشرية اليوم وغداً كما كان بالأمس، فألّف الشهيد الصدر الأول قدس سره اقتصادنا وفلسفتنا ومجتمعنا والأسس المنطقية للاستقراء والبنك اللاربوي وغيرها، مما أبهر عقول

(١) التهذيب: ٢١٨/٦، ح ٥، باب من إليه الحكم وأقسام القضاة والمفتين.

الإيمان لا يتحقق إلا بتحكيم شريعة الله تعالى (١١٣)

خصومه وأصدقائه على حد سواء؛ لذا لا نستغرب قيام الحكومة الروسية رمز النظام السياسي والاقتصادي الذي استهدفه في كتبه بنصب تمثال^(١) للسيد الشهيد الصدر الأول العالم العربي المسلم الوحيد الذي يكرم بهذا الشكل في قلب عاصمة الاتحاد السوفيتي سابقاً وفي أهم صروحها العلمية في موسكو باعتباره صاحب إنجازات إنسانية عظيمة، بينما تُعرض الحوزة النجفية عنه وعن آثاره والاحتفال به - ونحن نعيش ذكرى استشهاده الرابعة والثلاثين - وكأنه ليس مفخرتها وجوهرتها ووجهها الناصع.

من معاني نصره السيدة الزهراء عليها السلام:

إن من أهم أشكال النصره للسيدة الزهراء عليها السلام وللمعصومين جميعاً لنكون صادقين في قولنا لهم عند زيارتهم عليهم السلام: (ونصرتي لكم معدة) هو السعي الدؤوب لهداية الناس وإرشادهم، والضغط المستمر لإقرار القوانين التي تنظم حياتهم وفق الشريعة الإلهية خصوصاً في الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والميراث والوصية والوقف لأنها لا تتنافى مع حق أحد ولا تسلب حرية أحد ولا تكره أحداً على خلاف ما يعتقد.

إن الله تبارك وتعالى حذرنا بشدة من العمل بالقوانين الوضعية التي تتنافى وأحكام الدين، قال تعالى: [وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ]

(١) وُضع التمثال النصفي في جامعة موسكو الحكومية للعلاقات الدولية التابعة لوزارة الخارجية الروسية ورفع الستار عنه يوم الجمعة ٢٨/٢/٢٠١٤ في احتفال حضره مثقفون وأكاديميون وسياسيون روس، ورؤساء عدد من البعثات الدبلوماسية.

[وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] [وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ] (المائدة: ٤٤، ٤٥، ٤٧).

ويؤكد الله تعالى على نبيه أن لا يتأثر بالمغريات والتهديدات والتسقيط الإعلامي ونحو ذلك من الضغوط لتترك القوانين الإلهية، قال تعالى: [وَأَن أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ] (المائدة: ٤٩) ثم يبين الله تعالى أن أحسن الأحكام وأصلحها للبشر وأكثرها ملاءمة لطبيعة تكوينه الفردي والاجتماعي هي أحكام الله، قال تعالى: [أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ] (المائدة: ٥٠).

فلنراجع واقعنا ولننظر هل مناهج التعليم المتبعة موافقة للشريعة؟ وهل العلاقات الاجتماعية القائمة بيننا منضبطة بتعاليم الإسلام؟ وهل السنائن العشائرية التي يحكمون بها مأخوذة من الشريعة؟ وهل وهل .. مما يطول ذكره.

حرائر العراق ينتصرون للإسلام:

لقد سجّلت المؤمنات الرساليات من حرائر العراق المتأسيات بالسيدة الزهراء عليها السلام والعقيلة زينب عليها السلام موقفاً مشهوداً في نصرة دين الله تعالى حين عقدن تجمعات حاشدة بالآلاف في مختلف المدن العراقية وبحضورهن وحضوركم في هذا المحفل الكريم للمطالبة بتصحيح مواد قانون الأحوال الشخصية وفق الأحكام الشرعية، ووجهن صفة شديدة لمن يريد إبقاء

المجتمع العراقي المسلم المؤمن يعمل على وفق قوانين الجاهلية. وأعادت هؤلاء النسوة للمرأة عموماً الثقة بنفسها وبقدرتها على إحداث التغيير والإصلاح وانتزاع الحقوق، تلك القدرة التي سُلبت منها عبر الأجيال نتيجة لعوامل عديدة، وساعدت نفس المرأة على استلابها باستكانتها واستسلامها وخضوعها للأعراف والتقاليد والثقافات التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، وتناست المرأة أن من أهم ثمرات ونتائج القيام الفاطمي والزينيبي هو إعادة الثقة للمرأة بنفسها وأنها قادرة على انتزاع الحقوق وإيقاظ الأمة وإعادة الأمور إلى نصابها، فقامت هذه النسوة بتذكير الأمة بهذه الثمرة المباركة للقيام الفاطمي الزينيبي العظيم.

وها هي الانتخابات البرلمانية مقبلة بإذن الله تعالى، وتشكل النساء نصف عدد الناخبين تقريباً فهن إذن الرقم الصعب القادر على قلب الطاولة على رؤوس كل دهاقنة السياسة وتجار الحروب وأصحاب الأجندات الظالمة الفاسدة من الداخل والخارج.

من بركات الانتصار للإحكام الإلهية:

لقد كان من بركات هذه اليقظة وهذا الحراك الفكري والاجتماعي وإثارة

مكامن القوة والإنسانية في الشريعة الإسلامية التفات المسلمين إلى المطالبة بحقوقهم في تشريع القوانين الخاصة بهم وجاءت ثمرتها في بريطانيا قبل أيام حيث اعتمدت لأول مرة في محاكمها الشريعة الإسلامية في الإرث

والوصية لتنظيم شؤون المسلمين فيها؛ وقد وجدت الحكومة البريطانية في إعطاء هذا الحق للمسلمين خطوة تساعد على شعور المسلمين بالمواطنة وعدم الإقصاء والتهميش، فأتاح الله تبارك وتعالى هذا القرار في عنفوان الجدل حول القانون الجعفري ليكون حجة دامغة على المهزومين والمنبهرين بالغرب وسائر المعترضين على إقرار القانون الجعفري.

أليس من الغريب أن يكون الإسلام بهذه الدرجة من التأثير في بلاد غير المسلمين بينما يستضعفه أبناؤه في بلادهم ويشعرون بالهزيمة الداخلية ويخجلون من إعلان هويتهم والتحرك بمشروعهم!.

فأحيوا أيها الأحبة خصوصاً الشباب والمثقفين وطلبة الجامعات - في نفوسكم الشعور بالفخر والاعتزاز ورفع الرأس وأنتم تنتمون إلى هذا الدين العظيم، وأحسوا بقيمة كلمة أمير المؤمنين عليه السلام: (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً، إلهي أنت كما أحب فاجعني كما تحب).

أيها الإخوة والأخوات المجتمعون على ولاية أهل البيت عليهم السلام:

اعلموا أنكم بنصرتكم للسيدة الزهراء عليها السلام والقانون الجعفري ساهتمتم في رفع جزء من البلاء والته الذي كان ستقع فيه الأمة لو أجمعت على خذلان دين الله تعالى، قال الله عز وجل: [وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ] (هود: ١١٧) وقال تعالى: [وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ] (البقرة: ٢٥١) وقال تعالى:

الإيمان لا يتحقق إلا بتحكيم شريعة الله تعالى (١١٧)

[فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ
عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ] (يونس: ٩٨).

نسأل الله تعالى أن يمدّ المؤمنين والمؤمنات بنصره ويزيد في توفيقهم
ويكفل جهودهم بالنجاح ببركة إحيائكم لهذه الشعيرة المقدسة والله ولي
التوفيق.

(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم)^(١)

[آل عمران : ١٣٣]

(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين) (آل عمران/١٣٣) سارعوا تعني المبالغة والاشتداد في السرعة أي ليس فقط أسرعوا وبادروا وإنما تسابقوا في هذا الإسراع وهذه المبادرة، لذا ورد التعبير في آيات أخرى مشابهة لفظ (سابقوا) كقوله تعالى (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (الحديد/٢١) ولا يخفى ما في استعمال هذا التعبير من تحفيز على العمل لأن المنافسة والتسابق يفجر الطاقات.

وهذه المسارعة والمسابقة لا بد ان تستمر ما دمتم في الحياة الدنيا لان الدنيا مزرعة الآخرة وبها تكتسب الجنان او النيران والعياذ بالله وكل لحظة من لحظاتها تمثل فرصة لاكتساب المزيد من الطاعة فالتواني والكسل وترك المسارعة يعني إضاعة هذه الفرصة وفي الحديث الشريف (إضاعة الفرصة غصة)^(٢) لأنها تورث الحسرة والندامة والشعور بالغبن يوم التغابن، وإن عدم

(١) كلمة القيت يوم ٢٦ شعبان ١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٦/٣ لاستقبال شهر رمضان المبارك.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ١١٨.

(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ)..... (١١٩)

المبادرة الى الاستغفار يؤدي الى تراكم الذنوب وكثرة الرين على القلب حتى يسود ويفقد قابلية العودة الى الطهارة والعياذ بالله، في الحديث (ان المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منه، وان ازداد زادت، فذلك (الران) الذي ذكره الله تعالى في كتابه: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (المطففين/١٤))^(١).

وان التأخير وعدم المبالاة بالاستغفار قد يوجب رفع الستر والغطاء عن المذنب فتفضحه ذنوبه برائحته النتنة التي لا تخفى على الاخرين لولا ستر الله تعالى، لكن العبد اذا تحوّل الى قاذورة من الذنوب ورفع الله تعالى عنه الحجاب الساتر للعيوب والذنوب فانه يصبح مثيرا للتقرز والاشمئزاز والحيوان قبل الإنسان يكتشف ذلك وأصبح اليوم من الأدلة المهمة لاكتشاف الجرائم والمجرمين هو حاسة الشم لدى الحيوانات كالكلاب مثلاً. وفي الحديث الشريف عن امير المؤمنين (عليه السلام) (تعطروا بالاستغفار لا تفضحكم روائح الذنوب)^(٢).

ولما كانت المغفرة من فعل الله تعالى (مَنْ رَبَّكُمْ) ومن أسمائه الحسنى (الغفار) و(الغفور) و(غافر الذنب) فما معنى المسارعة اليها؟ انها المسارعة الى أسبابها وموجباتها كالذي قلناه^(٣) في شرح الحديث الشريف (ان لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون

(١) تفسير نور الثقلين / ج ٥ ص ٥٣٢.

(٢) بحار الانوار: ٢٧٨/٩٣ / ج ٧.

(٣) انظره في الملحق الآتي بعنوان: (تعرضوا لنفحات ربكم).

بعدها أبداً^(١) وستعرض الى جملة من هذه الأسباب ان شاء الله تعالى .
والمغفرة لها حالات لا بد ان تطلب جميعاً فلا يقتصر في طلب المغفرة لما مضى من ذنوبه التي ألم بها بل يستغفر مما يأتي بأن يعصمه الله تعالى منها او ليكتبه ممن يغفر له مقدماً فيما لو اوقعته غفلته في ذنب في الأيام الاتية لذا تضمنت الادعية طلب المغفرة لما تقدّم من الذنوب وما تأخّر وهو الاتي .
وكذلك للمغفرة مراتب فلا يختص طلب المغفرة بالذنوب والمعاصي بالمعنى المعروف والتي فيها مخالفة للأحكام الشرعية بل تطلب ايضاً لما هو أدق من ذلك كترك المستحبات او فعل المكروهات او ترك الأولى - كما لو خيّر بين طاعتين فلم يختار الأهم منهما - او من عروض خاطر المعصية، وقد لا يكون لهذا او لا لذلك وانما لطلب الرفعة في الدرجات او الاستغفار من القصور الذاتي الذي تقتضيه الطبيعة البشرية في أداء وظائف العبودية لله تعالى او الاستغفار من الانشغال بما يتطلبه الوجود في هذه الدنيا وإداء المسؤوليات الاجتماعية التي كلفه الله تعالى كالذي يصدر من المعصومين عليهم السلام وفي الحديث النبوي الشريف انه (ليغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرّة)^(٢) وفي الكافي عن زيد الشحام عن ابي عبد الله عليه السلام قال (كان رسول الله صلى الله عليه وآله) يتوب الى الله عز وجل في كل يوم سبعين مرة فقلت: أكان يقول استغفر الله واتوب اليه؟ قال: لا ولكن كان يقول: اتوب الى الله)^(٣) .

(١) بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٢٢١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٠٤.

(٣) الكافي: ٤٣٨/٢ ح ٤.

(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ)..... (١٢١)

وقد تضمن القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على الاستغفار وتذكر آثاره وبركاته من استجلاب نعم ودفع نقم في الدنيا والآخرة كقوله تعالى (وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) (هود/٣) وقوله تعالى (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) (هود/٥٢) وفي الحديث الشريف عن النبي (ﷺ) (من كثرت همومه فعليه بالاستغفار)^(١) وعن الامام الصادق (عليه السلام) (أدفعوا أبواب البلاء بالاستغفار)^(٢).

فالاستغفار سبب لزيادة الرزق وتحصيل الذرية والتنعم في الحياة الدنيا والآخره.

ولذا تجد القرآن الكريم يقرن في هذه الآية وغيرها - كآية سورة الحديد المتقدمة - بين المغفرة والجنة، فالاستغفار يؤدي الى الجنة ويزيل العوائق عن الفوز بها لأن الجنة دار طهارة وسعادة ونقاء فلا يمكن للإنسان ان يدخلها ويتنعم فيها وهو حامل للقذارات المعنوية وادران الذنوب والمعاصي إلا بعد ان يتطهر منها بالعتو والمغفرة ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ﴾ (الأعراف/٤٣).
والملفت للنظر وقوع هذه الآية وآيات تربوية أخرى في سياق الحديث عن معركة أحد وملابساتها وتحقق النصر أولاً ثم الهزيمة المهينة ثانياً (مَنْ بَعْدَ

(١) الكافي: ٦٥/٩٣/٨.

(٢) ميزان الحكمة: ٤٣٢/٦.

مَا أَرَأَيْتُمْ مَا تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ (آل عمران/١٥٢) للتنبيه - كما هو ديدن القرآن دائماً - على محورية العقيدة والارتباط بالله تعالى في كل شؤون الحياة وان الميدان الاوسع والاهم للعمل هو ميدان النفس، والخير يتحقق بقهر أهوائها والغلبة على شهواتها، فميدان النفس ساحة الجهاد الأكبر وما سواها في الخارج هو الجهاد الأصغر، وان كل شيء يكتسب قيمته بمقدار ارتباطه بالله تعالى سواءً اكان نصراً عسكرياً او انجازاً سياسياً او تقدماً اقتصادياً او رفاهاً اجتماعياً، فالهدف دائماً إعلاء كلمة الله تعالى طلباً لرضا الله تعالى.

وينبغي الالتفات الى ان الاستغفار المنتج لهذه الاثار المباركة ليس مجرد تحريك اللسان به وإنما له حقيقة بينها امير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة — (وَ قَالَ (عليه السلام) لِقَائِلٍ قَالَ بِحَضْرَتِهِ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَكَلَّتْكَ أُمَّكَ أَ تَدْرِي مَا الاسْتِغْفَارُ إِنَّ الاسْتِغْفَارَ دَرَجَةٌ الْعَالِيَيْنَ وَ هُوَ اسْمٌ وَاقَعَ عَلَى سِتَّةٍ مَعَانٍ:

أَوَّلُهَا النَّدْمُ عَلَى مَا مَضَى

وَالثَّانِي الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَدًا

وَالثَّلَاثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَمْلَسَ

لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ

وَالرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا

وَالخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالْأَخْزَانِ

حَتَّى تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَ يَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ

(وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)..... (١٢٣)

وَالسَّادِسُ أَنْ تُدَيِّقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ^(١).

اما الاسباب الموجبة للمغفرة فهي كثيرة منها:-

١- الدعاء وطلب المغفرة ، وقد ورد طلب المغفرة في ما لا يحصى من الادعية وكرّست بعض الادعية للاستغفار وطلب التوبة كما في الصحيفة السجادية ، في الحديث عن رسول الله (ﷺ) (خير الدعاء الاستغفار) وعنه (ﷺ) (خير العبادة الاستغفار) وعنه (ﷺ) (الاستغفار في الصحيفة يتلأ نورا) وعنه (ﷺ) (من احبَّ أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار)^(٢).

٢- الاستزادة من الطاعات والحسنات عموماً قال الله تعالى (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) هود : ١١٤) خصوصاً الصلاة المفروضة في اوقاتها، في الحديث الشريف (لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا قَالَ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا)^(٣).

٣- ومن الطاعات المخصوصة ايضاً (الصدقة) ففي الحديث عن رسول الله (ﷺ): (ان الصدقة لتطفيء غضب الرب) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) (الصدقة جنة من النار)^(٤) ومنها ايضاً صلاة الليل وقد ورد فيها عن النبي

(١) نهج البلاغة ٤٢٥.

(٢) ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٢٧٤.

(٣) صحيح البخاري باب الصَّلَوَاتِ الْخَمْسُ كَفَّارَةٌ

(٤) منتخب ميزان الحكمة: ٣٦٤.

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: (ان العبد إذا تخلى لسيدته في جوف الليل المظلم وناجاه اثبت الله النور في قلبه... ثم يقول جلَّ جلاله لملائكته: يا ملائكتي: انظروا الى عبيدي، فقد تخلى بي في جوف الليل المظلم والبطالون لاهون، والغافلون نيام، اشهدوا أنني قد غفرت له)^(١).

٤- الصوم خصوصاً شهر رمضان فإنه شهر المغفرة والعتق من النار والفوز بالجنة وافضل ميادين هذا السباق والمسارة، وفي خطبة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في آخر جمعة من شعبان التي رواها الامام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَام) عن أبائه عن أمير المؤمنين عن رسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين) قال (فإن الشقي من حُرْم غفران الله في هذا الشهر العظيم) وفيها (يا أيها الناس ان انفسكم مرهونة باعمالكم ففكّوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخففوها بطول سجودكم)^(٢) في الحديث عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (شهر رمضان شهر فرض الله عليكم صيامه فمن صامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)^(٣) وفي رواية عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَام) قال (إن لله تعالى ملائكة موكلين بالصائمين يستغفرون لهم في كل يوم من شهر رمضان إلى آخره، وينادون الصائمين كل ليلة عند إفطارهم: أبشروا عباد الله فقد جعتم قليلاً وستشبعون كثيراً بوركتكم وبورك فيكم ، حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان نادى : أبشروا عباد الله

(١) أمالي الصدوق: ٣٥٤ ح ٤٣٢.

(٢) رواها الشيخ الصدوق في الأمالي وعيون اخبار الرضا.

(٣) وسائل الشيعة : ١٠/٢٤٥، ٢٤٧، ح ١٠ ، ١٤.

(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ).....(١٢٥)

غفر لكم ذنوبكم وقبل توبتكم فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون^(١).
وفي الاقبال عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (من لم يُغفر له في شهر رمضان لم يغفر له الى قابل الى أن يشهد عرفة).

أما الصوم المستحب فقد ورد فيه عن الامام الصادق عن آبائه (صلوات الله عليهم جميعاً) قال: (قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): من صام يوماً تطوعاً أبتغاء ثواب الله وجبت له المغفرة)^(٢) وعن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (قال ابي: إن الرجل ليصوم يوماً تطوعاً يريد ما عند الله فيدخله الله به الجنة)^(٣).

٥- الحج وخصوص الوقوف بعرفة، روى الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن ابيه الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (ما وقف بهذا الموقف أحد إلا غفر الله له) ثم قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (ألا انهم في مغفرتهم على ثلاث منازل)^(٤) الى آخر الحديث.

٦- زيارة المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وأولهم النبي الاكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وقد ورد في زيارته الشريفة (اللهم انك قلت (ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً)(النساء/٦٤) وإني اتيت نبيك مستغفراً تائباً من ذنوبي واني اتوجه الى الله ربّي وربك ليغفر لي ذنوبي).

وهكذا سائر المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وخصوصاً زيارة الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، عن الامام الصادق وولده موسى بن جعفر (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) قال (من زار قبر أبي عبد الله

(١) كتاب فضائل شهر رمضان للشيخ الصدوق.

(٢) وسائل الشيعة : ٤٠٢/١٠ ح ٢١.

(٣) وسائل الشيعة : ١٠٣٩٩ ح ١١.

(٤) وسائل الشيعة:- ٥٤٦/١٣ ح ١.

عارفاً بحقه غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(١).
أقول قد اختصرنا الكلام بما يناسب المقام^(٢) وألا فالأسباب التي جعلها
الله تعالى لعباده كرماً منه وفضلاً كثيرة غير ما يعفو عنه ابتداءً بلا سبب سوى ان
من صفاته الكريمة الفضل والمن، قال الله تعالى (وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)
(الشورى/٣٠).

(١) وسائل الشيعة ٤١٩/١٤ ح ٢٢، ٣.

(٢) اخترت ذكر شهر رمضان والحج وزيارة الحسين (عليه السلام) لتصلح المحاضرة مادة لتعميق
معارف القرآن في المجالس الرمضانية والحسينية ولمرشدي قوافل الحجاج.

تعرضوا لنفحات ربكم^(١)

النفحات الخاصة:

ورد حديث عن رسول الله (ﷺ): (إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقونَّ بعدها أبداً)^(٢) وفي حديث مماثل (اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده)^(٣).

والحديث يشير إلى نوع خاص من الألطاف الإلهية وليست الألطاف العامة الشاملة لكل الناس، والدليل عليه وجهان:

١- التعبير بالنفحات، والنفحة هي القطعة من الشيء أو هي الدفعة منه وليس كله ولا معظمه، كما في قوله تعالى [وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ] (الأنبياء: ٤٦) وهذا القول منهم إذا كان رجوعاً وتوبة في وقت قبولها فهو موقف حسن وإلا فإن الأغلب يكون موقفهم التمادي والاستكبار، قال تعالى [وَلَئِن أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ آلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ

(١) كلمة القيت يوم ١١ رجب ١٤٣٠ المصادف ٢٠٠٩/٧/٤.

(٢) كنز العمال : ٢١٣٢٤ ، ٢١٣٢٥.

(٣) كنز العمال : ج ٢ ص ٧٤ ح ٣١٨٩

يَسْتَهْزِئُونَ] (هود:٨).

٢- الأثر العظيم المترتب على التعرض لها والتوفيق للشمول بها بحيث أن من تناله تلك النفحات لا يحتاج إلى ابتلاء ويحسم أمره في الصالحين والسعداء بحيث لا يشقى بعدها أبداً ولتوضيحه بمثال نقول أنه يصبح كالطالب الذي يحرز درجات عالية في السعي السنوي فيعفى من الامتحانات النهائية ولا يحتاج إلى اختبارات أخرى كأقرانه.

على أي حال فالمراد من النفحات أطفاف إلهية خاصة بدلالة التعبير عنها بالنفحات إذ أن الأطفاف الإلهية العامة متواصلة على طول الدهر ولولاها لما خلق الإنسان والكون ولا استمر وجودهما.

لنتعرض لكل سبل الطاعة:

وفي ضوء هذا فقد حث رسول الله (ﷺ) على التعرض لتلك النفحات، ويكون ذلك بالتعرض لأسبابها واقتناص فرصها وهي غير معروفة بالتحديد لأن الله تبارك وتعالى أخفى رضاه في طاعته كما أخفى سخطه في معصيته لذا فحريٌّ بطالب الكمال والسعادة أن يتعرض لكل ما يتيسر له من سبل الطاعة وفرص الخير عسى أن تكون إحداها سبباً لنيل تلك الأطفاف الخاصة، ولذا جاء في الحديث عنه (ﷺ): (تعرضوا لرحمة الله بما أمركم به من طاعته)^(١) وفي الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا هم أحدكم بخير فلا يؤخره فإن العبد ربما صلى الصلاة أو صام اليوم فيقال له: اعمل ما شئت بعدها فقد غفر الله

(١) تنبيه الخواطر ونزهة الناظر (مجموعة ورام): ص ٤٣٩.

تعرضوا لنفحات ربكم (١٢٩)

لك^(١) وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا هممت بشيء من الخير فلا تؤخره فإن الله عز وجل ربما اطلع على العبد وهو على شيء من الطاعة فيقول: وعزّتي وجلالي لا أعذبك بعدها أبداً، وإذا هممت بسئته فلا تعملها، فإنه ربما اطلع على العبد وهو على شيء من المعصية فيقول: وعزّتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبداً) كالتالي الذي يفشل خلال السنة الدراسية فيحرم من فرصة المشاركة في الامتحانات العامة فكأن تقصيره ذلك أوجب نهايته مبكراً ولم يسمح له باستمرار فرصة الامتحان والسعي لنيل النجاح.

وعنه (عليه السلام) (إذا أردت شيئاً من الخير فلا تؤخره، فإن العبد يصوم اليوم الحار يريد ما عند الله فيعتقه الله به من النار، ولا تستقل ما يتقرب به إلى الله عز وجل ولو شقّ تمره)^(٢).

المسارعة إلى الخير:

وهذه المسارعة إلى فعل الخير لها ما يبررها من أكثر من جهة:

١- إن الفرص تمرُّ مرَّ السحاب وقد لا تتكرر بل هي فعلاً لا تتكرر لأن الفرصة الثانية هي غير الأولى وإضاعة الفرصة غصة وإن عمر الإنسان هو رأس ماله في المتاجرة مع الله تبارك وتعالى وكل ثانية من عمره يمكن أن ترفعه درجة عند الله تبارك وتعالى.

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٤٢.

(٢) هذا الحديث واللذان سبقاه في أصول الكافي، ج ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب تعجيل فعل الخير.

٢- إن التأخير يعطي فرصة للشيطان والنفس الأمارة بالسوء للوسوسة والشيطان وإضعاف الهمّة، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): (من همّ بشيء من الخير فليعجله، فإن كل شيء فيه تأخير فإن للشيطان فيه نظرة)^(١).

٣- إن القلوب لها أحوال متغيرة فتارة تكون في إقبال على الطاعة وأخرى في إدمار فإذا لم يستغل الحال الأول - أي حال إقبال القلب - فقد يقع في الثاني - أي حال إدمار القلب - فلا يجد في نفسه إقبالا على الطاعة، سأل حمران بن أعين الإمام الباقر (عليه السلام): (أخبرك - أطل الله بقاءك لنا وأمتعنا بك - أنا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترقّ قلوبنا وتسلو أنفسنا عن الدنيا ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام): إنما هي القلوب مرة تصعبُ ومرة تسهل)^(٢).

٤- إن الطاعة مهما تبدوا شاقة فإنما هي جهد اللحظة التي أنت فيها، ومهما تبدو المعصية لذيدة فإنما هي لذة اللحظة التي هو فيها وهذا ييسر المضي على الطاعة واجتناب المعصية ففي موثقة سماعة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (سمعتَه يقول اصبروا على طاعة الله، وتصبروا عن معصية الله فإنما الدنيا ساعة فما مضى فليس تجد له سروراً ولا حزناً وما لم يأت فليس تعرفه فاصبر على تلك الساعة التي أنت فيها، فكأنك قد اغتبطت)^(٣).

(١) نفس المصدر.

(٢) المصدر، باب: في تنقل أحوال القلب.

(٣) المصدر، باب: محاسبة العمل.

أشكال النفحات:

وسببية التعرض للنفحات للحصول عليها وشمولها أمر طبيعي، كما أن البائع الذي يتعرض للناس ببضاعته فينوعها ويتفنن في عرضها ويحاكي أذواق الناس بها يكون الإقبال عليه أكثر من التاجر الساكن الجامد الخامل، مع أن الله تبارك وتعالى قد تكفل للجميع بالرزق، ولكن أظافاً خاصة تعطى للمتعرض لها دون غيره.

ومع أن الطاعات كلها شكل من أشكال التعرض للنفحات الإلهية إلا أن لبعض الموارد مزيد عناية ومظنة لتلك النفحات، وبعض هذه الموارد (مكانية) كالمساجد والعتبات المقدسة وفي حلقات العلم ومجالس الموعظة والإرشاد، وبعضها (زمانية) كليلة الجمعة ويومها والأشهر الشريفة رجب وشعبان ورمضان، وبعضها (حالية) كاجتماع المؤمنين والدعاء للغير وحال التوجه والاضطرار وانكسار القلب خصوصاً إذا امتزج الحزن بالبكاء وعند مجالسة العلماء وبعد الصلوات المفروضة وفي حال السجود.

لطف الله تعالى للجميع:

ولا شك أن لطف الله تبارك وتعالى وكرمه متاح لكل أحد كما في أدعية شهر رجب (يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة) (بابك مفتوح للراغبين، وخيرك مبذول للطالبيين، وفضلك مباح للسائلين، ونيلك متاح للآملين، ورزقك مبسوط لمن عصاك، وحلمك

معرض لمن ناوآك^(١) لكن بعض النفحات تتطلب تعرضاً لها وصعوداً إليها. أتذكر أنني عندما كنت أحضر بحث الأصول للسيد الشهيد الصدر الثاني (قده) في مباحث المشتق وكان يفسر آية [وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] (البقرة: ١٢٤) فقال (قده): ((إن الآية عبّرت [لا ينال] ولعل في ذلك إشارة إلى هذه المراتب وغيرها من مراتب الكمال إنما تنال بالتكامل والتصاعد في عالم الملكوت الأعلى فكلما تكامل الفرد إلى درجة معينة استحق فيضاً مناسباً لتلك الدرجة ومنها الإمامة فهم يصعدون إليها لا هي تنزل إليهم))^(٢) فقلت له بعد الدرس على هذا لا بد من أن يكون ذيل الآية (الظالمون) ليكون فاعلاً وساعياً لنيل العهد وعهدي مفعول به وليس العكس كما في الآية، فأيد الاعتراض لكنه - لإيمانه بصحة فكرته - عرض حلاً وسطاً يجمع بين الفكرة والإشكال وهو أن الألفاظ تنزل من الله تعالى إلى مرتبة معينة ويصعد إليها الفرد إلى تلك المرتبة.

وإذا تهيب الفرد أو تردّد ولم يقتنص الفرصة ويبادر إليها فإنه سيحرم بركتها ففي الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان، والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير)^(٣).

(١) مفاتيح الجنان: ص ٢٢٩.

(٢) المشتق عند الأصوليين: ٣٤٣.

(٣) الوسائل: ج ١٦ ص ٨٤.

طلبات جامعة:

وليكن تعرّضك وطلبك مناسباً لكرم الله تعالى، وتوجد في بعض الأدعية طلبات جامعة لخصال الخير كله كما في أدعية رجب (أعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة، واصرف عني بمسألتي إياك جميع شرّ الدنيا وشرّ الآخرة، فإنه غير منقوص ما أعطيت، وزدني من فضلك يا كريم)^(١) وفي دعاء آخر (اللهم إني أسألك أن تدخلني في كل خير أدخلت فيه محمد وآل محمد (ﷺ) وان تخرجني من كل سوء أخرجت منه محمد وآل محمد (ﷺ)، وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (إن رسول الله (ﷺ) كان نزل على رجل بالطائف قبل الاسلام فأكرمه فلما أن بعث الله محمداً (ﷺ) إلى الناس قيل للرجل: أتدري من الذي أرسله الله عز وجل إلى الناس؟ قال: لا، قالوا له: هو محمد بن عبد الله يتيم أبي طالب وهو الذي كان نزل بك بالطائف يوم كذا وكذا فأكرمته، قال: فقدم الرجل على رسول الله (ﷺ) فسلم عليه وأسلم، ثم قال له: أتعرفني يا رسول الله؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا رب المنزل الذي نزلت به بالطائف في الجاهلية يوم كذا وكذا فأكرمتك فقال له رسول الله (ﷺ): مرحباً بك سل حاجتك، فقال: أسألك مأتي شاة برعاتها، فأمر له رسول الله (ﷺ) بما سأل، ثم قال لأصحابه: ما كان على هذا الرجل أن يسألني سؤال عجوز بني إسرائيل لموسى (عليه السلام) بما سأل، فقالوا: وما سألت عجوز بني

(١) مفاتيح الجنان: ص ١٧٠.

(٢) مفاتيح الجنان: ص ٢٨٥.

إسرائيل موسى؟ فقال: إن الله عز ذكره أوحى إلى موسى أن أحمل عظام يوسف من مصر قبل أن تخرج منها إلى الأرض المقدسة بالشام فسأل موسى عن قبر يوسف (عليه السلام) فجاءه شيخ فقال: إن كان أحد يعرف قبره ففلانة، فأرسل موسى (عليه السلام) إليها فلما جاءته قال: تعلمين موضع قبر يوسف (عليه السلام)؟ قالت: نعم، قال: فدليني عليه ولك ما سألت: قال: لا أدلك عليه إلا بحكمي، قال: فلك الجنة، قالت: لا إلا بحكمي عليك، فأوحى الله عز وجل إلى موسى لا يكبر عليك أن تجعل لها حكمها فقال: لها موسى فلك حكمك، قالت: فإن حكمي أن أكون معك في درجتك التي تكون فيها يوم القيامة في الجنة فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما كان على هذا لو سألتني ما سألت عجوز بني إسرائيل^(١).

وأنتم أيها الإخوة والأخوات بزيارتكم لأمر المؤمنين (عليه السلام) والمساجد المعظمة في الكوفة والسهلة والانطلاق منها سيراً على الأقدام إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في النصف من رجب التي تسمى (الغفيلة) لغفلة الناس عن ثوابها وقطعكم هذه المسافة التي قطعها عقيلة الهاشميين زينب بنت علي (عليه السلام) لإحياء ذكرى وفاتها، تكونون قد تعرضتم لكثير من نفحات الله تبارك وتعالى وأتيتم بأسبابها في هذا الشهر الشريف فأرجوا أن يشملكم الله تبارك وتعالى بألطافه ونفحاته الخاصة. ويشرك معكم كل من أحبَّ عملكم وأيده وقدمَّ الخدمة لكم فإن من أحب عمل قوم شاركهم في أجورهم.

(ويخافون سوء الحساب)^(١)

[الرعد: ٢١]

موعظة عن سوء الحساب:

لا يمكن أن يتصور أمثالنا - ونحن حيسو الدنيا المادية - حقيقة سوء الحساب وحالاته وأوصافه إلا بمقدار ما تتحملة أفهامنا من كلام الله تعالى والمعصومين (سلام الله عليهم)، وقد أعد سوء الحساب حقيقة للذين أعرضوا عن ربهم ولم يلتزموا بالمنهج الرباني، قال تعالى: (لِّلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) (الرعد: ١٨) ويعرف بعض الوان هذا الحساب من آية مماثلة، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (المائدة: ٣٦)، وقد روى الطبرسي في مجمع البيان في معنى سوء الحساب عن أبي عبد الله (عليه السلام): (هو أن لا يقبل منهم حسنة ولا يغفر لهم سيئة)^(٢) لأن هؤلاء حبطت أعمالهم.

(١) الخطبة الثانية لصلاة عيد الاضحى المبارك سنة ١٤٣٦ الموافق ٢٤/٩/٢٠١٥.

(٢) مجمع البيان: ٤٤٢/٦، تفسير البرهان: ٢٠٥/٥.

ما المراد من سوء الحساب الذي يخافه المؤمنون؟

لكن هذا المعنى لسوء الحساب قد لا يتلاءم مع سياق الآية التي نحن بصددها لأنها تصف قوماً على مستوى عالٍ من الإيمان، قال تعالى: (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) (الرعد: ١٩-٢١).

فما المراد بسوء الحساب الذي يخافه هؤلاء وهم بهذه الدرجة من الإيمان، يشرح لنا الإمام الصادق (عليه السلام) وجهاً للمراد، فقد روي بسند معتبر عن حماد بن عثمان في تفسير قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) (الرعد: ٢١) قال: (دخل رجل على أبي عبد الله (عليه السلام) فشكا إليه رجلاً من أصحابه، فلم يلبث أن جاء المشكوى، فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): ما لفلان يشكوك؟ فقال له: يشكوني أنني استقضيت^(١) منه حقي، قال: فجلس أبو عبد الله مغضباً، ثم قال: كأنك إذا استقضيت حقلك لم تسيء؟! رأيت ما حكى الله عز وجل في كتابه: (يَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) أترى أنهم خافوا الله أن يجور عليهم أو يظلمهم؟ لا والله ما خافوا إلا الاستقضاء، فسماه الله عز وجل: (سُوءَ الْحِسَابِ) فمن استقصى فقد

(١) أي طلبت منه أن يقضي حقي، وفي معاني الأخبار وتفسير القمي (استقضيت) أي بلغ بالمسألة النهاية في طلبها، وهو الأقرب لمضمون الرواية.

أساء^(١).

التدقيق في التعامل:

أقول: يظهر من الرواية أن سوء الحساب الذي يخافونه هو التدقيق في التعامل بمقتضى العدالة والمقابلة بالمثل فيحسب الحسنات والسيئات كما هي، ففي تفسير العياشي عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) في سوء الحساب قال: (أن تحسب عليهم السيئات وتحسب لهم الحسنات وهو الاستقصاء)، ولذا ورد في الأدعية أن الله تعالى إذا عاملنا بعدله هلكننا ((ومن عدلك مهربي)) ((ولا تعاملني بعدلك بل بفضلك))، وفي الدعاء عند الصعود على الصفا والمروة عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَام): (اللهم لا تفعل بي ما أنا أهله، فإنك إن تفعل بي ما أنا أهله تعذبني ولن تظلمني، أصبحت أتقي عدلك، ولا أخاف جورك فيا من هو عدلٌ لا يجور ارحمني)^(٢).

الدرس العملي:

والدرس العملي الذي نستفيدة هنا أننا كما نسال الله تعالى أن لا يدقق معنا في الحساب وأن يعاملنا بفضله وكرمه ونخاف من المدافعة في الحساب، علينا أن نتأدب بهذا الأدب الإلهي في تعاملاتنا فإن سوء الحساب يعني

(١) الكافي: ١٠٠/٥، ح ١، تفسير القمي: ٣٦٣/١، ومعاني الأخبار: ٢٤٦، وتفسير البرهان: ٢٠١/٥، وفي المعاني: (ولكنهم خافوا الاستقصاء والمدافعة) أي الحساب بدقة.

(٢) وسائل الشيعة: ٤٧٨/١٣ باب ٤: استحباب الصعود على الصفا حتى يرى البيت، ح ٣.

المطالبة باستيفاء الحق كاملاً غير منقوص من دون مراعاة لما يحسن فعله بلحاظ حالة الطرف الآخر وظروفه وإمكانياته، ، لذا سُمِّيَ أخذ الحق في بعض^(١) الحالات عدواناً عندما يكون الأليق هو التسامح والعفو والتكرم، والعدوان هو التجاوز والقيام بما ينافي الفعل الذي يناسب صدوره منه على ذلك الحال قال تعالى: (فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (البقرة: ١٩٤)، فكأن المرجو والفعل اللائق بناءً على هذا التفسير هو تعامله بالعفو والصفح كما أمر تعالى، فكان ما يخالفه عدواناً أي تجاوزاً للمتوقع منه وإن كان محقاً.

وهو أحد وجوه تفسير قوله تعالى: (وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (الشورى: ٤٠) فسمي الرد على السيئة بمثلها سيئة، مع أن مقتضى العدالة المقابلة بالمثل.

وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ

وقد حثنا الله تبارك وتعالى على أن نتعامل بيننا - كماخوة مؤمنين - بهذا الأسلوب، قال تعالى: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ٢٣٧)، أي لا تنسوا معاملة الآخرين بالفضل والتسامح في كل المعاملات والعلاقات ففي الحديث الشريف عن رسول الله (ﷺ) قال: (رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا

(١) وليس مطلقاً لأن العقوبة والرد بالمثل والحزم مطلوب أحياناً للردع والاستقامة والاصلاح.

(وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) (١٣٩)

قضى، سَمِحاً إذا اقتضى^(١) ولما كان الجزاء يوم القيامة منسجماً مع سلوك الإنسان وعمله في الدنيا، فإن كان متسامحاً في تعامله مع الناس حوسب باليسر والكرم، وإلا شدد عليه مقاصدة له لأنه التزم بهذه الطريقة من التعامل في الدنيا، قال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً، وَيَنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً) (الانشقاق: ٧-٩) وفي مقابلهم أصحاب الشمال (فَحَاسَبُنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْرًا) (الطلاق: ٨).

من اللطائف أن الله تعالى لم يسم نفسه بالعدل:

والملفت أن الله تعالى لم يصف نفسه في القرآن الكريم بأنه عادل ولم يرد هذا الاسم في الأسماء الحسنى على كثرتها لأن كرمه ورحمته وفضله سبقت عدله، فهو تعالى لا يؤاخذ بالمثل ولا يعاملنا بهذا المعنى من العدل، نعم وصف تعالى نفسه بما يلزم من العدل وهو إنصاف المخلوقين وعدم بخشهم أشياءهم وعدم الجور في الحكم عليهم وهو حسن دائماً (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (فصلت-٤٦) فالعدل المقصود هو عدم الجور والظلم وأن من حقه تعالى الجزاء بالمثل إن أراد.

ولذا أوردف الله تعالى الإحسان بالعدل حينما لخص جوهر الرسائل السماوية وما يريده الله تبارك و تعالى، قال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل: ٩٠) لأن العدل قد يكون منافياً لمقتضى الإنصاف

(١) بحار الانوار: ٩٥/١٠٣ ح ١٧، كنز العمال: ٩٤٥٣، ميزان الحكمة: ١/٤٩٣.

والإحسان فيكون غير محبوب بل قد يكون ظلماً في بعض المراتب ولو أخلاقياً، وقد بحثُ ذلك مفصلاً في مسألة توريث أولاد الأولاد مع وجود الأولاد^(١).

إن قلت قلت:

إن قلت: كيف يكون العدل ظلماً وهل هذا إلا من اجتماع الضدين. قلت: ليس هذا من اجتماع الضدين لأن ما يقابل العدل لغةً ليس هو الظلم بل الجور وهو الحيف في الحكم، فيمكن اجتماع العدل مع الظلم بمرتبة من المراتب ولو أخلاقياً، أي أن الحكم يكون عادلاً، إلا أنه لا يكون منصفاً أو إنه خالٍ من الإحسان بلحاظ طرف آخر، كما في الروايات الواردة في تفسير قوله تعالى: (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) (الأنبياء: ٧٨-٧٩).

فقد حكم داوود بالغنم ضمناً لصاحب الزرع لأن صاحبها لم يجسها ليلاً وهذا ما جرت به شرائع الأنبياء السابقين أما سليمان (عليه السلام) فقد حكم بالضمان لكن بنحو آخر وهو أن يدفع الضامن غنمه إلى صاحب الزرع ليستفيد من لبنها وصوفها ويغرم هو صلاح الأرض حتى تعود إلى ما كانت عليه فيعيد كلُّ منهما إلى الآخر ماله، وهنا حافظ سليمان (عليه السلام) على مقتضى

(١) راجع المجلد العاشر من موسوعة فقه الخلاف.

(وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ).....(١٤١)

العدل لكن من دون إضرار بالضامن خصوصاً وأنه ليس معتدياً وإنما كان مقصراً.

لكي نستوعب الدرس في حياتنا:

ولو استوعبنا هذا الدرس الأخلاقي وطبقناه في حياتنا لاستطعنا تجنب الكثير من المشاكل في المجتمع التي منشأها التدقيق في محاسبة الآخرين على كل صغيرة وكبيرة ومطالبة كل طرف باستقصاء حقه من الآخر من دون مراعاة لحاله وظروفه، وأمثلة ذلك من الواقع كثيرة، كما يحصل بين الورثة حينما يطالب البعض مثلاً بحصته من الدار التي يسكنها الورثة الآخرون وهو يعلم أنهم لا يتمكنون من إعطائه وأن بيع الدار فيه مشقة عليهم ولكنه يصبر على طلبه.

أو الزوج يحاسب زوجته على كل تقصير أو غفلة والزوجة تراقب زوجها وتسأله عن كل تصرفاته ويحاول كل منهما أن يفرض إرادته ورأيه على الآخر فيتخاصمان وتذهب المودة بينهما وقد يخرب بيتهما بسبب إصرار كل منهما على انتزاع ما يتصور أنها حقوقه دون مراعاة لظروف الآخر.

أو دائن يلحّ على المدين بالتسديد وهو في حرج وصعوبة وقد يضطر لبيع داره أو حاجاته الشخصية فهذا من سوء الحساب ومخالف لسيرة المعصومين (عليهم السلام) وأصحابهم البررة كمحمد بن أبي عمير وهو من أجلاء

أصحاب الإمام الكاظم والرضا والجواد (عليهم السلام) وقد أُلّف عشرات الكتب وكان عالماً عاملاً مخلصاً، وعرض عليه هارون العباسي منصب القضاء فرفضه فأمر الطاغية بحبسه وتعذيبه ف قضى سبعة عشر عاماً في السجن لاقى فيها صنوف التعذيب والوحشية، وكان قبل أن يسجن تاجراً ثرياً وخرج من السجن في عوز شديد وقد أنهكته الأمراض، وكان أحد زبائنه مديناً له بعشرة آلاف درهم فرأى من الوفاء أن يرد إليه دينه ولكنه لا يملك هذا المقدار فباع داره وجاء بالمبلغ إلى ابن أبي عمير، فسأله ابن أبي عمير عن كيفية تدبيره هذا المبلغ الكبير هل وهبه له أحد أو ورثه من قريب له؟ فأجاب الرجل بالنفي وأنه باع داره ليقضي بثمنها دينه فرفض ابن أبي عمير قبضها وقال: ((حدثني ذريح المحاربي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: (لا يُخْرَج الرجل من مسقط رأسه بالدين)^(١)، ارفعها فلا حاجة لي فيها، والله إنني محتاج في وقتي هذا إلى درهم، وما يدخل ملكي منها درهم))^(٢).

سوء الحساب له مراتب:

ومما تقدم يظهر أن سوء الحساب له مراتب فبعضه حقيقي في أدنى مراتبه كالذي أُعد للمعرضين عن الله تعالى، وبعضه نسبي بلحاظ درجات الكمال، فإن البعض يرى أن مجرد إيقافهم للحساب، أو لمجرد معاتبتهم

(١) أي لا يجوز إجبار المدين على بيع دار سكنه من أجل تسديد الدين.

(٢) بحار الأنوار: ٢٧٣/٤٩، تأريخ الإمام الرضا (عليه السلام)، عن علل الشرائع: باب ٣١٣، ح ٢.

(وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) (١٤٣)

على شيء أنه من سوء الحساب.

روى في مجمع البيان حديثاً فيه (من نوقش في الحساب عُذِبَ) بغضّ النظر عن أي عقوبة فبمجرد مناقشة الشخص وتعريضه للحساب والمساءلة تعذيب وفي مصباح الشريعة قال الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (لو لم يكن للحساب مهولة إلا حياء العرض على الله وفضيحة هتك الستر على المخفيات لحقّ للمرء أن لا يهبط من رؤوس الجبال ولا يأوي إلى عمران ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام إلا عن اضطرار متصل بالتلف).

ولذا فإن أهل المعرفة لا يركنون إلى طاعة ويرون أن حسابهم سيئ لو عاملهم الله تعالى بعدله وحاسبهم كما هم أهلهم وليس بما هو أهلهم من الفضل والكرم والرحمة (فاني لم آتكَ ثقةً بعملٍ صالحٍ عملته)^(١)، ويعدّون طاعتهم سيئات يطلبون الإقالة منها بلحاظ ما يليق برب العزة والجلال، تأمل في ما ورد في دعاء الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يوم عرفة (إلهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيّدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل أقالني منها فضلك)^(٢).

فهذه المراتب كلها يخافونها ويعدون هذا الحساب سيئاً بالنسبة لهم وهم يطمحون إلى أن يكونوا من الذين لا يرون حساباً أصلاً ويدخلهم الله تعالى في رضوانه بغير حساب، كعدة اصناف ورد في حقهم ذلك (منهم) الصابرون، قال تعالى: (إِنَّمَا يُؤَفِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر: ١٠).

(١) مصابيح الجنان: ٦١٩ من ادعية ليلة الجمعة وليلة عرفة وأوله (اللهم من تهيأ وتعبأ.....).

(٢) مفاتيح الجنان: ٣١٥.

(ومنهم) الذين يحبون الله تبارك وتعالى ويحببونه الى خلقه ويرضون بقضائه روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: (اني لأعرف ناساً ما هم أنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء بمنزلتهم يوم القيامة: الذين يُحبّون الله ويحببونه الى خلقه يأمرونهم بطاعة الله فإذا أطاعوا الله أحبهم الله)^(١) وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: (إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتي أجنحة فيطرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤوا فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم حساباً؟ فيقولون: ما رأينا حساباً، فيقولون: هل جزم على الصراط؟ فيقولون: ما رأينا صراطاً، فيقولون لهم: هل رأيتم جهنم؟ فيقولون: ما رأينا شيئاً، فتقول الملائكة: من أمة من أمتم؟ فيقولون: من أمة محمد (ﷺ)، فيقولون: نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون: خصلتان كانتا فينا فبلّغنا الله هذه المنزلة بفضلته ورحمته، فيقولون: وما هما؟ فيقولون: كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا، فتقول الملائكة: يحق لكم هذا)^(٢).

(ومنهم) الشهداء فإن الله تعالى يُسقط كل حق له وفي الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (كل ذنب يكفره القتل في سبيل الله عز وجل إلا الدين لا كفارة له إلا أدأؤه، أو يقضي صاحبه أو يعفو الذي له الحق)^(٣)، فإن

(١) مجمع الزوائد للهيتمي: ١/ ١٢٦ وللتفصيل أكثر راجع خطاب المرحلة: ٦/ ١٥١ - ١٦٥.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، المعروف بمجموعة ورام: ١/ ٢٣٠.

(٣) الكافي: ٥/ ٩٤، ح ٦.

(وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) (١٤٥)

الدِّينَ مِنْ حَقِّ النَّاسِ وَلَا بَدَّ مِنْ آدَائِهِ إِلَيْهِمْ أَوْ اسْتَرْضَائِهِمْ، قَدْ رُوِيَ أَنَّ
الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَمْ يَأْذَنَ بِالْقِتَالِ مَعَهُ لِمَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ إِلَّا أَنْ يُوصِيَ
بِقَضَائِهِ .

(لقد كنت في غفلة من هذا)^(١)

[ق : ٢٢]

التدبر في القرآن الكريم:

لا ينبغي لكم وأنتم مثقفون واعون وشباب رساليون أن تكتفوا من قراءة القرآن بتلاوة حروفه، بل لابد من التدبر في معانيه للوصول إلى حقائقه، وقد قدّمت في أحاديث سابقة أنماطاً للتدبر، ومنها ما أذكره اليوم وذلك بأن تلتفت بلطف الله تعالى إلى قضية معينة لها مساس بالواقع المعاش، ثم تجمّع ما ورد فيها من آيات شريفة حتى تكتمل صورتها، وسيفتح الله عليك وستظهر أمامك حقائق عن تلك القضية، لم تكن ملتفتاً إليها عندما كنت تقرأ كل آية على حدة فتعرف كيفية تشخيصها، وأسباب حصولها، والآثار المترتبة عليها وهكذا.

وليس من الصعب تجميع الآيات المتعلقة بقضية معينة من خلال مراجعة معاجم وفهارس ألفاظ القرآن الكريم كفهرس الألفاظ الملحقة بتفسير شير او تفسير المعين.

ثم تنتقل بنفس الطريقة إلى معاجم كلمات المعصومين ككتاب (غرر الحكم) و (ميزان الحكمة) لتأخذ منها ما يزيد الأمر وضوحاً.

(١) كلمة القيت يوم الخميس ١٣/١/١٤٣٣ الموافق ٢٠١٢/٤/٥.

لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا.....(١٤٧).

غفلة الإنسان عن نفسه:

وأشير اليوم إلى واحدة من هذه القضايا المهمة وهي غفلة الإنسان عن نفسه، فالإنسان في هذه الدنيا في غفلة (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)^(١) وقد تحدثنا في خطاب سابق عن غفلة الإنسان عن قيادته الحققة وهو أمر متصور بسبب الجهل والتشويش والشبهات، ولكن أن يغفل الإنسان عن نفسه أعز الأنفس عليه وأثمن شيء عنده لأنه يستطيع أن يكتسب بها الجنان، فهذا أمر مستغرب.

التعاطي مع النفس:

ومن خلال الآيات الكريمة ستجد التباين الواسع بين البشر في التعاطي مع أنفسهم، فمن مستثمر لها كأفضل ما يكون يقول عنه الله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) (البقرة/٢٧٠) فتساعده نفسه على الطاعة والتشيت على الاستقامة (يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشِيئًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ) (البقرة/٢٦٥) فيخاطبهم الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وادْخُلِي جَنَّتِي) (الفجر/٢٧-٢٨-٢٩ - ٣٠).

إلى آخرين فشلوا في الاستفادة منها فكانوا كما وصفهم الله تعالى (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (الأنعام/٢٦) (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (النحل/١١٨) (وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا

أَنْفُسَهُمْ) (البقرة/٩) (قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (الأعراف/٥٣)، ويبيّن القرآن الكريم سبب انحذارهم إلى هذه النتيجة وذلك لانهم (نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (الحشر/١٩) (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (البقرة/٩)، (انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (الأنعام/٢٤) فهذه أسباب خسران الإنسان نفسه من خلال مخادعة الإنسان نفسه ونسيان الله تبارك وتعالى والركون إلى الدنيا، عن رسول الله (ﷺ) (إن الصفاة الزلال الذي لا تثبت عليه أقدام العلماء الطمع)^(١).

وتنتهي النتيجة إلى أعظم الخسارة وهي خسارة الإنسان نفسه، فيجعل ثمنها نار جهنم وكان يستطيع أن يجعلها سبباً لنيل جنات المقربين (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (الزمر/١٥).

مواعظ عن النفس من كلمات أهل العصمة (عليهم السلام):

وإذا انتقلنا إلى أحاديث المعصومين (عليهم السلام) فنسجد مواعظ قيمة، فعن علي أمير المؤمنين (عليه السلام) (إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها) وعنه (عليه السلام) (من باع نفسه بغير الجنة فقد عظمت عليه المحنة) وعنه (عليه السلام) (من باع نفسه بغير نعيم الجنة فقد ظلمها)^(٢) وفي نهج البلاغة (عباد الله... الله الله في أعزّ الأنفس عليكم، وأحبّها إليكم، فإن الله قد أوضح لكم سبيل الحق، وأنار

(١) ميزان الحكمة : ٢ / ١٧٤٠.

(٢) غرر الحكم

لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا..... (١٤٩)

طرقه فشقوة لازمة، أو سعادة دائمة^(١).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) (أما ترحم من نفسك، ما ترحم من غيرك، فلربما ترى الضاحي من حر الشمس فتظله، أو ترى المبتلى بألم يمض جسده فتبكي رحمة له، فما صبرك على ذاتك، وجلدك على مصابك، وعزاك عن البكاء على نفسك، وهي أعز الأنفس عليك)^(٢).

وعن الصادق (عليه السلام): (كتب رجل إلى أبي ذر (رضي الله عنه): يا أبا ذر أظرفني بشيء من الحكمة، فكتب إليه أن العمل كثير، ولكن إن قدرت أن لا تسيء إلى من تحبه فافعل.

قال: فقال الرجل: وهل رأيت أحداً يسيء إلى من يحبه؟ فقال له: نعم، نفسك، أحب الأنفس إليك، فإذا أنت عصيت الله فقد أسأت إليها)^(٣).
وفي غرر الحكم عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (عجبت لمن ينشد ضالته، وقد أضل نفسه فلا يطلبها).

الواعظ الداخلي:

ولرحمة الله تعالى الواسعة بعباده فإنه لم يكتف بالواعظ الخارجي وهم الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) وحملة علومهم، فجعل لهم واعظاً من داخل أنفسهم ينبههم إلى الخطأ وهو ما يعرف بـ(الضمير) يحذره من الخطأ

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٥٧.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ٢٣٣.

(٣) الكافي: ٤٥٨/٢.

قبل وقوعه، ويؤنبه بعد ارتكابه لردعه عن تكراره، بحيث انتشر مصطلح (وخز الضمير) أو (تأنيب الضمير) وهي عبارة عن حالة تألم ورفض داخل النفس تؤدي إلى كربة في القلب، تدعو صاحبها لمراجعة نفسه والعودة إلى رشده. ولكن الإنسان لسوء اختياره يصمّ أذنه عن سماع الواعظ الخارجي ويكبت واعظه الداخلي، اما بمخادعة نفسه وقلب الحقائق ليوهم نفسه إنه ليس على خطأ، وربما يحاول الهروب من صراعه الداخلي من خلال احتساء الخمر وتناول المخدرات، أو بالانزلاق أكثر في ارتكاب الأخطاء ليعتاد عليها ويميت ضميره.

قصة في من يخدع نفسه:

كثير من الناس يتصور أنه يخدع الآخرين ولكنه في الحقيقة يخدع نفسه، مثلاً شابٌ ينشئ علاقة غير شريفة مع فتاة فيتبجح أمام زملائه بذلك وكأنه حقق انتصاراً واستدرج هذه الفتاة، ولا يعلم انها هي التي استدرجته وخدعه الشيطان بها لأنها سلبت منه دينه وخسر نفسه.

يروى أن أحد الوعّاظ في بلد مقدس يقصده الزوار من دول العالم جمع التجار والكسبة في السوق وقال لهم إنني أحذركم من هؤلاء الزوار أن يخدعوكم، قالوا: كيف ذلك وهم غرباء لا يعلمون شيئاً ونحن نخدعهم ونبيع إليهم الأشياء بأضعاف سعرها، قال لهم: هذا ما عينته بكلامي فلا يخدعونكم ويورطونكم في المعصية.

وأنتم —أيها الشباب— أكثر المراحل العمرية عرضة للانخداع والغفلة عن

لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا..... (١٥١)

النفس، فقد ورد في الحديث الشريف (السكر في أربعة) أحدها سكر الشباب،
فمرحلة الشباب سبب للغفلة والطيش والغرور.

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أي مفسدة

ولا نغفل تأثير الجو الاجتماعي العام الذي يساهم بشكل كبير في هذا
التمويه والخداع وقلب الحقائق فيقول لك أنت شاب وعليك أن تتمتع وتلهو
وتلعب، ليس هذا وقت الجد والعمل، وإذا أراد الموظف أن يكون نزيهاً قيل
له: حشر مع الناس عيد، وهل تستطيع بنزاهتك أن تقضي على الفساد، وهكذا
حتى يموت الضمير ويخمد بريقه.

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ) [الأعراف: ٩٦]
الحل والعلاج في العودة إلى الله تبارك وتعالى^(١)

علّة البلاء:

من الحقائق التي بينها الله تبارك وتعالى من خلال القرآن الكريم لتثبيتها في قلوب وعقول المؤمنين أن ما يصيبهم من بلاء وعنت وضيق وشدة فإنما هي نتيجة أعمالهم السيئة [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ] (الشورى: ٣٠) [فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] (النحل: ٣٤) [وَمَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ] (النساء: ٧٩)، ويلفت أنظار المسلمين من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهم في قمة المواجهة العسكرية مع مشركي قريش في معركة أحد أن هزيمتهم كانت بسبب عدم تهذيب أنفسهم فهذا هو السبب الحقيقي وليس الأسباب المادية [إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا] (آل عمران: ١٥٥).

الله تعالى يعلمنا طريق الحل:

وفي نفس الوقت يعلمنا الحل وسبيل النجاة من هذه المعاناة.

(١) كلمة القيت خلال فترة المواجهات المسلحة عام ٢٠٠٤.

الحل والعلاج في العودة إلى الله تبارك وتعالى (١٥٣)

انه بالعودة إلى الله تبارك وتعالى والتضرع إليه والتوسل إليه تبارك وتعالى وتصفية القلوب مما فيها من غلٍّ وضغائن وردائل كالحسد والعجب والكرامية والأناية [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ] (الأعراف: ٩٦-١٠٠).

والمراد بالبأس هنا ليس الاستئصال كما كان يحصل للأمم السابقة على الإسلام، فإن مثل هذا العذاب قد رُفِعَ عن هذه الأمة ببركة النبي (ﷺ)، ولكن الأمة بقيت معرضة بسوء تصرفها - لألوان أخرى من العذاب: نقص الثمرات، وقوع الفتن والحروب بينهم فيذيق بعضهم بأس بعض، تداعي الأمم الأخرى عليهم لاستعبادهم، وهذه البلاءات كلها قد نزلت بالأمة والعياذ بالله. وقال تعالى [وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ] (الطلاق: ٢-٣)، ويخاطب الأمم التي تتخبط في جهلها وغفلتها وبعدها عن الطريق الحقيقي [قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى خِزْفٍ ثُمَّ تَذَكَّرُونَ] (سبأ: ٤٦) أي أن تلتفتوا إلى أنفسكم فتعودوا إلى الله تبارك وتعالى أفراداً وجماعات وتجأرون إلى الله بالدعاء والاستغاثة.

وهذا لا يعني أن هذا القيام لله تبارك وتعالى واللجوء إليه مختص بحال

الاضطرار، إذ المطلوب أن يكون الإنسان في كل حالاته ذاكراً لله تعالى مستجيراً به طالباً منه التوفيق والتشيت على الإيمان والزيادة من عمل الخير والتأييد، بل إنه سبحانه يعرض مستغرباً مثل هذا النموذج الذي لا يعرف الله إلا في أوقات الضيق والشدة كانقطاع السبل في البحر الهائج [فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ] (العنكبوت: ٦٥)، ولا يقصد الشرك الظاهري أي عبادة الأصنام ونحوها لأنه خلاف دعوتهم لله مخلصين، وإنما يريد الشرك الخفي أي الإعراض عن الله والالتجاء إلى الأسباب من دونه.

ويضرب لنا مثلاً في قوم يونس فإنهم قد أخطوا بعذاب، وظن نبيهم أنهم قد أخذوا ولم تبق فرصة لنجاتهم، فغادر المدينة إلا أنهم عادوا إلى الله وخرجوا جميعاً مستغيثين بالله أن يرفع عنهم البلاء، فاستجاب الله تبارك وتعالى لهم ونجاهم [فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ] (يونس: ٩٨).

وابتغوا إليه الوسيلة:

ولا يتم هذا الاتصال بالله تبارك وتعالى وينتج ثمراته إلا بولاية أهل البيت والتوسل بهم إلى الله تبارك وتعالى وإدامة ذكرهم وإقامة شعائرهم والاستغاثة بالإمام القائم بالأمر (عجل الله تعالى فرجه)، قال تعالى [وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى] (طه: ١٢٤) وقد ورد في الروايات أن الذكر هي ولاية أهل البيت (عليهم السلام) فمن لم يتمسك بهم يكن في

عيشة ضيقة تعيسة خالية من الإمدادات الروحية.

يروى عن الإمام الهادي (عليه السلام) قوله ما معناه إذا ضاقت بنا الأمور دعونا الله تبارك وتعالى بـ(يا من تحل به عقد المكاره ...). وهو من أدعية الصحيفة السجادية ويوجد في كتاب مفاتيح الجنان.

هكذا علمنا الله تبارك وتعالى وهكذا أدبنا أهل البيت (عليهم السلام) فأين نحن من ذلك التأديب الذي يراد منه نفعنا وسعادتنا ؟

الانفعال والارتجالية:

أنا لا أنكر تقدم المستوى الإيماني لدى هذا الجيل بفضل الله تبارك وتعالى بشكل أذهل الأعداء وأصاب خططهم بالخيبة والخسران، إلا أنه مع الأسف في كثير من حالاته عبارة عن وهج عاطفي وحرارة متدفقة غير مقترن بوعي عميق وتربية راسخة للقلب والنفس، مما يجعل هذه الاندفاع في مهب الريح -والعياذ بالله- إذا لم تتداركها بما يصلحها.

وإلا بماذا تفسر انتشار الافتراء والبهتان والتسقيط والتشويه بين المؤمنين بل أصبح شغل الكثير من أهل الغفلة هو ذم العلماء والمراجع والقدح فيهم وانتقادهم، ولا أدري من أين نال هؤلاء القيمومة على الآخرين ليعطوا لهم الحق في تقييم أعمال المراجع والمفكرين؟! ألم يسمعو الحديث الشريف (إن حرمة المؤمن عند الله أعظم من الكعبة)، فالاعتداء على سمعة المؤمن وكرامته وتشويه صورته اشد من الاعتداء على الكعبة، أو على العتبات الطاهرة للأئمة المعصومين (عليهم السلام) -رغم أنها من الجرائم الشنيعة-، فهل التفت المؤمنون إلى

هذه الكبائر التي تورطوا فيها، وعميت بصائرهم عن رؤيتها حتى تنشر صحائف أعمالهم أمام الحكم العدل [فَكشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ] (ق:٢٢).

هل غضبنا لله تعالى أم لأنفسنا؟

وهل غضبوا لانتهاك حرمت المؤمنين أم على العكس إنهم خاضوا في هذه الكبائر وشربوا كأسها حتى الثمالة، حتى أن بعض أئمة الجمعات استغلوا هذا الموقع الإلهي الذي يعبر عنه الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (اللهم إن هذا مقام أوليائك وخلفائك) استغلوه للمهاترات الكلامية وتصفية الحسابات الشخصية ولانتقاد العلماء.

التربية الى نصف الطريق:

عن هذا النقص في تربية المشتغلين بالعمل الاجتماعي الإسلامي والأسف من عدم اكتمال التربية قال الشهيد السيد محمد باقر الصدر رائد الحركة الإسلامية في العراق^(١). ((إننا استطعنا أن نربي الآخرين إلى نصف الطريق)) وعلق عليه الشهيد السيد محمد الصدر (قده): ((ولم يقل إلى نهايته لأنه لو كان الأمر كذلك لما حصل أي شيء من تلك النتائج. ولو كان أولئك المتدينون قد أصلحوا أنفسهم قبل إصلاح الآخرين، وما رسوا المقدمات المنتجة لصفاء

(١) من بحث بعنوان (التربية الدينية) كتبه السيد الشهيد الصدر الثاني أيام إقامته الجبرية في الثمانينات وهو مخطوط محفوظ عندي، ونشر في كتاب (الشهيد الصدر الثاني كما عرفناه).

الحل والعلاج في العودة إلى الله تبارك وتعالى (١٥٧)

النفس ونور القلب وعمق الإخلاص وقوة الإرادة وعفة الضمير لما عانوا ما عانوا، بل ولعلمهم لم يحتاجوا في الحكمة الإلهية إلى كل هذا البلاء الذي وقع عليهم، وإنما كانوا مع شديد الأسف مصداقاً لقوله تعالى [وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ] (محمد: ٣٨) ولم يكونوا مصداقاً لقوله تعالى [الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ] (الحج: ٤١)، وليس ذلك إلا لان الأفراد التامين من جميع الجهات والأوصاف الجامعين للشرائط عددهم قليل، وأقل من الحاجة بكثير)).

المعركة الكبرى:

أيها الإخوة والأخوات زادهم الله بصيرة:

إننا مطالبون بمحاربة الشياطين في أنفسنا الأمانة بالسوء قبل كل شيء، ومهما تعاظمت شياطين الجن والأنس فإنها دون هذا العدو الأكبر الذي وصفه الحديث الشريف (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك)، بل إن كل شياطين الإنس هي ثمرة هذا الشيطان ولو أصلحنا ما في نفوسنا لم يبق شيء من تلك الشياطين؛ لذا سمى النبي (ﷺ) جهاد النفس بالجهاد الأكبر ومعناه أن العدو في هذا الجهاد هو العدو الأكبر. وجهاد الأعداء الآخرين مهما تفرعنوا بالأصغر.

النصر الحقيقي:

إن نصرنا الحقيقي حينما نستطيع سحق أهوائنا وأناياتنا ونزيل الغل والحقد

والكراهية وحب الدنيا بكل أشكالها (وأخطرها حب الرئاسة والتسلط وتصفيق الجماهير) والحسد والرياء والعجب والتكبر والعنجهية والاستعلاء وغيرها من الرذائل، ونملاً قلوبنا بالحب والرحمة والشفقة والعفو والصفح والتآلف والمودة والصبر وكظم الغيظ وغيرها من الفضائل.

هذه هي وصايا أهل البيت (عليهم السلام) وهذه تربيتهم، حتى حينما كان يظن شيعتهم أن الفرصة قد حانت وان الثمرة قد آن قطافها، كانوا (عليهم السلام) دائماً يذهبون في الاتجاه الآخر غير الذي يفكر به الآخرون مهما قربوا من الإمام (عليه السلام)، وهو اتجاه محاسبة النفس ومراقبتها وعرضها على الميزان الذي نصبه أهل البيت (عليهم السلام)، وأقرأ كشواهد على ذلك أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) لمن عرضوا عليه النصره وتسليم مفاتيح السلطة بعد القضاء على الأمويين، ونصائح الإمام الرضا (عليه السلام) للذين خرجوا لاستقباله على طول الطريق من المدينة المنورة إلى مرو.

ابتعادنا عن أدب السلف الصالح:

إننا ضيعنا حتى الحد الأدنى من ذكر الله تعالى وهو الالتجاء إليه عند الاضطراب، فها هو البلاء يحيق بنا والأعداء يتربصون بنا ولا أجد المؤمنين يعقدون مجالس الدعاء والتوجه إلى الله تعالى والاستغاثة بالمعصومين (عليهم السلام) والتوسل إلى صاحب الأمر (عجل الله تعالى فرجه) كي يتولانا برعايته مع عدم الإخلال بالواجبات الأخرى طبعاً، يروي لنا سلفنا انه إذا مر بهم بلاء اجتمعوا في المساجد والحسينيات للدعاء ولذكر مصائب أهل البيت (عليهم السلام) وزيارتهم،

الحل والعلاج في العودة إلى الله تبارك وتعالى (١٥٩)

وكان طلبة العلم في النجف يتوجهون مشياً على الأقدام إلى مسجد السهلة مستغيثين بالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) أو كربلاء لزيارة الحسين (عليه السلام) أو أي مسجد جامع لأبناء المدينة فيرفع الله عنهم البلاء، كما فعل بقوم يونس، بل ما حصل لنفس النبي يونس (عليه السلام) فانه لما نادى [لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ] (الأنبياء: ٨٧) جاءه الغوث والخلص [فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ] (الأنبياء: ٨٨) وقال تعالى [فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ] (الصفات: ١٤٣ - ١٤٤).

لذا يبين الإمام المهدي (عليه السلام) امتعاضه من شيعة لأجل هذه الغفلة عن الله تعالى وعن أهل البيت (عليهم السلام) في كثير من اللقاءات معه (عليه السلام) ومنها قصة السيد الرشتي المذكورة في مفاتيح الجنان لما ضلَّ الطريق في ظروف صعبة قال له موبخاً لماذا تتركون زيارة عاشوراء والنافلة وزيارة الجامعة الكبيرة^(١).

هذا هو الحل وهذا هو طريق النجاة أن نقوم لله تعالى مثني وفرادي متألفين ومتحابين أنقياء القلوب أصفياء النفوس ونعمل بوصايا المعصومين (عليهم السلام) ونتأدب بأدبهم ونترك التعصب والتشنج والتطرف والأنانية وحب الدنيا. [قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَلِّفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ] (هود: ٨٨).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) تفصيل الكلام في كتاب (شكوى الإمام (عليه السلام)).

(ولتنظر نفس ما قدمت لغد)^(١)

[الحشر: ١٨]

لنراجع أنفسنا:

قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] (الحشر: ١٨-١٩).

(ولتنظر نفس ما قدمت لغد) هذا الغد ليس يوماً واحداً وإنما هو زمان واسع فسيح يبدأ من موت الإنسان ولا ينتهي عند عرصات القيامة والحساب بل هم فيها خالدون: فريق في الجنة وفريق في السعير نعوذ بالله.

فالله تبارك وتعالى يدعونا في هذه الآية إلى أن نراجع أنفسنا وننظر ماذا قدمنا لهذا الغد المجهول العصيب الذي فيه أهوال وصعوبات لا يعلمها إلا هو تبارك وتعالى، لا نعرف نحن عنه شيئاً ولا نعرف ما معنى أن ننظر لهذا الغد حتى نستعد له ونهيئ له ما يناسبه، لكن الله تبارك وتعالى هو ولي هذا الغد ومملك هذا الغد وخالق هذا الغد بين لنا ما ينفعنا في تلك الحياة وحاشا لله تبارك وتعالى الرحيم الرؤوف بعباده المحسن إليهم أن يتركهم سدى، قال تعالى

(١) كلمة القيت يوم الجمعة ٢٧/ذو القعدة/١٤٣١ هـ الموافق ٢٠١٠/١١/٥ م.

(وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) (البقرة: ١٦١)

[وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ] (البقرة: ١٩٧).

سفر الآخرة:

خذوا مثلاً: سفركم هذا إلى الحج وهو سفر قصير لا تتجاوز مدته الشهر ومعكم إediaan يرشدونكم ومتعهدون يتولون إدارة شؤونكم ورفقة وإخوان وجهات توفر لكم الخدمة والمنزل والطعام ومع ذلك فإن أحدكم يستعد له منذ مدة طويلة ويتحسب لكل احتمال ويُعدّ كل ما يحتاجه من دقائق الأمور ويعيد النظر في جهازه خشية أن يكون قد نسي شيئاً.

فكيف بسفر الآخرة الذي لا أمد له ولا مُعين ولا رفيق ولا زاد إلا عملك فإنه قرينك صالحاً كان أو سيئاً والعياذ بالله تعالى وزادك التقوى التي يطلبها الإمام الحسين (عليه السلام) في دعاء يوم عرفة (اللهم اجعلني أخشاك كأنني أراك وأسعدني بتقواك ولا تشقني بمعصيتك)^(١).

وهذا المستوى الذي يطلبه الإمام الحسين (عليه السلام) ويحثّ على الوصول إليه هو مستوى [اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ] وهو لا يتيسر إلا لعباد الله المخلصين ولكن لا مانع من طلبه والسعي لتحصيله من خلال تطبيق الآية الأخرى [اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ] فإن الله تعالى تكفل لمن يعمل بما يتيسر له أن يوفقه ما لم يكن يستطيعه بلطفه وكرمه.

(١) مفاتيح الجنان: ص ٤١٣.

التقوى حركات وسكنات:

وهذه الفريضة الإلهية التي وفقكم الله تعالى إليها فدعاكم لضيافته والوفود إلى بيته الآمن المحرم هي من أعظم مصاديق التقوى و أوثق الأسباب لتحصيلها بل أن آية [وتزودوا] وردت في سياقها قال تعالى [الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ] (البقرة: ١٩٧).

والتقوى عنوان يتحلل إلى الكثير من الحركات والسكنات: الحركات باتجاه الأعمال الصالحة سواء كانت على نحو الواجبات أو المستحبات وهي أضعاف الأولى، والسكنات أي التوقف إزاء الأعمال غير الصالحة سواء كانت على نحو المحرمات أو المكروهات، وقد حفلت الكتب بتسجيلها جميعاً حتى دقائقها ولا يستطيع أحد استقصائها.

من حكمة الله تعالى تنوع القابليات:

ومن حكمة الله تعالى ورحمته بعباده أنه نوّع القابليات والقدرات والمؤهلات عند خلقه لتُغطّي كل مساحات عمل الخير ولكي لا يحرم أحد منها، فأعطى للبعض ثروة مالية فهو يتصدق منها ويساعد الفقراء والمحتاجين ويزوِّج الشباب المعسرّين ويحج ويزور ويني المساجد ويشيّد المشاريع الخيرية وآخر لم يعطه مالاّ لكنه أعطاه علماً نافعاً فهو يرشد الناس ويهديهم ويصلح ما فسد من أمور دينهم ودنياهم ويوجههم ويعلمهم أمور دينهم. وآخر لم يُعطَ مالا ولا علماً لكنه أعطى أخلاقاً حسنة فهو يعاشر الناس بالمعروف

(وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) (١٦٣)

ويفشي السلام ويتصدق بالكلمات الطيبة، كما ورد في قول النبي (ﷺ وسلم) لعمه العباس: (يا بني عبد المطلب إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم)^(١).

ففرص الطاعة والتقرب إلى الله تعالى متكافئة للجميع لكنها منوعة بحسبهم، روي أن مجموعة من النسوة شكت إلى رسول الله (ﷺ) تفضيل الرجال عليهن بإعطائهم فرصة الجهاد الذي هو (باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه)^(٢) - كما وصفه أمير المؤمنين - وسقط عنهن، فأجاب النبي (ﷺ) بأن (جهاد المرأة حسن التبعل)^(٣) فالتساوي في فرص التكامل مكفولة للجميع. وكذلك فرصة الحج التي منحت للمستطيعين لم يحرم منها الفقراء فورد فيهم (صلاة الجمعة حج المساكين)^(٤).

وهذه من عدالة الله تبارك وتعالى ومن حكمته لئلا كل مساحات عمل الخير بحسب اختلاف إمكانيات الناس وتوجهاتهم، وإذا قال أحد أنه لم يعطني الله شيئاً فليراجع نفسه وسيجد ما يتقرب به وتلقي ما ورد في الحديث الشريف (ما عبّد الله بشيء كالفرائض)^(٥).

ونعود إلى ما بدأنا به من قوله تعالى (ولتنظر نفس ما قدمت لغد).

(١) بحار الأنوار: ١٦٩/٧١.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ٢٧.

(٣) بحار الأنوار: ١٠٧/١٨.

(٤) بحار الأنوار: ١٩٩/٨٦.

(٥) تحف العقول: ٢٨٦ وفيه (ولا طاعة كأداء الفرائض).

(وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة)^(١) [يونس: ٦١]

لنستشعر الرقابة الإلهية

غالباً ما يدفع الشعور بالمراقبة من قبل الغير بالإنسان إلى سلوك معين مختلف عن سلوكه لو لم يكن يشعر بكونه مراقباً، وهذا أمر واضح وله عدة أمثلة وتطبيقات في الواقع، فالإنسان يفعل في السر أموراً يخشى ويخجل من فعلها في العلن، ولو علم حينها أنه مراقب لما فعلها بكل تأكيد، فسائق السيارة مثلاً حين يواجه إشارة المرور في طريقه ولا يجد أثراً لشرطي المرور فإنه يتجاوز الإشارة الحمراء دون تردد، لكنه لو كان يعلم بأن هناك كاميرات خفية تقوم برصده وأن هناك من يراقبه لما أقدم على تجاوز حدوده في الشارع، وهكذا كثير من أفعال الإنسان التي يقوم بها في السر وهو في غفلة عمّن يراقبه فيها.

وأوضح مصاديق ذلك وأشدّها غفلة وخسارة هي عدم الشعور بكون الله تعالى رقيباً عليه، فتجد الإنسان قد يؤمن نظرياً بأن الله تبارك وتعالى يراه [وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ] [يونس: ٦١] لكن من حيث التطبيق لا تجد هذا الاعتقاد منعكساً على أفعاله، وهو علامة على أن إيمانه لم يكن واقعياً، وإلا لو كان كذلك لظهر أثر

(١) كلمة القيت يوم الاثنين ٢/ذو الحجة الموافق ٢٠١٠/١١/٨.

واقعية الإيمان في فعله.

وقد أشارت بعض نصوص الأدعية الشريفة إلى هذه المفارقة، فمن ذلك قول الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة: (يا من سترني من الآباء والأمهات أن يزجروني، ومن العشائر والإخوان أن يعيروني، ومن السلاطين أن يعاقبوني، ولو اطلعوا يا مولاي على ما اطلعت عليه مني إذن ما أنظروني، ولرفضوني وقطعوني)^(١).

ومنه قول الإمام السجاد (عليه السلام) في دعاء أبي حمزة: (فلو اطلع اليوم على ذنبي أحد غيري ما فعلته، ولو خفت تعجيل العقوبة لاجتنبته، لا لأنك أهون الناظرين إلي وأخف المطلعين عليّ، بل لأنك يا رب خير الساترين وأحكم الحاكمين، وأكرم الأكرمين، ستار العيوب، غفار الذنوب، علام الغيوب، تستر الذنب بكرمك، وتؤخر العقوبة بحلمك، فلك الحمد على حلمك بعد علمك، وعلى عفوك بعد قدرتك)^(٢).

من مصاديق الغفلة:

ومن مصاديق ذلك أيضاً الغفلة عن الموت مع الاعتقاد به يقيناً، حتى قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما رأيت يقيناً أشبه بشك من الموت)^(٣)، فنحن نؤمن بأن الموت حق، وأنه لا بد أن يختطفنا في أية لحظة من لحظات العمر، ولكن كم

(١) مفاتيح الجنان: ص ٣١١

(٢) السابق: ص ٢٢٤

(٣) بحار الأنوار: ٢٤٦/٧٥.

واحد منا يؤمن بذلك عملياً، بمعنى أنه استعد له وتهيأ وأدى ما عليه واجتنب كل ما حرم الله عز وجل، والحال أنك تجد العكس من ذلك، فالكثير منا يعمل وكأنه سيظل خالداً في هذه الدنيا.

الغفلة عن إمام الزمان (عجل الله فرجه):

ومن مصاديق الغفلة والتصرف بخلاف وجود المراقبة ما ذكرته الرواية الشريفة: (والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه)^(١) وهي رواية موجودة وصحيحة، إذن نحن بمرأى من الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، فمن يستشعر الخجل والحياء من فعل أمر أمام الناس علناً في حين يفعله في السر، مثل هذا الإنسان كيف به إذا اعتقد أن إمامه يراه دائماً، بالتأكيد إن ذلك سيدفعه إلى أن يكون أكثر مراقبة لنفسه في تعاملاته وتصرفاته، وبطبيعة الحال إن مثل هذه الأحاديث حين يمر بها الإنسان ويستشعر كل هذه الكاميرات التي تراقبه فإنه لن يتعامل مع الآخرين وكأنه في مغالبة على الدنيا، وسعي إلى الحصول على الغنائم والمكاسب الدنيوية، بل يستشعر مسؤوليته أكثر، ويحاسب نفسه أكثر، لأننا لن نُترك سدىً وليس الأمر منتهياً، صحيح أن حلم الله تبارك وتعالى طويل لكنه يؤجلهم إلى يوم [لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا] (الكهف: ٤٩).

لنستشعر الرقابة الإلهية (١٦٧)

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا على طاعته وأن ينقذنا من الغفلة وأن
نكون ذاكرين لله تبارك وتعالى ولإمامنا عَلَيْهِ السَّلَام الشريف، والحمد لله رب
العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

(ويطعمون الطعام على حبه)^(١) (الانسان: ٨)

الآية حلقة من سلسلة آيات نزلت في امير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم اجمعين) في حادثة مشهورة لدى الفريقين، وعدّ المرحوم الاميني في كتاب الغدير^(٢) (٣٤) ممن أوردتها من علماء السنة، والف الحافظ أبو محمد العاصمي كتاباً في مجلدين اسماه (زين الفتى في شرح سورة هل اتى) ووصف الالوسي في روح المعاني خبر الواقعة بانه مشهور.

وخلاصة الحادثة في مصادر العامة كما أوردتها العلامة الاميني (قده) عن ابن عباس قال إن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا:

يا أبا الحسن؟ لو نذرت على ولدك. فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام.

فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيري اليهودي ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد؟ مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من

(١) كلمة القيت يوم الأربعاء ٢٦/ ذي الحجة / ١٤٣٧ الموافق ٢٨/٩/٢٠١٦.

(٢) الغدير: ١٠٧م-١١١ من الطبعة الاصلية، و ٤/١٥٤-١٦١ من طبعة دار الغدير.

موائد الجنة.

فأثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياما، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوئني ما أرى بكم؟! وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عيناها، فساء ذلك فنزل جبريل وقال: خذها يا محمد؟ هناك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة.

وحاول البعض التشكيك في نزولها في علي واهل بيته (عليه السلام) رغم شهرتها وكثرة مصادرها، ومما قالوه: ان السورة مكية والحادثة وقعت في المدينة بعد زواج امير المؤمنين وولادة الحسنين (عليه السلام) وجوابه: عدم الوثوق بما دل على مكية السورة بل الدليل على العكس أي مدينة السورة، لوجود ذكر الأسير فيها، ولم يكن للمسلمين اسرى في مكة بل كانوا قلة مستضعفين وانما قويت شوكتهم واصبح لديهم اسرى في المدينة، ولو تنزلنا فان مكية السورة لا ينافي كون بعض آياتها مدنية وهي ١٨ اية من قوله تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان : ٥] الى الآية ٢٢ ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان : ٢٢].

وقد دلت عدة روايات من الفريقين على ان السورة مدنية ومنها ما دل على خصوص الآيات المذكورة كرواية للمفيد في الاختصاص بسنده الى

رسول الله (ﷺ) وفيها قوله مخاطباً أمير المؤمنين (عليه السلام) (هل عملت شيئاً غير هذا فان الله قد انزل عليّ سبع عشرة آية يتلو بعضها بعضاً، من قوله (ان الابرار) الى قوله (وكان سعيكم مشكوراً)^(١).

ولشهرة الخبر فقد نظمها الشعراء في قصائدهم، ومنها قول الوزير
الصاحب بن عباد:

وسائل هل أتى نص بحق علي قلت (هل أتى) نص بحق علي
ونحن لا نريد بهذا الحديث الاكتفاء بالتذكير بهذه المنقبة لأمير المؤمنين
(عليه السلام) واهل بيته في ذكرى نزول هذه السورة في ٢٥/ذي الحجة وانما نريد ان
نستلهم بعض الدروس والعبر.

١- كرامة الانسان في الإسلام والإحسان اليه حتى لو كان مشركاً محارباً
كأسير الحرب مع الدولة النبوية الكريمة فلم يتخذ النبي (ﷺ) سجيناً لاسراه
وانما كان يوزع الاسرى على المسلمين ليحافظوا عليهم ويحسنوا اليهم حتى
يجعل الله تعالى لهم فرجاً وورد في ذلك قوله (ﷺ) (استوصوا بالأسرى
خيراً)^(٢)، (وقد كان يؤتى الرسول (ﷺ) بالأسير فيدفعه الى بعض المسلمين
فيقول: احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه)^(٣) واذا لم
يجد الأسير ما يحفظ كرامته عند مضيفه فتعطى حرته ويذهب لينال ما يريد،
ويختار ومنها ما في هذه الحادثة لذا قصد هذا الأسير دار علي وفاطمة (عليهما السلام)

(١) البرهان في تفسير القرآن: ٧٩/١٠ ح ٥ عن الاختصاص: ١٥٠.

(٢) الأمثل: ٥٢٤/١٤ عن الكامل لابن الاثير: ١٣١/٢.

(٣) روح المعاني للألوسي: ١٥٥/٢٩ عن الحسن.

(وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ)..... (١٧١)

لما بلغه من اثارهما على انفسهما وتكريمهما السائل والمحتاج .

٢- الأولوية والاهمية التي يحظى بها اطعام المحتاجين والمعوزين من بين اعمال البر الكثيرة، وقد اشير اليه في الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة كثيرا، قال تعالى (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) [البلد: ١١ - ١٦] روي عن النبي (ﷺ) قوله (من اطعم ثلاث نفر من المسلمين اطعمه الله من ثلاث جنان في ملكوت السماوات) والحديث مطلق ولم يقيّد المدعوين للطعام لكونهم فقراء أو محتاجين وهذا يعني أن الاطعام مستحب بغض النظر عن كون الاكلين ذوي حاجة لما فيه من تقوية اواصر المحبة والموّدة وانفتاح النفوس على بعضها وزوال ما بينها من شحناء وبغض.

وعن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) قال : (من اطعم مؤمنا حتى يشبعه لم يدري احد من خلق الله ماله من الاجر في الاخرة لا ملك مقرب ولا نبي مرسل الى الله رب العالمين)^(١).

وعنه (ﷺ) قال : (من افضل الاعمال عند الله ابراد الكباد الحارة واشباع الكباد الجائعة)^(٢) وهو حديث مطلق يشمل كل ذي كبد حتى الحيوانات، وتعززه روايات أخرى ففي بعضها ان أمراءه فاسقة غفر لها لأنها سقت قطة عطشى ماءً، تضمنت تمة الحديث تهديد المقصر في ذلك قال (ﷺ)

(١) أصول الكافي: ٢/٢٠٠ - ٣٠٢ باب اطعام المؤمن .

(٢) بحار الانوار: ٣٦٩: ٧٤.

(والذي نفس محمد بيده لا يؤمن بي عبد بيت شعباناً واخوه- او قال جاره- المسلم الجائع).

ولو ألزمت البشرية بهذه التوصيات لما مات ملايين البشر جوعاً بينما تتلف دول الغرب المترفة الاف الاطنان من الأغذية للمحافظة على الأسعار ونحو ذلك.

٣- ويمكن ان يتوسع معنى الأسير ليشمل كل محتاج الى رعاية غيره واعالته مادياً، كالمروي عن النبي (ﷺ) في المديون لغيره: (غريمك اسيرك فأحسن الى اسيرك) ^(١) ومنهم عيال الرجل وأسرته عن الامام الكاظم (عليه السلام) (ينبغي للرجل ان يوسع على عياله لئلا يتمنوا موته وتلى هذه الآية ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قال: الأسير عيال الرجل ينبغي له اذا زيد في النعمة ان يزيد اسراءه في السعة عليهم)، ثم قال (ان فلاناً انعم الله عليه بنعمة فمنعها اسرائه وجعلها عند فلان فذهب الله بها، قال الراوي: وكان فلان حاضراً) ^(٢).

وروي عن النبي (ﷺ) قوله: (اتقوا الله في النساء فأنهن عندكم أعوان) ^(٣) أي اسراؤه، وهكذا تشمل التوصية بالأسرى خيراً كل من كان راعياً لغيره في مؤسسة أو دائرة او كيان ونحو ذلك.

ويتوسع المعنى الى الحاجة المعنوية أيضاً فيشمل من هو في حاجة اليه

(١) روح المعاني للألوسي: ١٥٦/٢٩

(٢) فروع الكافي: ١١/٤ كتاب الصدقة باب ٧: كفاية العيال والتوسيع عليهم، ح ٣

(٣) الفرقان في تفسير القرآن: ٢٣٦/٢٩ عن تفسير الرازي: ٢٤٥/٣٠

(وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ)..... (١٧٣)

فكرياً وعقائدياً واجتماعياً وهذا المعنى قد ورد في اليتيم في الاحاديث الشريفة وقد تناولناها في كلمة سابقة^(١).

٤- ان الاطعام حصل (على حُبِّه) أي رغم وجود الحب للطعام لا من جهة نهم الاكولين والميل الشهوي والتلذذ به فهم ابعد ما يكونون عن ذلك وهم المخلصون لله تبارك وتعالى، بل لحاجتهم اليه بحسب ما وصفتهم الروايات في الحادثة كما ذكرناها، ولأنهم يريدون التقوي به على الصوم وسائر طاعة الله تعالى. ولكنهم آثروا الثلاثة على أنفسهم وقدموا ما يريده الله تعالى على ما تريده نفوسهم لانهم يرون انفسهم عبيداً خالصين لله تبارك وتعالى ولا يملكون لها خياراً ولا إرادة ولا فعلاً الا الله تعالى فاخلصوا العبودية لله تعالى مما اكسب فعلهم قيمة اكبر.

ويمكن ان يكون معنى حُبِّه: حسنه وافضليته وطيبه ليكون ادعى للقبول قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] أي من أفضل ما عندكم واحسنه الذين تحبونه لأنفسكم.

وقد ارجع بعضهم الضمير في حبه الى الله تبارك وتعالى وكأنه لم يستسغ ارجاعه الى الطعام لكنه تصرف بعيد بحسب السياق ولان هذا المعنى سيأتي في الآيات اللاحقة ولان الضمير لو كان عائداً الى الله تعالى لكان الأولى التعبير (في حُبِّه) ولعدم الغرابة في عودة الضمير الى الطعام بعد الذي ذكرناه، وقد

(١) خطاب المرحلة: (٢٥٠) ... هل تريد أن تكون مع الصديقة الزهراء (عليها السلام) في درجتها؟، أنظر:

روى البرقي في المحاسن بسند صحيح عن الامام الرضا (عليه السلام) في هذه الآية قال الراوي (قلت : حب الله او حب الطعام؟ قال : حب الطعام) ^(١)، فهذا الايثار الذي صاحب فعلهم (صلوات الله عليهم أجمعين) هو المنشأ الأول لإعطائه هذه القيمة الكبرى بحيث تنزل فيهم سورة مباركة تتلى الى نهاية الدنيا، مع أنه فعل بسيط في نفسه لا يعدو إنفاق خمسة أرغفة من شعير وليس من حنطة.

٥- والمنشأ الثاني والاهم الذي اعطى فعلهم (صلوات الله عليهم اجمعين) القيمة العظمى ان اطعامهم كان خالصاً لله تعالى ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] فهم لم يتغوا شكر المعطى وثناءه ولا جزاء منه ولو كان العطاء مشروطاً بالجزاء لحرم كثير من المحتاجين لعدم امتلاكهم الجزاء، ولو كان مشروطاً بالشكر للزم منه توهين المعطى واذلاله.

فلكي يكون الاطعام طيباً هنيئاً لا بد ان يكون مجرداً من طلب الجزاء او الشكر، كاطعام علي (عليه السلام) واهل بيته فقد كان اطعامهم خالصاً لوجه الله لا يتغون عليه جزاء بجلب ثواب او دفع عقاب حتى من الله تبارك وتعالى. لان عبادتهم عبادة احرار وليست فعل التجار الذين يعبدون الله طمعاً في جنته ولا العبيد الذين يعبدون الله خوفاً من ناره بحسب تقسيم امير المؤمنين (عليه السلام) لعبادة الناس، ومن كلمات المشهورة (إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولا طمعاً في ثوابك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك) ^(٢).

(١) المحاسن: ٣٩٧ ح ٧١

(٢) البحار: ١٤/٤١.

(وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ).....(١٧٥)

وقد حصر القصد بإرادة وجه الله تعالى خالصاً باستعمال أداة الحصر (انما) أما ما ورد في الآية التالية (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) (الإنسان: ١٠) فهو لا ينافي قصد وجه الله تعالى لأنه خوف من آثاره ورشحاته وليس مستقلاً عنه حتى يدخل في عبادة العبيد، بل خوف البعد عنه تبارك وتعالى وعدم نيل رضاه وبلوغ كمال معرفته.

٦- لم يسبق قولهم (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَأ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَكَلًا شُكُورًا) (الإنسان: ٩) بكلمة (قالوا) وهذا يعني أنهم لم يقولوا هذا الكلام للثلاثة المطعمين وهذا الاستظهار يناسب مقامهم السامي وكون إطعامهم لوجه الله، أما النفوه بهذه الكلمات أمام المطعمين فإنه لا يخلو من توهين وترفع عنهم، فالظاهر ان هذا التعبير من الله تبارك وتعالى لبيان حالهم ومقامهم الذي علمه الله تعالى منهم والروايات تدل على ذلك، فقد روى الشيخ المفيد في الاختصاص (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (أما ان علياً لم يقل في موضع: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَأ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَكَلًا شُكُورًا، ولكن الله تعالى علم من قلبه أن ما أطعم الله، فأخبره بما يعلم من قلبه من غير أن ينطق به)^(١).

٧- إن هذه القيمة الكبرى التي اكتسبها الاطعام بالإخلاص لله تعالى لا تختص به بل يمكن أن تكتسبها أي طاعة لله تعالى فالآية نموذج للتربية القرآنية للإنسان على ان يبادر الى فعل الخير ويسارع اليه لا لشيء إلا لأن فيه رضا الله

(١) البرهان في تفسير القرآن: ٧٩/١٠ ح ٦ عن الاختصاص: ١٥١ ورواها الشيخ الصدوق في

الامالي عن الامام الصادق عن ابيه (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

تبارك وتعالى لا ينتظر جزاءً ولا شكوراً من أي أحد ولا يثبطه ولا يشعره بالإحباط واليأس عدم حصوله على الثناء والشكر والإشادة بعمله بل ربما يتعرض للإساءة من نفس الذين يحسن اليهم لؤماً منهم وهو يمضي في معرفه وإحسانه متأسياً بربه الذي يغدق على عباده بالنعمة وهم يعصونه ويتمردون عليه ويشركون به ويعبدون غيره (مني ما يليق بلؤمي منك ما يليق بكرمك).

٨- وهذا السلوك القرآني والسير على منهجه ثابت في سيرة أهل البيت (عليهم السلام) - وهم القرآن الناطق - فقد روت كتب التاريخ والمقاتل أن الحر الرياحي وكتيبته البالغة ألف فارس من جيش الأمويين لما خرجوا لاعتراض ركب الامام الحسين (عليه السلام) في الطريق بلغ بهم العطش والاعياء أقصاه فتلقاهم الامام (عليه السلام) وسقاهم ثم سقى خيولهم بيده الشريفة، ولما حاصره القوم في كربلاء ومنعوه واصحابه حتى الرضع من الماء حتى قضوا عطشى لم يرو أحد أن الامام الحسين (عليه السلام) ذكرهم بموقفهم ذاك أو قال لهم اسقوني كما سقيتكم في الطريق، لأنه من أولئك الذين قال الله تعالى (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا).

فسلام الله عليك يا أبا عبد الله يا رمز الإباء والسمو والإنسانية.

(يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)^(١)

قال الله تبارك وتعالى (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) (الانفطار:٦) وهو خطاب موجّه الى الانسان على شكل سؤال واستفهام لكنه ليس لطلب المعرفة لان الله تعالى محيط بكل شيء علماء، وإنما هو استنكاري لتوبيخ وعتاب المخاطب وتعجب من عصيان الانسان لربه الكريم وتنبه العاصي لقيح فعله، فظاهر السؤال عن العلة وسبب الاغترار وحقيقته عن النتيجة وما حصل بالاغترار أي محاسبته على ما صدر منه من معاصي فيسأله ما الذي غرّرك ودفعتك وسوّلك حتى عصيت ربك الكريم وتمردت عليه، وهذا فعلٌ مخالف للفطرة الإنسانية التي توجب مقابلة الإحسان بالإحسان، لذا يصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (أحمق الحمق الاغترار)^(٢).

وقد ذكرت الآية عدة عناصر تجعل الحجة أبلغ والتوبيخ أعنف:

(أولها) توجيه الخطاب اليه بما انه انسان عاقل مدرك للمسؤولية ولقواعد التعامل وقد أنعم الله تعالى عليه بنعم لا تعد ولا تحصى وقد ذكرت الآيات التالية بعضاً منها (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) (الانفطار:٧) الخ، وليذكره بأنّ انسانيته هي أعظم النعم (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون:١٤).

(١) خطبة عيد الفطر يوم الاثنين ١/شوال/١٤٣٨ الموافق ٢٦/٦/٢٠١٧.

(٢) غرر الحكم: رقم ٢٩١٥

(ثانيها) ويقول له: انك بمعصيتك تجاوزت على ربك الذي تولى تربيتك ورعايتك وصناعتك ودبر شؤونك كلها وانت لا تعلم.

(ثالثها) وتعديت على الكريم الذي أغدق عليك النعم من دون مقابل ولا توقع نفع منك فإنه تعالى غني عن العالمين، وقد كان من كرمه أنه حلم عنك ولم يعاجلك بالعقوبة وفتح لك باب التوبة والرجوع ولم يمنعه طول العكوف على المعصية من الاستمرار في إحسانه، ولم يقف كرمه عند العفو عن السيئات بل يبدلها إلى حسنات وغير ذلك من مظاهر الكرم.

والتغدير: الخداع والاستغفال والتجهيل بإراءة ظاهر محبوب تميل إليه النفس لكنه لا حقيقة له وإخفاء الباطن والحقيقة حتى يسوقه الى الغرض الذي يريده على غفلة منه فإثارة السؤال فيه تنبيه من الغفلة والقات نظر الانسان إلى ما هو عليه من حالة الاغترار الذي ادى به لهذا التجاوز الكبير وتحذير من الوقوع فيه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (سكر الغفلة والغرور أبعد إفاقة من سكر الخمر)^(١).

والمستفاد من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة أن أسباب الاغترار الموجب للوقوع في المعصية عديدة منها:

١- المظاهر الدنيوية الخداعة من مال وجاه ومناصب وانتماءات وعصبيات (وَدَّرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) (الأنعام: ٧٠) (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ) (آل عمران: ١٨٥) اي الخداع

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ).....(١٧٩)

والوهم، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (لا تغرّنك العاجلة بزور الملاهي، فإن الله ينقطع ويلزمك ما اكتسبت من المآثم)^(١).

٢- تزيين إبليس وجنوده (فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (لقمان: ٣٣) والغرور صفة مشبهة لكل من تأصل فيه تغير الآخرين لذا فسّر بالشیطان لانه كذلك (يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) (النساء: ١٢٠).

٣- أمانى النفس واهواؤها وميلها الى اللذات واتباع الشهوات والعجب والاتكال على الذات (وَعَرَّتْكُمْ الْأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (الحديد: ١٤). من وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لابن مسعود (لا تغترّن بصلاحك وعلمك وعملك وبرك وعبادتك)^(٢) وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (جماع الشرّ في الاغترار بالمهل، والاتكال على العمل) وقوله (غرور الأمل يفسد العمل) وقوله (كفى بالمرء غروراً أن يثق بكل ما تسوّل له نفسه)^(٣).

٤- مكر شياطين الانس وطواغيتهم ودجالهم والخداع والتضليل الذي يمارسونه والشبهات التي يلقونها (وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (آل عمران: ٢٤). روي عن الامام الباقر (عليه السلام) قوله (لا تغرّنك الناس من نفسك، فإن الأمر يصل اليك دونهم)^(٤) أي لا تغرّنك الناس من حولك ويوهمونك بأمر

(١) غرر الحكم: رقم ١٠٣٦٣

(٢) مكارم الاخلاق: ٣٥٠/٢

(٣) غرر الحكم: رقم ٤٧٧١، ٦٣٩٠، ٧٠٥٣

(٤) بحار الانوار: ٣٢٣/٧٢ ح ٢.

تسبب اغترارك، فإنك المسؤول عن افعالك وسوف يتخلون عنك ولا ينفعونك بشيء وعن الامام الصادق (عليه السلام) (لا يغرّنك بكاؤهم، فإن التقوى في القلب)^(١).

ومنشأ الوقوع في هذه الاسباب يرجع الى الجهل روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه لما تلا الآية عقب مجيباً على السؤال: (جهله)^(٢)، هذا الجهل يشمل جهل الإنسان برّبه وحقوقه عليه ولزوم طاعته وعليه أن يؤثر رضا ربّه على رضا نفسه أو أي أحد من المخلوقات، وان يتيقن انه بمحض خالقه وتحت نظره سبحانه (عميت عين لا تراك عليها رقيباً)^(٣)، والجهل بمبدأ الانسان ومعاده ومآله، والجهل بحقيقة الدنيا الزائلة، والجهل بحقيقة الشيطان ومكره وخدعه وعداوته لبني آدم ونحو ذلك.

اما الانسان الصالح فانه كلما ازداد معرفة بربه الكريم يزداد طاعة ومحبة له تبارك وتعالى ويزداد خوفاً من عصيانه وغضبه سبحانه (سبحانك وبحمدك من ذا يعرف قدرك فلا يخافك، ومن ذا يعلم ما انت فلا يهابك)^(٤)، لذا قد يُنسب التغرير الى أسباب أخرى ليست هي بنفسها موجبة له، لكن الانسان لجهله وغفلته عن حقائق الأمور وعواقبها اغترّب بها كحلم الله تعالى وعدم اخذه العاصين بالعقوبة عند صدور كل ذنب، واغداقه النعم على الكفار،

(١) بحار الانوار: ٧٠ / ٢٨٣ ح ٤.

(٢) الدر المنثور للسيوطي: ٤٣٩/٨.

(٣) مفاتيح الجنان، دعاء الامام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة.

(٤) مفاتيح الجنان، من دعاء الصباح عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ).....(١٨١)

وستره على قبائح العباد، وهذه كلها من الصفات الحسنی وكرم من الله تعالى ورحمة بالعباد لكن الانسان لجهله يسيء الاستفادة منها قال الله تبارك وتعالى (لَا يُغْرَتُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمِهَادُ) (آل عمران: ١٩٦-١٩٧) أي لا تجعل حلم الله تعالى يأمهال الكفار وعدم معالجتهم بالعقوبة سبباً للاغترار والغفلة عن الحساب والعقاب.

وفي دعاء الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَام) في ليالي شهر رمضان المعروف بدعاء ابي حمزة الثمالي (وَيَحْمِلُنِي وَيَجْرَتُنِي عَلَى مَعْصِيَتِكَ حِلْمِكَ عَنِّي، وَيَدْعُونِي إِلَى قِلَّةِ الْحَيَاءِ سِتْرِكَ عَلَيَّ، وَيُسْرِعُنِي إِلَى التَّوْبِ عَلَى مَحَارِمِكَ مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ، وَعَظِيمِ عَفْوِكَ)^(١) وفيه أيضاً (الهي لَمْ أَعْصِكَ حِينَ عَصَيْتِكَ وَأَنَا بِرَبُّوبِيَّتِكَ جَا حِدٌ، وَلَا بِأَمْرِكَ مُسْتَخِفٌّ، وَلَا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ، وَلَا لَوْعِيدِكَ مُتَهَاوٍ، لَكِنْ خَطِيئَةٌ عَرَضَتْ وَسَوَّلَتْ لِي نَفْسِي، وَعَلْبَنِي هَوَايَ، وَأَعَانَنِي عَلَيْهَا شِقْوَتِي، وَغَرَّتَنِي سِتْرُكَ الْمُرْخِي عَلَيَّ).

اذن بهذا التقريب يمكن فهم معنى نسبة الاغترار الى حلم الله تعالى أو كرمه أو رحمته، وهذا دفع بعض المفسرين الى القول: (وانما قال الكريم دون سائر اسمائه وصفاته لانه كان لقنه الإجابة حتى يقول غررتي كرم الكريم)^(٢). وهذا التلقين بحد ذاته مظهر آخر للكرم الإلهي.

لكن السيد الطباطبائي (قدس) اعترض على هذا الفهم قائلاً: (ومن هنا

(١) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي: ٣٤٠، ٣٣٥.

(٢) حكاة في مجمع البحرين: مج ٢/٢٦٣ مادة (غرر) عن الشيخ ابي علي وفي مادة (لقن) ايضاً وذكره آخرون.

يظهر ان لا محل لقول بعضهم: ان توصيف الرب بالكريم من قبيل تلقين الحجة وهو من الكرم ايضاً، كيف؟ والسياق سياق الوعيد، والكلام ينتهي الى مثل قوله (وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ) (الانفطار: ١٤-١٥)، ولو كفى الانسان العاصي قوله (غرني كرمك) لصرف العذاب عن الكافر المعاند كما يصرفه عن المؤمن العاصي، ولا عذر بعد البيان^(١).

أقول: لا نجد وجهاً للاعتراض:

- ١- لان هذا المعنى وارد في كلام المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) كما تقدم.
- ٢- واتضح مما تقدم ان الكرم والرحمة ونحوهما ليست هي السبب المباشر للاغترار الانسان حتى يعترض عليه، وانما السبب سوء استفادة الانسان منها وهي حالة موجودة حتى مع كرام الخلق كما في الرواية عن الإمام الحسن المجتبي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (انه وجد شاة له قد كُسرَت رجلها، فقال لغلام له: من فعل هذا؟ قال الغلام: أنا، قال: لم فعلت ذلك، قال: لأجل لك الهم والغم، فتبسم الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقال: لأسْرُكُ فاعتقه وأجزل له العطاء)^(٢). (ان علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) دعا مملوكه مرتين فلم يجبه فلما أجابه في الثالثة قال له: يا بني اما سمعت صوتي قال: بلى، قال فما بالك لم تجبني، قال: أمنتك، قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمني)^(٣).

٣- ان هذا الاعتراف لا يفيد العاصي بل يوجب استحقاقه للعقوبة

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/٢٤٨.

(٢) موسوعة المصطفى والعترة (صلى الله عليهم أجمعين) للشاكري: ٩٠/٥.

(٣) بحار الانوار: ٥٦/٤٦ ح ٦ عن ارشاد المفيد ومناقب ابن شهر آشوب إعلام الوري.

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ).....(١٨٣)

المضاعفة، لانه قابل الكرم والحلم والعمو بالعصيان والتمرد واغتر بالحسنة والنعمة فحولها الى سيئة ونقمة بدل شكرها وأداء حقها وأمن مكر الله تعالى، واذا نفعه هذا الجواب فلما فيه من الاعتراف بسعة كرم الله تعالى حتى طمع في معصيته وهذا الاعتراف أمر يحصل في الآخرة ولا علاقة له بمعاصيه في الدنيا.

٤- ان الكافر لا يستطيع ان يقول هذا الكلام لانه لم يكن يعتقده ولا يعرفه، وليس كرم الله تعالى الذي غره بالمعصية وإنما غره هواه وتسويل الشيطان وزخارف الدنيا. كما صرحت الآيات الكثيرة التي اوردناها في أسباب الاغترار.

٥- ان هذا التلقين لا يفهمه الا أهل المعرفة خصوصاً وان الآية لم تذكر بصراحة ووضوح: أيها الكافر او العاصي قل (غرّني كرمك) عندما تسأل: لماذا كفرت وعصيت، وانما اكتفت بوصف الرب بالكريم وفهم أهل المعرفة من ذكر هذا الاسم دون غيره انه إشارة الى هذا المعنى، فهذا التلقين للحجة لا يفهمه الا من يستحقه ومثل هذا لا يغريه كرم الله تعالى بالمعصية وانما بمزيد من الطاعات واجتناب المعاصي والاعتراف بالعجز والتقصير (فاذا كان الفرد مستحقاً لفهمها كان مستحقاً لتطبيقها ويتحمل مسؤوليتها، اما السائرون في المعصية والموغلون في الرذيلة فلا يعرفونها ولا يفهمونها ابداً، وليس لهم التوفيق في الرجوع الى مصادر التفسير)^(١).

اقول: ولو قرأوها في التفاسير أو سمعوها من أحد فانهم لا ينتفعون بها

(١) مئة المئان في الدفاع عن القرآن للسيد الشهيد محمد صادق الصدر: ٣٧٩/٤

لأنهم سيذهلون عنها.

٦- ان هذا السؤال يقع يوم القيامة بحسب الظاهر حيث يكون باب العمل والتكليف مغلقاً، وليس في الدنيا حتى يكون سبباً للتغريب بالعاصي، فقول (غرني كرمك) يكون لاستدرار الرحمة والعفو وليس للتمادي في الذنوب.

٧- ان السيد الطباطبائي يعلم ان هذا المعنى يليق بكرم الله تعالى، وان الله تعالى عند حسن ظن عبده، وانه عز وجل أكرم من ذلك، فقد يجيز كذب العبد اذا ادعاه تطبيقاً لقوله تعالى (وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ) (يس:٥٧) ففي تفسير القمي بسنده عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) قال: قال رسول الله (ﷺ) (إن آخر عبد يؤمر به الى النار، فاذا أمر به التفت، فيقول الجبار جلّ جلاله: ردّوه فيردّونه فيقول: لم التفت إليّ؟ فيقول: يا ربّ لم يكن ظني بك هذا، فيقول: وما كان ظنك بي؟ فيقول: يا ربّ كان ظني بك ان تغفر لي خطيئتي وتسكنني جنتك، قال: فيقول الجبار: يا ملائكتي، وعزّتي وجلالي وآلائي وعلوي وارتفاع مكاني، ما ظنّ بي عبدي هذا ساعة من خير قطّ ولو ظن بي ساعة من خير ما روّعته بالنار، أجزوا له كذبه فأدخلوه الجنة)^(١).

٨- اننا نذكر هذه المعاني والروايات لنزداد معرفة بالله تعالى فنزداد حباً له تعالى وطاعة له سبحانه وتعلقاً به ونزداد فخراً واعتزازاً بأن ربنا ومولانا هو هذا الرب الكريم وليس مثل الكفار والمشرّكين والملحدين واللادينين

(١) بحار الانوار ٨٧/٧ عن ثواب الاعمال، وحكاة في هامش منّة المّنان: ٣٨٢/٤ عن تفسير القمي:

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ).....(١٨٥)

الذين لهم آلهة وهمية مزيفة (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي ربا)

وقد استقرب السيد الشهيد الصدر الثاني (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) إفادة الآية لتلقيين الحجة، واحتمل وجهاً لا اعتراض السيد الطباطبائي على هذا المعنى قال فيه: (ولعل الذي حدى بالسيد الطباطبائي الى نفي هذا المعنى لكي لا يكون كلام المشهور سبباً للذنوب، فجزاه الله خيراً، فقد سدَّ الباب وبين ان هذه الآية لا تعطي ذلك اطلاقاً حتى ان الناس اذا قرأوا القرآن او قرأوا التفاسير لا يكونون مطمئنين لذنوبهم، والا لو لا هذا العنوان الثانوي في الحقيقة - وهو انسداد باب الذنوب - فإن الآية تعطي ذلك حقاً (غرني كرمك) ولذا اوصي المبلغين وقادة المجتمع ان لا يركزوا على الروايات الباعثة على الاطمئنان والشفاعة وغفران الذنوب، لان الناس ليسوا على مستوى التطميع برحمة الله، فيفتح باب الذنوب ويستغل الشيطان هذه الثغرة للمرور إلى نفوس الناس وإغوائهم، وتكون ذممكم مشغولة من هذه الناحية، واذكر اني كنت ذات يوم في مجلس تعزية فصاح أحدهم (من صلّى عليّ مرة لم تبقَ من ذنوبه مرة)^(١) فهذا القول قد يكون صدر من النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) غير أنه صدر للمستحق لا لمن لا يستحق، اما ان يعلن في مجلس عام فهو مصيبة من المصائب، لانها اذا وصلت الى غير المستحقين يتذرعون بها لاقتراف الذنوب واقتحام المعاصي، وحينها اعترضت على صاحب المجلس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وكان من فضلاء الحوزة - ان لا يسمح بمثل ذلك).

(١) بحار الانوار: ٦٣/٩١، مستدرک الوسائل: ٢٣٤/٥ أبواب الذكر، الباب ٣١ ح ١٣.

أقول: هذه المخاوف في محلها إذ ان هذا الفهم قد اسيء استخدامه لدى العامة فعلاً فتراهم يوغلون في المعاصي والمنكرات ولما انتهى أحدهم يقول (الله كريم) وهذا جهلٌ فظيعٌ بعلاقة العبد بربه، وكأنهم لم يسمعوا الآيات الكثيرة كقوله تعالى (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (إبراهيم: ٧) وقوله تعالى (نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) (الحجر: ٤٩-٥٠) وفي دعاء الافتتاح في ليالي شهر رمضان (وأيقنت أنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة) فلا بد من وضع هذه الإشارات الكريمة في سياقها الإيجابي الذي ذكرناه في النقطة (٨) وليس سياقها السلبي، وهذا المعنى للآية إنما يذكر شاهداً على سعة كرم الله تعالى ليزداد المؤمن محبة وتعلقاً بربه وليس فيه دفع للمعاصي والعياذ بالله بل إن فيه تأكيداً للحجة البالغة على العاصين.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) عند تلاوته هذه الآية (أَدْخَصُ مَسْئُولٍ حُجَّةً وَأَقْطَعُ مُغْتَرِّ مَعْدِرَةٍ لَقَدْ أُبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ وَمَا أَنْسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقِظَةٌ أَمَا تَرَحَّمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرَحَّمُ مِنْ غَيْرِكَ فَلَرَبِّمَا تَرَى الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِالْمِ يُمِضُ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ فَمَا صَبْرَكَ عَلَى دَائِكَ وَجَلْدَكَ عَلَى مُصَابِكَ وَعَزَّأكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجِ سَطَوَاتِهِ فَتَدَاوَى مِنْ دَاءِ الْفِتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَازِرِكَ بِيقِظَةٍ

وَكَنَّ لِلَّهِ مُطِيعاً وَبَذَرَهِ آنَساً وَتَمَثَّلَ فِي حَالِ تَوَلَّيْكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ وَأَنْتَ مُتَوَلِّ عَنَّهُ إِلَى غَيْرِهِ فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَأَنْتَ فِي كَنْفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلُهُ وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ بَلْ لَمْ تَخُلْ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرُفُهَا عَنْكَ فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ وَآيَمَ اللَّهُ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفَقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ مُتَوَازَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِي الْأَعْمَالِ وَحَقًّا أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَّرْتَ وَلَقَدْ كَاشَفْتُكَ الْعِظَاتِ وَأَذَنْتَكَ عَلَى سَوَاءٍ وَلَهِيَ بِمَا تَعْدُكَ مِنْ نَزْوِلِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّفْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغْرَّكَ وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكْذَبٌ وَلَكِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكَيرِكَ وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَالشَّحِيحِ بِكَ وَلِنَعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوْطِنَهَا مَحَلًّا وَإِنَّ السُّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا عَدَاءٌ هُمْ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ إِذَا رَجَفَتِ الرَّاحِفَةُ وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ وَلِحَقِّ بِكُلِّ مَنَسَكٍ أَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عِبْدَتُهُ وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرَقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ وَلَا هَمْسٌ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ فَكُمْ حُجَّةٌ يَوْمَ ذَلِكَ دَاحِضَةٌ وَعَلَائِقُ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ^(١).

علماً بأن المؤمن الذي يتأسى بربه ووصف في بعض الأحاديث الشريفة بانه

لكرمه يغري الآخر بالتجاوز عليه (المؤمن غرّ كريم)^(١) لانه لا يظن الشر والسوء ولا يحتمله في الآخر ويتغافل عنه كرمًا منه وإحسانًا في أخلاقه لا جهلاً ولا لقلّة فطنته ويظن الآخر أنه قد خدعه كالذي يروى عن أحد أسرى بدر حينما توسل لرسول الله (ﷺ) أن يفك أسره ويقيه للصبيّة والعيال فعفا عنه رسول الله (ﷺ) ولما عاد الى مكة قال لقريش قال لهم: (خدعت كريماً فانخدع). ثم أسير في المعركة التالية وأعاد نفس الطلب لكن النبي (ﷺ) لم يمنحه فرصة أخرى وعاقبه بما يستحقه.

وبعيداً عن هذا المعنى وإشكالاته فإنه يمكن أن يكون إيراد لفظ الكريم لبيان أن الله تعالى لا يريد من سؤاله هذا نفعاً أو فائدة لأنه كريم لا يريد بعبائه جزاءً ولا شكوراً ولا تضره معاصي العاصين كما لا تنفعه طاعة المطيعين وإنما يراد هداية العباد وصلاحهم قال تعالى (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل: ٤٠).

ويمكن أن نفهم الآية على نحو آخر بحيث لا يكون المخاطب فيها الانسان العاصي، بل المطيع الطامع بمراتب الكمال، فيسأل ما الذي اغراك وطمّعتك حتى صرت تطلب هذه المنازل السامية، فيقول: أطمعني كرمك يا ربّي لانني اراك تعطي الكثير بالقليل وتبتدى بالنعم من لا يستحق وتعطي من سألك ومن لم يسألك ومن لم يعرفك، فالتعجب في الآية قد يكون من انحطاط الانسان وتسافله وقد يكون من رقيّه وتساميه اذا نظرنا الى الآية بمعزل عن

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ).....(١٨٩)

السياق الدال على الأول.

ونذكر الآن رواية عن الامام الصادق (عليه السلام) تتضمن مثالا للمعتر بما تمنيه نفسه ويملي عليه جهله، ومثالا لاغترار الناس بنماذج ظاهرها التدين والعمل الصالح الا انها في الحقيقة على العكس من ذلك، فقد روي عنه (عليه السلام) أنه قال (قوله عز وجل: اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، قال (يقول ارشدنا الى الصراط المستقيم ارشدنا للزوم الطريق المؤدي الى محبتك، والمبلغ الى دينك والمانع من ان نتبع اهواءنا فنعطب او نأخذ بآرائنا فنهلك) ثم قال (عليه السلام) فان من اتبع هواه وأعجب برأيه كان كرجل سمعت غشاء العامة تعظمه وتصفه فأحبت لقاءه من حيث لا يعرفني، فرأيته قد أحدق به خلق كثير من غشاء العامة، فما زال يراوهم حتى فارقه ولم يقر، فتبعته فلم يلبث أن مر بخباز فتغفله فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معاملة، ثم مر بعده بصاحب رمان فما زال به حتى تغفله وأخذ من عنده رمانتين مسارقه فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معاملة، ثم أقول: وما حاجته إذأ إلى المسارقة؟! ثم لم أزل أتبعه حتى مر بمريض فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه - ثم ذكر أنه سأله عن فعله - فقال له: لعلك جعفر بن محمد؟ قلت: بلى، فقال لي: فما ينفعك شرف أصلك مع جهلك؟! فقلت: وما الذي جهلت منه؟ قال: قول الله عز وجل ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام : ١٦٠] ، وإني لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين ، ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين ، فهذه أربع سيئات ، فلما تصدقت بكل واحدة منها كان لي أربعين

حسنة، فانتقص من أربعين حسنة أربع سيئات وبقي لي ست وثلاثون حسنة، فقلت له: ثكلتك امك، أنت الجاهل بكتاب الله، أما سمعت الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] إنك لما سرقت رغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت رمانتين كانت أيضا سيئتين، ولما دفعتهما إلى غير صاحبهما بغير أمر صاحبهما كنت إنما أضفت أربع سيئات إلى أربع سيئات، ولم تضيف أربعين حسنة إلى أربع سيئات فجعل يلاحظني فانصرفت وتركته، قال الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ): بمثل هذا التأويل القبيح المستكره يضلون ويضلون^(١).

(١) وسائل الشيعة: ٤٦٧/٩ كتاب الزكاة، أبواب الصدقة باب ٤٦، ح ٦.

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً) (الأحزاب: ٤١)

أهم قضاياها: أن نستحضر الله تعالى في وجداننا^(١)

من أهم الأهداف التي نسعى إليها والقضايا التي يجب أن نهتم بها ونكرس لها اوقاتنا هي كيف نجعل الله تعالى حاضراً في وجداننا وتنبض به قلوبنا ونصدق فعلاً أنه شاهد علينا ولا نغيب عن نظره سبحانه وهي الحالة التي أوصى النبي (ﷺ) أبا ذر (رضوان الله تعالى عليه) بالوصول إليها (يا أبا ذر اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

أما أن نؤمن به تعالى نظرياً وفي عقولنا واذهاننا فهذا وحده لا يكفي، لذلك تجد نبي الله تعالى إبراهيم (عليه السلام) يطلب هذا الاطمئنان القلبي من الله تعالى رغم إيمانه العقلي التام (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي) (البقرة: ٢٦٠).

والشاهد على عدم كفاية الايمان العقلي وحده انك تجد الكثيرين ممن يحملون هذا المستوى من الاعتقاد لكنه لا ينعكس على سلوكهم وتعاملاتهم واخلاقهم فهم يتبعون أهوائهم وعصبياتهم وتحزباتهم ويطيعون ساداتهم وكبراءهم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

(١) الخطبة الموحدة لصلاة الجمعة في عموم المحافظات يوم ٢٩ / شوال / ١٤٣٩ المصادف ١٣ /

ينقل عن أحد مراجع الدين وهو من أهل المعرفة (قدس الله نفسه) أنه سأل الحاضرين لديه: هل حقاً توجد جنة ونار وحساب؟ فقالوا له: مثلك من يسأل هذا السؤال وقد تعلمنا العقائد الحققة منك؟ فبيّن وجه السؤال وحاصله أنني لا أرى لهذا الاعتقاد أثراً في حياة الناس حتى بدا كأنه وهم وليس حقيقة وهذا وجه قول أمير المؤمنين (عليه السلام) (ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت) ^(١) لأن الجميع متيقنون من ملاقة الموت عاجلاً أو آجلاً لكن لا أحد يظهر على عمله الاستعداد لهذا الآتي الا القليل.

ولذا تجد الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تركز على الاكثار من ذكر الله تعالى والمواظبة عليه وعدم الغفلة عنه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) (الأحزاب: ٤١) وليس المطلوب منه مجرد تحريك اللسان وانما استشعار كوننا بمحضر من الله تبارك وتعالى وانه شاهد علينا وناظر لنا في جميع احوالنا من السر والعلن وأنه وحده تعالى المؤثر في الخلق ولا تعمل الأسباب الاخرى الا بإذنه، وما يترتب على هذا الحضور من آثار المراقبة وإحسان العمل واجتناب المعاصي والذنوب والتوكل عليه وحده والطلب منه وتعلق الآمال به بفضل الله تعالى وكرمه.

إن ذكر الله تعالى يمكن أن يكون من خلال إثارة جوانب عديدة بحسب اسمائه الحسنی فيمكن ان تناوله من جهة عظمة الله تعالى ببيان عظمة خلقه أو تناوله من جهة حكمة الله تعالى ببيان لطيف صنعه أو تناوله من جهة كرم الله

أهم قضاياها: أن نستحضر الله تعالى في وجداننا (١٩٣)

تعالى ورحمته بيان سعتهما أو تناوله من جهة حلمه ومغفرته وعفوه وهكذا، بلحاظ سائر الأسماء الحسنى، وهذا التنوع يكون بلحاظ استحقاق الشخص ومحط اهتمامه والباب الذي تدخل منه إلى قلبه، فقد يكون عالماً مادياً تريد هدايته أو شاباً مذنباً أو جاهلاً ساذجاً، أو مغترأً بالدنيا وغير ذلك من الحالات، فلكل واحد منهم ما يناسبه من الخطاب.

ولعل الاجدى والأكثر تأثيراً في هذا المجال تحبيب الله تعالى إلى القلوب وقد ذكرت الروايات لمن يعمل على ذلك أجراً عظيماً فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قوله (إني لأعرف ناساً ما هم أنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمنزلتهم يوم القيامة: الذين يحبون الله ويحبونهم إلى خلقه، يأمرونهم بطاعة الله فإذا أطاعوا الله أحبهم الله) (١).

وقد ذكرنا في خطاب سابق (٢) عدة أساليب لتحبيب الله تعالى إلى خلقه منها تذكيرهم بنعمه تبارك وتعالى، روي عن الامام الباقر (عليه السلام) أنه قال (أوحى الله تعالى إلى موسى (عليه السلام) أحببني وحببني إلى خلقي، قال موسى (عليه السلام) يا رب إنك لتعلم أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ منك فكيف لي بقلوب العباد؟ فأوحى الله إليه: فدكرهم نعمتي وآلائي فإنهم لا يذكرون مني الا خيراً) (٣).

لقد كان المرجع الشهيد السيد محمد الصدر (قدس الله نفسه الزكية) مهتماً بهذه القضية ايّما اهتمام وعندما أقام صلاة الجمعة المباركة انتقد صريحاً

(١) مجمع الزوائد للهيتمي: ١ / ١٢٦.

(٢) راجع خطاب المرحلة: ١٧٣/٦، وفي هذا الكتاب ص ١١.

(٣) بحار الأنوار: ٣٥١/١٣، ٣٨/١٤.

الطريقة السائدة لدى الخطباء والمتحدثين من الابتداء بسطر واحد فقط يضم الحمد لله تعالى والصلاة على النبي وآله ثم الدخول في سائر المواضيع الدينية، وكان يعتقد بلزوم تخصيص حصة كافية لذلك فكان يبتدئ بمقطع من الادعية الشريفة التي تعمق هذا الايمان في قلوبنا ووجداننا.

ومن يتأمل في رسائله المنشورة في كتاب (قناديل العارفين) يجد هذا المعنى حاضراً والتأكيد على الذكر القلبي أكثر من اللساني، وذكر صوراً للذكر القلبي منها (التفكير في شأن الفرد أمام خالقه من القصور والجهل والذنب والتقصير وحسن الظن به تبارك وتعالى وكونه محل لطفه وتعمه سبحانه ونحو ذلك) ^(١).

أيها الأحبة: إن احياء هذا التفاعل الوجداني والعملي مع الله تبارك وتعالى هو أهم قضية في حياتنا وهو مفتاح السعادة والخير وبه صلاح الأمة ونجاتها مضافاً إلى ما ورد في الرواية السابقة من المنزلة العظيمة فلا تقصروا فيه وهي مسؤولية الجميع خصوصاً الخطباء والمبلغين والكتّاب والمثقفين والمتحدثين، ولا ثمرة في أي عملية إصلاحية مالم تستند على هذا الأساس الوثيق. اعاننا الله تعالى على طاعته ووقفنا لما يحب ويرضى إنه ولي النعم.

(إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت)

(الجمعة: ٦)

الاستعداد للموت: علامة صدق الايمان^(١)

قال تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (الجمعة: ٦-٧).

الهُود بمعنى الرجوع والميل والذين هادوا هم اليهود ومن وجهة نظرهم فإن منشأ التسمية لأنهم رجعوا عن عبادة العجل إلى عبادة الله تعالى، ولكن القرآن الكريم يرى فيهم أنهم مالوا عن الله تعالى وعن الحق. ومن الشواهد على ذلك هذا التحدي الذي ذكرته الآية الكريمة، وهو ليس خاصاً باليهود وإنما يتوجه إلى كل من يدعي القرب من الله تعالى والمنزلة الرفيعة في الآخرة وقد ورد هذا المعنى في آية أخرى بهذا العموم قال تعالى (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (البقرة: ٩٤-٩٥).

فالآية الكريمة تتحدى اليهود الذين زعموا أنهم أولياء الله وشعبه المختار وإن الجنة خالصة لهم وإنهم أبناء الله وأحباؤه (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ

أَبْنَاءَ اللَّهِ وَأَحِبَّاءَهُ) (المائدة: ١٨) وَتُبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ عِلْمَ صِدْقِ الْإِيمَانِ وَمَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى الشُّوقَ لِلْقَائِمِ وَتَمَنِّيَ الْمَوْتِ وَالخُرُوجَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَعِلَاقَتَهَا الْمَادِيَّةَ حَتَّى تَزُولَ مَوَانِعُ اللَّقَاءِ مَعَ الْحَبِيبِ وَالْفَوْزَ بِالنَّعِيمِ فَلِيَتَمَنَّوهُ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي دَعَاوَاهُمْ، وَمُطْمَئِنِّينَ لنتيجتهم، وَعَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَخَافُوا مِنْ تَعْرِضِهِمْ لِأَسْبَابِهِ كَالجِهَادِ الْمَوْجِبِ لِلْقَتْلِ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُحِبُّونَ لِلدُّنْيَا وَلَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي قُلُوبِهِمْ وَعَقُولِهِمْ أَيُّ نَصِيبٍ خَاصًّا أَحْبَابَهُمُ الَّذِينَ بَنَوْا قَدَاسَتَهُمُ الْمَزِيْفَةَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَوْهَامِ وَالإِدْعَاءَاتِ، لِذَا فَهَمُ حَرِيصُونَ عَلَى الْبَقَاءِ فِيهَا، وَيَكْرَهُونَ الْمَوْتَ لِأَنَّهُ يَحْرِمُهُمْ مِنْ وَصَالِ مَا أَحْبَبُّوه مِنَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا (وَلَتَجِدَنَّهِنَّ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) (البقرة: ٩٦).

ويكرهون الموت أيضاً ولا يتمنونه لأنهم اوغلوا في الظلم وفعل الموبقات واقتراف السيئات فهم لا يريدون الموت لأنه ينقلهم إلى دار الجزاء وهم يخافون مما سيواجهونه من العقاب (وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (البقرة: ٩٥) والآية تفيد التأييد فهم لم ولن يتمنوا الموت والواقع يشهد بصدق هذه الحقيقة.

لكن الآية الكريمة التالية تصدمهم بقوة وتذكرهم بحقيقة حتمية لا يمكن التغافل عنها حاصلها ان الموت الذي تفرّون منه سينزل بكم يوماً (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الجمعة: ٨) وعندما يأتيكم الموت فأنكم ستجدون

الاستعداد للموت: علامة صدق الايمان.....(١٩٧).

أنفسكم بين يدي الله تعالى ليخبركم بما قدمتم من اعمال، فاذا كنتم تريدون الفرار من الموت ففروا إلى الله تعالى فإنه لا ملجأ منه الا إليه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (أيها الناس كل امرئ لاق في فراره ما منه يفر، والأجل مساق النفس اليه، والهرب منه موافاته) ^(١).

فإذن أنتم ستلاقون هذا الآتي مهما هربتم من أسبابه، بل انكم (ملاقوه) فعلاً الآن ومستمرون على ملاقاته بعد الآن بحسب دلالة اسم الفاعل (ملاقي) على الاستمرارية.

ولهذه الملاقاة الآتية للموت مع أنهم أحياء ظاهراً في هذه الدنيا أكثر من

تفسير:

١- أنهم موتى روحياً ومعنوياً وضمائرهم ميتة وجوارحهم لا ينتفعون بها (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ) (الأعراف: ١٧٩) فليس لديهم ما يدل على حياتهم المعنوية إلى ان يحين موعد قبض الروح بواسطة ملك الموت فيتحقق الموت الجسدي أيضاً.

٢- ويمكن أن يكون استمرار الملاقاة ناشئاً من كون أعمارهم في كل يوم يمر عليهم في نقصان واقتراب من الأجل فكأنهم داخلون في مقدمات الموت، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (عجبت لمن يرى أنه يُنقص كل يوم

(١) الكافي ١: ٢٩٩، البحار ٢٠٦: ٤٢

في نفسه وعمره وهو لا يتأهب للموت^(١) .

وقد تسأل: ان اليهود الذين كانوا في عهد نزول الخطاب لماذا لم يتحدوا الآية الكريمة فلم يدعوا تمني الموت ولو بألستهم لإثبات صدقهم

والجواب: ان هذا الخطاب كان دعوة على نحو المباهلة بين النبي (ﷺ)

واليهود لأنهم كانوا يدعون أنهم على الحق وان دعوة النبي (ﷺ) لا تشملهم

وانها موجهة إلى الأميين - أو الأميين - بحسب تقسيمهم (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا

لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ) (آل عمران: ٧٥) فدعوا إلى المباهلة ولازمها نزول

العذاب على الكاذب منهما وهم يعلمون أنهم كاذبون فخافوا من نزول العذاب

ورفضوا التحدي والمباهلة، وروي عن رسول الله (ﷺ) قوله (لو أن اليهود

تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول

الله (ﷺ) لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالا)^(٢) .

ولابد أن نلتفت إلى معنى مناسب لتمني الموت تدعو إليه الآية الكريمة

لأن تمني الموت أمر غير مرغوب في الشريعة المقدسة كما اشارت إليه

الأحاديث الشريفة كالحديث النبوي الشريف (لا يتمنى أحدكم الموت)^(٣)

وعنه (ﷺ) قال (لا تمنوا الموت فإنه يقطع العمل ولا يُردُّ الرجل فيستعذب)

وعنه (ﷺ) قال (لا يتمنين أحدكم الموت فإنه لا يدري ما قدم لنفسه)^(٤)

(١) غرر الحكم: ٦٢٥٣

(٢) رواه البخاري والترمذي والنسائي

(٣) كنز العمال: ٤٢١٥٢.

(٤) كنز العمال ٤٢١٥٥، ٤٢١٤٧.

الاستعداد للموت: علامة صدق الايمان..... (١٩٩)

وعن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال لرجل يتمنى الموت (تمنّ الحياة لتطيع لا لتعصي، فلأن تعيش فتطيع خير لك من أن تموت فلا تعصي ولا تطيع) (٢).

فحينئذٍ نفهم لتمني الموت في الآية معنى آخر وهو عدم كراهيته وعدم المفاجأة به والرضا بقضاء الله وقدره اذا اختاره الله تعالى أو يراد به لازمه وهو الاستعداد للموت، روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله (إن النور إذا دخل الصدر انفسح، قيل: هل لذلك من علم يعرف به؟ قال: نعم، التّجافي عن دار الغرور، والإجابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله) (٣).

ان اغلب الناس يخافون من الموت ويكرهونه ويحبّون الدنيا ولعل ذلك يرجع إلى أكثر من سبب:

١- إنكار وجود حياة ما بعد الموت ويعتبرونه فناءً وعدمًا فلا يريدون الانتقال من الوجود إلى العدم وهذه قضية غريزية كخوف الانسان من الظلمة التي هي عدم النور وهؤلاء يجب اعادتهم إلى العقيدة الحقّة بالبعث والنشور يوم القيامة واقناعهم بالحجة والبرهان وإزالة شكوكهم بذكر امثلة واقعية على طريقة القرآن الكريم.

٢- عدم الاستعداد للموت وعدم اعداد الزاد للرحلة الأبدية كالتألم الذي يكره حلول وقت الامتحان اذا لم يكن مستعداً له بينما يستعجله ويحب تحقق وقته اذا كان مستعداً له، فهؤلاء الذين يكرهون الموت لم يلتزموا بما

(١) كنز العمال ٤٢١٤٩، ٤٢١٥٣، ٤٢١٥٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦ / ١٢٨، ميزان الحكمة: ٢٢٨/٨

(٣) ميزان الحكمة: ج ٨ / ٢٢٣ ح ١٩٢٥٣

نَبِّهَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (البقرة: ١٩٧) وانما شغلتهم الدنيا وافنوا أعمالهم في اللعب واللهو وتضيع الأوقات فيما لا ينفعهم، روي ان رجلاً سأل الامام الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (ما بالنا نكره الموت ولا نحبه، فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لأنكم آخرتكم وعمرتم دنياكم وانتم تكرهون الثقله من العمران إلى الخراب) (١) .

روي ان رجلاً سأل رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال (يا رسول الله مالي لا احبُّ الموت؟ قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): هل لك مال؟ فقدّم مالك بين يدك، فان المرء مع ماله، إن قدمه أحبّ أن يلحقه، وإن خلفه أحبّ أن يتخلف معه) (٢) .

لذا وردت الاحاديث الكثيرة في الحث على الاستعداد للموت، روي عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قوله (من ارتقب الموت سارع في الخيرات) (٣) . وروي عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله (استعدّوا للموت فقد أظلمكم، وكونوا قوماً صحيح بهم فانتبهوا، وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا... وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به... نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبْطِره نعمة، ولا تقصّر به عن طاعة ربّه غايةً، ولا تحلُّ به بعد الموت ندامةً ولا كآبة) (٤) .

٣- عدم معرفة حقيقة الموت وتفسيره وانه انتقاله من عالم ضيق منغص

(١) معاني الاخبار: ٣٩٠ ح ٢٩

(٢) كنز العمال: ح ٤٢١٣٩

(٣) بحار الأنوار: ١٧١/٧٧ ح ٧

(٤) ميزان الحكمة: ج ٨ / ٢٢٣ ح ١٩٢٥٥، عن نهج البلاغة: الخطبة ٦٤

الاستعداد للموت: علامة صدق الايمان..... (٢٠١)

إلى عالم فسيح أنيق كانتقال الجنين من رحم أمه الضيق إلى الدنيا الفسيحة بالولادة واحتضان والديه له وحنوهما عليه واغداق أنواع النعم التي لم يكن يتصورها في بطن أمه وهو كان خائفاً متوجساً قبل الخروج إلى الدنيا لأنه لم يكن يعرف عنها شيئاً، فالموت كذلك نقلة إلى حالة أفضل وأكثر سعادة وانطلاقاً نحو النعيم وفيها خلاص من الظلم والشر ولثام الناس، فلو عرف الانسان ذلك لما كره الموت بل فرح به من دعاء الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يوم الثلاثاء (وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي فَإِنَّهَا دَارُ مَقَرِّي، وَإِلَيْهَا مِنْ مُجَاوِرَةِ اللَّثَامِ مَقَرِّي) ^(١) . وفي الحديث الشريف (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) ^(٢) روي عن الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (كان الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وبعض من معه من خصائصه تشرق الوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت: فقال لهم الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): صبراً بني الكرام: فما الموت الا قنطرة تعبرُ بكم من البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر) ^(٣) .

وروي عن الامام الهادي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله (قيل لمحمد بن علي ابن موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟ قال: لأنهم جهلوه فكرهوه، ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عز وجل لأحبّوه، ولعلموا أن الآخرة خيرٌ لهم من الدنيا، ثم قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): يا أبا عبدالله، ما بال الصبي والمجنون يمتنع من الدواء

(١) الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) / ص ٥٤٨ / ٢٤١

(٢) البحار: ٦٠٣ / ١

(٣) معاني الاخبار: ٢٨٨ ح ٣

المُنْقِي لبدنه والنَّافِي للألم عنه؟ قال: لجهلهم بنفع الدواء. قال: والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن من استعد للموت حق الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما إنهم لو عرفوا ما يؤدي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبَّوه أشدَّ ما يستدعي العاقل الحازم الدَّواء لدفع الآفات واجتلاب (السلامات) (١).

وروي عن الامام العسكري (عليه السلام) قوله (دخل علي ابن محمد (عليه السلام) علي مريضٍ من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت، فقال له: يا عبد الله، تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، رأيتك إذا اتَّسخت وتقدَّرت وتأذَّيت من كثرة القدر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أن الغسل في حمام يُزيل ذلك كله أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك؟ أو ما تكره أن لا تدخله فيبقى ذلك عليك؟ قال: بلى يا بن رسول الله. قال: فذاك الموت هو ذلك الحمام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك، فإذا انت وردت عليه وجاوزته فقد نجوت من كُـلِّ غَمٍّ وهَمٍّ وأذى، ووصلت إلى كُـلِّ سرور وفرح، فسكن الرجل واستسلم ونشط وغمَّض عين نفسه ومضى لسبيله) (٢).

وفي عيون أخبار الرضا: سئل الامام الصادق (عليه السلام) عن الموت فقال (للمؤمن كأطيب ريح يشمُّه فينعسُ لطيبه وينقطع التعبُ والألمُ كُلُّه عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب وأشدُّ! قيل: فإن قوماً يقولون: إنه أشدُّ من نشرٍ بالمناشير، وقرضٍ بالمقاريض، ورضخٍ بالأحجار، وتدوير قُـطب الأرحية

(١) معاني الاخبار: ٢٩٠ ح ٨

(٢) معاني الاخبار: ٢٩٠ ح ٩

الاستعداد للموت: علامة صدق الايمان (٢٠٣)

على الأحداق! قال: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين...^(١).

وخير نموذج لمن فهم حقيقة الموت وسعادة من لاقاه في سبيل الله تعالى أصحاب الامام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته حيث كانوا يتسابقون إلى ساحة المعركة لنيل الشهادة بين يدي الامام الحسين (عليه السلام).

قومٌ إذا نُودُوا لِلدَّفْعِ مُلَمَّةً والخيلُ بين مُدَعَّسٍ ومُكْرَدَسٍ
لَبَسُوا القُلُوبَ على الدروع وأقبلوا يَتَهَافَتُونَ على ذَهَابِ الأنفُسِ

ومن كلام علي الأكبر مع أبيه الحسين (عليه السلام) لما نعى نفسه واسترجع في طريقه إلى كربلاء (يا أبت لا اراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟ قال: بلى والذي إليه مرجع العباد، قال: يا أبت إذن لا نبالي نموت محقين. فقال (عليه السلام) له: جزاك الله من ولدٍ خير ما جزى ولداً عن والده)^(٢).

وكان أصحاب الامام (عليه السلام) فرحين مستبشرين تعلقو وجوههم الابتسامة ويتمازحون بينهم قبل نزولهم إلى الميدان فقال أحدهم لبرير (دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل! فقال له برير: والله، لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً، ولكن والله إنني لمستبشر بما نحن لاقون، والله أن بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم، ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم)^(٣).

(١) عيون أخبار الرضا: ٩/٢٧٤/١

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٠٧ / ٥، الكامل: ٥٥٥/٢، مقاتل الطالبين: ١١٢، الارشاد: ٨٢/٢، سير اعلام النبلاء: ٢٩٨/٣ وغيرها.

(٣) مقتل الحسين لأبي مخنف: ١١٥.

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا

مَحْمُودًا) (الإسراء: ٧٩)

صلاة الليل وسيلة الإعداد لتحمل المسؤوليات الكبيرة ونيل المقامات الرفيعة^(١)

(وَمِنَ اللَّيْلِ) يمكن أن تكون (من) بيانية باعتبار أن النهار من شأنه النشاط والحركة فلا يحتاج العمل فيه إلى بيان، أما الليل فهو للنوم والسكون فالعمل فيه يحتاج إلى توجيه، ويمكن أن تكون تبعية أي بعض الليل، والتبعض يمكن أن يستفاد من الباء، وقد حددت آيات المزمّل هذا البعض، قال تعالى (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) (المزمّل: ٢-٤).

(فَتَهَجَّدْ) الهجود هو النوم ومعنى تهجد أي قاوم النوم وتكلف اليقظة كالتمريض الذي يعني معالجة المرض.

(نَافِلَةً لَكَ) تكليفاً زائداً خاصاً بك يا رسول الله (ﷺ) حيث ان قيام الليل واجب عليه خاصة (عَسَى) ترجى وأمل بأن يبلغ به المقام المحمود مقام الرسالة العظمى والولاية الكبرى وإظهار دينه على الدين كله والشفاعة الواسعة المقبولة وتفضيله على الخلق أجمعين، ولا داعي للاقتصار على أحدها في

(١) كلمة القيت يوم الثلاثاء ٢٧ / جمادى الآخرة / ١٤٤٠ الموافق ٢٠١٩/٣/٥ على طلبة مدرستي

تفسير المقام المحمود.

واستعمال صيغة الترجي وليس صيغة الجزم والقطع مع ان إرادة الله تعالى اذا تعلقت بأمر فإنما (أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس:٨٢) لعل ذلك لإحداث المزيد من الرغبة والعزم، كالذي ورد في تفسير قوله تعالى (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه:٤٤) لحن النبي موسى وأخيه هارون (عليهما السلام) على بذل الوسع في دعوة فرعون إلى الايمان والتوحيد، والله تعالى يعلم أن فرعون لا يتذكر ولا يخشى.

وقد بينت آيات سورة المزمل المتقدمة ان قيام الليل يهيئ لإداء الأدوار الكبيرة وتحمل المسؤوليات العظيمة، و تتمتها (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) (المزمل:٥-٦) سنوحى اليك قولاً يحمل مسؤولية عظيمة وفيه معاني عميقة وثقيل في آثاره ونتائجه وثقيل في ما يسببه لمن يصدع به من مصاعب ومشاق (فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (الأعراف:٢) فلكي تتحمل هذه الاثقال استعن بناشئة الليل أي العبادة التي تنشئها في الليل لأنها أصعب مراساً وأشد على النفس وأثبت لها وأصدق في الأداء وادعى لحضور القلب لانقطاع الشواغل، في الرواية عن الامام الصادق (عليه السلام) (يعني بقوله: وَأَقْوَمُ قِيلاً: قيام الرجل عن فراشه يريد به الله عزوجل ولا يريد به غيره)^(١) لذا فإنها تكون أحسن انتاجاً وتحقيقاً للغرض وهذه حقيقة ثابتة فان العظماء الذين بلغوا ما بلغوا من مقامات كانت علامتهم

(١) وسائل الشيعة: ٢٦٩/٥ أبواب بقية الصلوات المندوبة، باب ٣٩ ح ٥.

المميزة مواظبتهم على قيام الليل، فاذا كنتم من الساعين لليل تلك المقامات – وحرىُّ بكل عاقل أن يكون كذلك – فأعدوا أنفسكم بهذه الرياضة المعنوية لتساعدكم على نيل الخصال الكريمة.

لذا تضمنت الوصايا التي قدمها رسول الله (ﷺ) لأمر المؤمنين (ﷺ) وهو يُعده لخلافته العظمى تركيزاً على صلاة الليل، عن الامام الصادق (ﷺ) (كان في وصية النبي (ﷺ) لعلي (ﷺ) أن قال: يا علي أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها ثم قال: اللهم أعنه.... – إلى ان قال – وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الليل)^(١).

ومن سننه (ﷺ) أنه كان يفرِّق صلاة الليل على اجزائه ليكون في جميع وقته مستأنساً بلقاء ربه ففي التهذيب بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال (سمعت أبا عبد الله (ﷺ) يقول: وذكر صلاة النبي (ﷺ) قال: كان يؤتى بطهور فيخمر عند رأسه ويوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله، فإذا استيقظ جلس، ثم قلب بصره في السماء ثم تلا الآيات من آل عمران " إن في خلق السماوات والأرض"^(٢) الآيات، ثم يستن ويتطهر، ثم يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات على قدر قراءة ركوعه وسجوده على قدر ركوعه، يركع حتى يقال: متى يرفع رأسه ويسجد حتى يقال: متى يرفع رأسه، ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله، ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران، ويقلب

(١) رواها في وسائل الشيعة عن المشايخ الثقات في اصولهم في عدة مواضع منها في كتاب الصلاة، أبواب بقية الصلوات المندوبة، باب ٣٩ ح ١.

(٢) الآية ١٩٠ من السورة وما بعدها.

صلاة الليل وسيلة الإعداد لتحمل المسؤوليات الكبيرة.....(٢٠٧)

بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم إلى المسجد ويصلي الأربع ركعات كما ركع قبل ذلك، ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ ويجلس ويتلو الآيات من آل عمران ويقلب بصره في السماء، ثم يستن ويتطهر ويقوم إلى المسجد فيوتر ويصلي الركعتين، ثم يخرج إلى الصلاة^(١) ورواه الكليني في الكافي بسند صحيح عن الحلبي عن ابي عبدالله (عَلَيْهِ السَّلَام) وفيه (ثم قال: لقد كان لكم في رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أسوة حسنة، قلت: متى كان يقوم؟ قال: بعد ثلث الليل)^(٢) وفيه قال: في حديث آخر: (بعد نصف الليل)^(٣).

وقد اختصر الحديث المروي عن الامام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَام) هذه الأهمية بقوله (الوصول إلى الله تعالى سفر لا يدرك الا بامتطاء الليل)^(٤) أي ان الاعمال الصالحة الموصلة إلى الله تعالى لا بد ان تُتَوَجَّح بصلاة الليل لتوصل إلى الهدف.

وهذا الحديث له دلالات عديدة منها أن الوصول إلى الله تعالى ممكن ولكنه يحتاج إلى حركة وسلوك وقطع مسافة بما يتطلب ذلك من جهد وجهاد، وأنه يحتاج إلى مركب ليقطع به الطريق وهي صلاة الليل، وأن يترك كل شيء

(١) وسائل الشيعة: ٣/١٩٥ ح ١، التهذيب: ٢/٣٣٤ ح ١٣٧٧

(٢) وهذا مما يُستدل به على أن وقت صلاة الليل يبدأ قبل منتصف الليل بعد مضي ثلثه، ومما يدل على ذلك آيات سورة المزمل الماضية فان فيها (نصفه، أو زد عليه) والزيادة على النصف تعني القيام قبل منتصف الليل.

(٣) وسائل الشيعة: ٣/١٩٦ ح ٢، الكافي: ٣/٤٤٥ ح ١٣

(٤) بحار الأنوار: ٣٧٩/٧٨، مسند الامام العسكري: ٣٧٩، الأنوار البهية للمحدث القمي: ١٦١.

مما يتعلق به قلبه ورائه كالمسافر الذي يهجر وطنه وداره وأهله وولده وماله ومنصبه وجاهه وعلاقاته وسائر تعلقاته.

ويفيد الحديث أيضاً أن الصلوات المفروضة قد لا يكفي اتخاذها وسيلة لقطع هذا السفر ولا بد من امتطاء صلاة الليل معها ليتحقق الوصول إلى الهدف بإذن الله تعالى وإن الصلاة بشكل عام هي أداة هذا العروج إلى الله تعالى ولعل هذه المعاني منشأ الكلمة المشهورة على ألسنة العلماء (الصلاة معراج المؤمن)^(١) فهذه كلها معانٍ يمكن استفادتها بوضوح من الحديث الشريف.

ومن تشبيه صلاة الليل وعموم الطاعات بالسفر إلى الله تعالى نعرف أنها تتعرض لنفس ما يتعرض له المسافر من مخاطر: كالتيه والمزالق والوحوش المفترسة وقطاع الطرق وفقدان الزاد، وهذه المخاطر بوجودها المناسب موجودة لمن يريد السفر إلى الله تبارك وتعالى، فقطاع الطرق هم المتلبسون بالدين الذين يضللون الناس بشبهاتهم، وفقدان الزاد بضياح العمر من دون تقديم عمل صالح (آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر)^(٢) والوحوش

(١) قال الشيخ محمد الريشهري في كتاب: الصلاة في الكتاب والسنة - الصفحة ١٥: لا يخفى أن عبارة " الصلاة معراج المؤمن " مع كثرة تداولها على الألسن بحيث صارت من أشهر الكلمات في وصف الصلاة، لم نجد لها مصدراً مسنداً إلى صلى الله عليه وآله أو الأئمة (عليهم السلام)، وهذا بعد أن استقصينا كلمات أصحاب الكتب في شتى العلوم ووجدناها في أكثر من ثلاثين موضعاً من عباراتهم، علماً أن كتب السنة كلها وكتب الشيعة جلها إلا ما دون في القرون الأخيرة - كروضة المتقين وبحار الأنوار للمجلسين أعلى الله مقامهما والرواشح السماوية للمحقق الداماد قدس سره - خالية منها، فالظاهر أنها ليست برواية بل من عبارات علمائنا المتأخرين رضوان الله تعالى عليهم.

(٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي (عليه السلام) ج ٤ - الصفحة ١٧

صلاة الليل وسيلة الإعداد لتحمل المسؤوليات الكبيرة.....(٢٠٩)

المفترسة هم الذين يزينون الدنيا والشهوات ويوقعون الانسان في المعاصي ليطفئوا في قلبه نور الايمان، ويتحقق التيه بعدم أخذ العلم والمعروفة من أصله ومعدنه، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (فان العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق الا بعداً من حاجته)^(١).

هذا كله من ناحية الارتقاء في سلم الكمال، اما من ناحية الثواب فقد ورد في صلاة الليل فضل عظيم ففي الرواية عن الامام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة:١٧) قال (عليه السلام) (ما من عمل حسن يعمله العبد وله ثواب في القرآن الا صلاة الليل، فان الله تعالى لم يبين ثوابها لعظيم خطرها عنده، فقال: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة:١٦-١٧)^(٢).

وفي حديث قدسي (ان العبد ليقوم في الليل فيميل به النعاس يميناً وشمالاً وقد وقع ذقنه على صدره فيأمر الله تعالى أبواب السماء فتفتح ثم يقول للملائكة: انظروا إلى عبيدي ما يصيبه في التقرب إليّ بما لم افترض عليه راجياً مني لثلاث خصال: ذنباً أغفره له، أو توبة أجدها له، أو رزقاً أزيده فيه، اشهدوا ملائكتي أنني قد جمعتهن له)^(٣).

(١) بحار الأنوار: ٢٠٩/١ ح ١١ عن نهج البلاغة.

(٢) بحار الأنوار: ١٤٠/٨٧

(٣) وسائل الشيعة: ٢٧٢/٥

وروى الامام الصادق (عليه السلام) قال (قال النبي ﷺ) لجبرئيل (عليه السلام):
عظني: فقال: يا محمد عش ما شئت فانك ميت، وأحب ما شئت فانك مفارقه،
واعمل ما شئت فانك ملاقيه، واعلم أن شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزه كفه
عن اعراض الناس^(١).

وتوجد روايات كثيرة في الآثار الدينية والدينية المباركة التي تترتب
على أداء صلاة الليل بفضل الله تعالى وكرمه.

ولأن صلاة الليل بهذه المنزلة العظيمة فانها لا تنال الا بتوفيق خاص
ويحرم منها من ليس أهلاً لها، في الرواية (جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن
ابي طالب (عليه السلام): إني قد حرمت الصلاة بالليل فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) أنت
رجل قيدتك ذنوبك^(٢). وفي الحديث عن الامام الصادق (عليه السلام) (إني لأمقتُ
الرجل قد قرأ القرآن ثم يستيقظ من الليل فلا يقوم، حتى اذا كان الصبح قام
يبادر بالصلاة)^(٣).

هذا الحب لله تعالى وامتطاء الليل للوصول إليه سبحانه هو الذي أراده
الامام الحسين (عليه السلام) حينما طلب من ابن اسعد تأجيل المعركة من عصر يوم
التاسع إلى صبيحة يوم عاشوراء، فقد روي ان عمر بن سعد زحف بجيشه نحو
معسكر الامام الحسين (عليه السلام) عصر يوم التاسع فأرسل أخاه العباس (عليه السلام)
ليستعلم خبرهم فقصدهم في عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحيب بن

(١) وسائل الشيعة: ٢٦٩/٥

(٢) وسائل الشيعة: ٢٧٩/٥

(٣) بحار الأنوار: ١٢٧/٨٣ ح ٧٩

صلاة الليل وسيلة الإعداد لتحمل المسؤوليات الكبيرة..... (٢١١)

مظاهر فقال لهم العباس (عليه السلام) (ما بدا لكم، وما تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم! قال: فلا تعجلوا حتى أراجع إلى أبي عبدالله فاعرض عليهم ما ذكرتم) ثم أتى إلى الامام الحسين (عليه السلام) بما عرض عليه عمر بن سعد قال (ارجع اليهم: فان استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عند العشية، لعلنا نصلي لربنا الليلة، وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار) فبات الحسين (عليه السلام) تلك الليلة راکعاً ساجداً باكياً مستغفراً متضرعاً، وبات أصحابه ولهم دوي كدوي النحل^(١). جزاهم الله تعالى عن الإسلام وأهله خير جزاء المحسنين.

(١) تاريخ الطبري: ٤١٦/٥، الكامل في التاريخ: ٥٥٨/٢، البداية والنهاية: ١٧٦/٨ الارشاد: ٨٩/٢

مناقب ابن شهر آشوب: ٩٨/٤ مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ٢٥١/١ وغيرها.

الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم

(آل عمران: ١٩١)

ذكر الله تعالى عند الطاعة والمعصية^(١)

في ذكرى البعثة النبوية الشريفة نقف عند محطة من حياة رسول الله (ﷺ) وبالخصوص من قيامه في الليل، فقد كانت صلاة الليل واجبة على رسول الله (ﷺ) دون الأمة جميعاً وهذه واحدة من خصوصياته وقد ورد في رواية صحيحة^(٢) عن الامام الصادق (عليه السلام) في كيفية صلاته (ﷺ) في الليل بأنه كان يفرقها على أجزاء الليل ليديم حالة الأنس بربه فيقوم في بعض الليل من نومه ثم يصلي اربع ركعات ثم ينام ويستيقظ من جديد ويصلي اربعاً أخرى ثم ينام ويستيقظ ليصلي الشفع والوتر ونافلة الصبح ثم يخرج لصلاة الفريضة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في تفسير قوله تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ) (الإسراء: ٧٩).

ومحل الشاهد انه (ﷺ) كان كلما يستيقظ من نومه كان يقبّل بصره في السماء ويتلو الآيات المباركات في آخر سورة آل عمران من الآية ١٩٠ (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) إلى

(١) كلمة القيت يوم الأحد ٢٤ رجب ١٤٤٠ المصادف ٣١ / ٣ / ٢٠١٩

(٢) وسائل الشيعة: ٣/ ١٩٥ ح ١، التهذيب: ٢ / ٣٣٤ ح ١٣٧٧

ذكر الله تعالى عند الطاعة والمعصية (٢١٣)

آخر الآيات، وفي الآية التالية (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) (آل عمران ١٩١) فأول صفة من صفات اولي الألباب لمن أراد أن يكون منهم هو ذكر الله تعالى على كل حال لأن الانسان لا يخلو حاله من كونه قائماً أو قاعداً أو على جنبه.

إن ذكر الله تعالى على كل حال واستحضار الرقابة الإلهية والشعور بالمسؤولية امامه سبحانه حالة مطلوبة سواء كان الانسان في ظرف معصية أو طاعة.

اما في ظرف المعصية فالأمر واضح لكي يخشى الله تعالى ويستحي من نظره إليه فيجتنبها، فإن الغفلة عن الله تعالى سبب للوقوع في المعاصي والتذكر صمام الأمان منها، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (الأعراف: ٢٠١) مثلاً يكون في مجلس فيتورط الحاضرون بغيبة مؤمن فيتذكر نهي الله تعالى عن الغيبة فيمتنع عن المشاركة معهم وينهاهم عن ذلك وقد يكون العلاج بمغادرة المجلس، أو شاب يتعرض لإغواء من الجنس الآخر فيتذكر ان الله تعالى مطلع عليه وإن الشاهد هو الحكم فيكف عن الانسياق وراء شهوته وهكذا، وكان المعصومون (عليه السلام) دقيقين في مراقبتهم لأنفسهم وإستحضار الرقابة الإلهية، روي ان الامام السجاد (عليه السلام) الثالث عليه ناقتة - أي تباطأت - فرفع القضيب وأشار إليها وقال (لو لا خوف القصاص لفعلت) وفي رواية (آه من القصاص وردَّ يده عنها)^(١).

وعند عروض فرصة الطاعة فان الانسان التواق إلى الكمال يذكر الله تعالى وحثه على المسارعة إلى الخير فيلبي دعوة الله تعالى ويبادر إليها، قال تعالى (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) (البقرة: ١٤٨) وقال تعالى (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: ١٣٣) وفي الرواية عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَام) (من همَّ بشيء من الخير فليعجله فان كل شيء فيه تأخير فان للشيطان فيه نظرة)^(١) وعن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) قال (كان أبي يقول: اذا هممت بخير فبادر فانك لا تدري ما يحدث)^(٢).

والتجربة شاهدة على ذلك فقد يتعرض الانسان لموقف إنساني كمساعدة محتاج أو معالجة مريض ويعزم على المساهمة بمبلغ معين يفي بالحاجة فاذا تأخر في إخراجه فان الشيطان يوسوس له بان هذا المبلغ كبير وعليه ان يوفره لعياله وانه ليدع غيره يساهم في المساعدة ونحو ذلك حتى يثنيه عن عزمه او يقلل مما قرّر سابقاً دفعه.

والأمر الآخر الذي عليه ان يتذكره عند الاقدام على الطاعة هو اخلاص النية في العمل فلا يقدم عليه الا بعد أن ينقي نيته من الرياء وحب السمعة ويختبر نفسه بانه لو لم يعلم احد بما فعل فهل سيتوقف عن العمل أم يتساوى عنده علم الناس وعدم علمهم لأن الله تعالى مُطَّلِعٌ عَلَى الْحَقَائِقِ وَهَذَا كَافٍ. وعليه أن يطهر نفسه من العجب بنفسه والتباهي بما فعل لأنه يفسد العمل، وكذا عليه أن لا يحبط عمله بالَمَن على من اسدى إليه المعروف وقال تعالى

(١) و(٢) الكافي: ١٤٢/٢ ح ٣، ٩.

(لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) (البقرة: ٢٦٤).

وعليه أن يتثبت من فعله بأنه برٌّ في موقعه لكيلا يضيع معروفة أو يؤدي إلى عكس النتيجة، روي عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله (مع التثبت تكون السلامة)^(١) وتجد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فرح كثيراً بدعاء سفانة بنت حاتم الطائي له (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عندما عفى عنها ثم أطلق جميع اسرى قبيلتها طيئ حين قالت (أصاب الله ببرك موقعه).

(ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً) (التوبة: ٩٨)
العطاء في سبيل الله تعالى غنيمة وليس خسارة^(١)

تبيّن الآية الكريمة صفة من صفات المنافقين من أعراب وغيرهم وهي أنهم يعدّون ما ينفقون من أموال ليحافظوا على وجودهم في المجتمع الإسلامي مغرماً أي تلفاً وخسارةً وتضييعاً للأموال لأنهم لم يعطوها عن إيمان وعقيدة ونية مخلصه لله تعالى حتى يتبعوا بها الأجر والعوض، وإنما انفقوها رياءً أو سمعةً أو ليتظاهروا بأنهم ملتزمون بالدين وهم يستبطنون التمرد على الله تعالى وعدم الاعتراف بشريعته فلا يستفيدون مما انفقوا شيئاً فينتابهم الأسى لما فقدوا من أموال بلا فائدة من وجهة نظرهم.

ولو كانوا صادقين في إيمانهم لاعتبروا ما ينفقون في سبيل الله تعالى ونصرة نبيه (ﷺ) ونشر دينه والمساهمة في المشاريع الخيرية ومساعدة المحتاجين (مغماً) لأنه سيعود عليهم بالخير الكثير في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فلأنه سينمي المال ويزيده وإنما سميت الزكاة بهذا لأنها سبب لنمو المال وزيادته وكذا الصدقة فإنها تستنزل الرزق وتدفع البلاء.

وأما في الآخرة فإن الله تعالى يضاعف الأجر لمن أنفق في سبيله أضعافاً مضاعفة حتى قال تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ

(١) كلمة ألقيت يوم ١٥/ذوالحجة/١٤٤٠ الموافق ٢٠١٩/٨/١٧.

العطاء في سبيل الله تعالى غنيمة وليس خسارة (٢١٧)

أُنْبِتْ سَبْعَ سَبَائِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِثْلُ حَبَّةِ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ (البقرة: ٢٦١)
فالإنسان الواعي ذو البصيرة يجد ما ينفق في سبيل الله غنيمة ورزقاً لا يمكن
تفويته فيسعى اليه ويحرص عليه، سواء تعلق الانفاق بالمال أو الجهد أو الوقت
أو التفكير والاهتمام أو الكلمة الطيبة وغيرها ويرتقي ليكون الانفاق بالنفس
والولد.

فيرى المنافقون - وربما بعض ضعاف الايمان - ان من يصرف المال
لبناء مسجد أو تزويج شاب مؤمن أو إقامة مشروع خيري، قد أضاع ماله الذي
جمعه بجهود مضيئة، ويرى ان من يقتل في سبيل الله وحماية المقدسات مغرراً
به قد خسر دنياه وهكذا.

ولأن المنافقين يعتبرون كل هذا الانفاق مغماً وخسارة وعملاً عبثياً لا
فائدة منه فهم يثبطون العاملين ويشنونهم عن عزمهم على فعل الخير والمعروف
ويطلبون منهم ان يوفروا مالهم ووقتهم وجهدهم لشؤونهم الشخصية وعدم
تضييعها في المشاريع العامة المثمرة، فعلى المؤمنين الواعين الذين يعرفون جيداً
ان هذا العمل والانفاق مغنم وخير وبركة ان لا يتأثروا بأراجيف المنافقين.

واذا استوعب الانسان هذه الحقيقة فانه سيتجاوز الكثير من المصائب
والمصاعب وسيندفع نحو عمل الخير، خذ مثلاً ما جاء فيمن فقد جنيماً سقط من
بطن أمه قبل اكتمال نموه عن الامام الصادق (عليه السلام) حيث نقل قول جده رسول

الله (ﷺ) (إن السقط يجيء محبباً على باب الجنة فيقال له: أدخل الجنة، فيقول: لا، حتى يدخل أبوي الجنة قبلي)^(١).

لاحظوا كيف تحول المغرم إلى مغنم والألم إلى أمل بفضل الله تعالى وان من مرّت به مثل هذه المصيبة قد انفتحت امامه فرصة عظيمة لطاعة الله تعالى والفوز برضوانه ذلك بأن هذا الجنين الذي مات سيكون شفيعه يوم القيامة ولا يدخل الجنة الا ويدخل أبويه معه، فأى غنيمة أعظم من هذه؟ فتهون عليه المصيبة ويرضى بقضاء الله تعالى.

وهكذا من يجمع الأموال بعرق جبينه ثم يضعها في مشروع خيري فإنه لا يرى نفسه قد خسر شيئاً وانه أضاع ماله بل قدمه ثمناً لغنيمة عظيمة.

أقول هذا لاطمأن أحبّتي من المواكب والجمعيات الخيرية وسائر المؤسسات الدينية والإنسانية والاجتماعية المباركة الذين يواصلون الليل والنهار في خدمة الناس وعمل المعروف وإقامة شعائر الدين ان لا يشبّطهم كلام الكسالى والمرائين وفاقدى البصيرة ومسلوبي التوفيق.

وقد حكى لنا التاريخ مواقف لعظماء عرفوا قيمة هذه الغنيمة مثل عبد الله بن عمرو الأنصاري والد جابر بن عبد الله الأنصاري فإنه بعد ان فاضت روحه الطاهرة شهيداً في معركة أحد مع رسول الله (ﷺ) تلقتة الملائكة وسأله الله

(١) وسائل الشيعة: ٢٠ / ١٤ أبواب مقدمات النكاح، باب ١ ح ٢.

العطاء في سبيل الله تعالى غنيمة وليس خسارة (٢١٩)

تبارك وتعالى عن ماذا يريد وماذا يطلب؟ فقال: أريد ان ارجع الى الدنيا لأقاتل وأقتل شهيداً مرة أخرى لما رأى من الكرامة التي تمنح للشهيد^(١).

وهكذا كان أصحاب الامام الحسين (عليه السلام) يقفون بين يديه ويسلمون عليه ويتمنى أحدهم أن يقتل ثم يحيى ثم يقتل سبعين مرة دفاعاً عن الامام الحسين (عليه السلام) ولا يرى في ذلك مغرباً وتلفاً بل مغنماً وربحاً كقول زهير بن القين ((والله لو ددت لو أني قُلت ثم نشرت ثم قتلت حتى اقتل كذا الف قتلة، وان الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك)) ومثله قال سعيد بن عبدالله الحنفي.

(١) روى طَلْحَةَ بن خَرَّاش الأنصاري قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: نظر إلي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم فقال: "ما لي أراك منكسراً مُهْتَمّاً؟" قلت: يا رسول الله، قتل أبي وترك ديناً وعيالاً. فقال: "ألا أخبرك؟ ما كلم الله أحداً قَطُّ إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كِفَاحًا، فقال: يا عبدي، سلني أعطك. قال: أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية! قال: إنه قد سبق مني أنهم لا يردون إليها ولا يرجعون. قال: يا رب، أبلغ من ورائي"، فأُنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ...﴾ [آل عمران / ١٦٩]

أخرجه الترمذي في التفسير تفسير سورة آل عمران: ٣٦٠ - ٣٦١ وصححه الحاكم في المستدرک: ٣ / ٢٠٣ وزاد السيوطي نسبته للطبراني وابن خزيمة وابن مردويه والبيهقي في الدلائل " الدر المنثور: ٢ / ٣٧١" وأخرجه الواحدي بسنده في أسباب النزول ص (١٦٢). وقال الألباني في تخريج السنة: إسناده حسن رجاله صدوقون على ضعف في موسى بن إبراهيم بن كثير.

١ - تاريخ الطبري: ٤١٨/٥ ، الكامل في التاريخ ٥٥٩/٢ ، الارشاد: ٩١/٢ وغيرها من المصادر التي

ذكرها ريشهري في كتاب الصحيح من مقتل سيد الشهداء: ٦٢٨

٢ - تاريخ الطبري: ٤١٨/٥ ، الكامل في التاريخ ٥٥٩/٢ ، الارشاد: ٩١/٢ وغيرها من المصادر التي

ذكرها ريشهري في كتاب الصحيح من مقتل سيد الشهداء: ٦٢٨

ومثله ما ورد في خطاب العقيلة زينب (عليها السلام) للطاغية ابن زياد لما قال لها متشفيًا (كَيْفَ رَأَيْتِ صُنْعَ اللَّهِ بِأَخِيكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ؟ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلًا، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ فَبَرَزُوا إِلَيَّ مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فَتُحَاجُّ وَتُخَاصِمُ، فَانظُرْ لِمَنْ الْقَلْبُ يَوْمَئِذٍ) (١).

وهذه الحقيقة القرآنية ثابتة بالاتجاه الآخر إذ قد يعدُّ أهل الدنيا والمغتربون بها والغافلون عن الآخرة أن بعض ما يعتبرونه مغنماً هو مغرم ووبال عليهم لأنهم لم يتورعوا في تحصيله ولا وضعوه في موضعه ولا أدوا فيه حقوق الله تعالى.

وعبرت العقيلة زينب (عليها السلام) بوضوح عن هذه الحقيقة في خطابها الذي هزَّ عرش يزيد الطاغية بقولها (ولئن اتَّخَذْتَنَا مَغْنَمًا، لَتَجِدَنَّآ وَشِيكًا مَّغْرَمًا، حِينَ لَا تَجِدُنَا إِلَّا مَا قَدَّمْتِ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (٢).

(١) راجع المصادر في الصحيح من مقتل سيد الشهداء: ١٠٥٢ ح ١٥٢٣.

(٢) الاحتجاج: ١٢٣/٢، بحار الأنوار: ٤٥ / ٢١٥٧ ح ٥.

(اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخُلُواتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ)..... (٢٢١)

(١) اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخُلُواتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ

هذه الكلمة في الموعظة مروية عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يدعوا فيها الناس الى الحذر ومراقبة النفس عندما يكون الشخص في خلوة من الناس بنفس مستوى الحذر ومراقبة السلوك والتصرف وحفظ النفس من كل ما يشين ويقبح عندما يكون امام انظارهم.

والسبب في عدم الفرق واضح لأنه في جميع الأحوال بمحضر الله تبارك وتعالى وتحت نظره (وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مَّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ) (يونس: ٦١) وإذا كان القاضي في المحاكم الدنيوية يحتاج الى شهود وبيانات ليعرف صاحب الحق ويرد دعوى المبتطل، فان الحاكم يوم القيامة هو الله تعالى وهو لا يحتاج الى شهود لأنه هو الشاهد على أفعال العباد وهي حاضرة عنده، وإن نفس أعضائه شهود عليه.

يذكرنا أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بهذه الحقيقة ويطلبنا بأن نتقي الله تعالى ونحذره في خلواتنا كما لو كنا في مرأى من الناس بل أكثر، لأننا أمام الناس قد نتجنب الخطأ والذنب حياءً وخجلاً وحفاظاً على سمعتنا بين الناس وأمثال ذلك، وهذه الدواعي ترتفع في الخلوة ولا يبقى إلا رادع الورع والتقوى حيث يكون الشيطان متمكناً أكثر والنفس الأمارة بالسوء أكثر إقبالاً على المعصية

(١) كلمة أقيمت يوم عيد الغدير الأغر بتاريخ ١٨ / ذو الحجة / ١٤٤٠ الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٩.

كالشخص الذي يمتنع عن مشاهدة المناظر المحرّمة أمام الناس أو في مكان يكون عرضة لإطلاع الناس لسبب من الأسباب يكون التحدي عليه أصعب عندما يكون في خلوة ولا يحتمل وجود مطّع عليه فهنا عليه أن يتذكر هذه الكلمة المنيرة لأمير المؤمنين (عليه السلام).

**(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره
ولو كره الكافرون) (التوبة: ٣٢)**

لتكن لنا مشاركة في تحقيق الهدف الإلهي العظيم^(١)

تشير الآية إلى المحاولات اليائسة والبائسة التي يقوم بها أعداء الإسلام من داخل المجتمع المسلم ومن خارجه ((كفاراً ومنافقين ومشركين)) للقضاء على الإسلام، ويسخر القرآن الكريم من تفاهتها ويصور محاولاتهم كمن يريد أن يطفئ نور الشمس الوهاج بنفخة هواء من فمه، فهل يستطيعون ذلك؟ والمثال يضرب لتقريب الفكرة وإلا فإن نور الله تعالى الواصل إلينا من خلال القرآن والإسلام أعظم لأن (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (النور: ٣٥).

(ويأبى الله) تعالى أي يرفض ويمتنع بشكل حتمي عن قبول أي خيار آخر غير تحقيق غرضه وقد عزم على أن يتم نوره وينزل نصره النهائي على المؤمنين وتهمين شريعته على كل القوانين والأنظمة التي صنعها الناس وهو ما نطقت به الآية التالية (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة: ٣٣) وبشرت به آية أخرى أيضاً في قوله تعالى (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً) (الفتح: ٢٨).

(١) كلمة القيت يوم الاثنين ٨/صفر/١٤٤١ الموافق ٢٠١٩/١٠/٧.

ولا يخفى ما في الآية من كناية عن (ظلامية) أعداء الإسلام وجهلهم وتخلفهم وهمجيتهم حيث يسعون لإطفاء النور واغراق البشرية في الظلام، وهل يسعى عاقل لإطفاء النور الذي فيه حياة البشر وصلاحهم وسعادتهم، فمن يسعى للقضاء على الإسلام يكون هذا تقيمه.

إن الآية الكريمة لما تسخر من محاولات الأعداء وتصنفها بالعبثية وعدم الجدوى فهذا لا يعني أن جهود وامكانيات الاعداء تافهة أو ضعيفة في نفسها أي من الناحية المادية (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَتْرُوكَ مِنْهُ الْجِبَالَ) (إبراهيم:٤٦) لأنهم يجندون كل ما عندهم من عدد وعدة قاهرة سواء على صعيد المال أو السلاح أو الاعلام أو التقنيات الحديثة أو أدوات الاغراء والافساد والاضلال والترغيب والترهيب.

وإنما هي كذلك عندما تُواجه بالايمان وقوة العقيدة والقلوب الثابتة التي ربط الله تعالى عليها وبتفعيل سائر إمكانيات الأمة وطاقاتها البشرية والمادية، وحينئذ يتحقق النصر النهائي لدين الحق الذي وعدت به الآية التالية (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة:٣٣) .

وتشير آية أخرى مشابهة إلى ان الأعداء لا يكتفون بالحرب الخشنة الظاهرة وإنما يستخدمون الحرب الناعمة أيضاً من خلال تحريف تعاليم الدين وتعطيل أحكامه وتمييعه، وتحويله إلى تشكيلات طقوسية كأي تقاليد شعبية خالية من المضمون ولا تحقق الغرض الذي يريده الله تبارك وتعالى، قال

لتكن لنا مشاركة في تحقيق الهدف الإلهي العظيم.....(٢٢٥)

سبحانه (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (الصف: ٨-٩) وإنما فسرناهما بهذا المعنى بقريئة الآية التي سبقتهما (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الصف: ٧) وبدلالة كلمة (أَفْوَهِهِمْ) التي تعني ان محاولاتهم تكون بنشر الكلام الباطل مسموعاً أو مكتوباً.

وفي ذلك رواية عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من حديث طويل في الاحتجاج على أحد الزناديق في آيات متشابهة إلى أن قال عن معنى هذه الآية (انهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله الله على الخليفة فأعمى الله قلوبهم حتى تركوا فيه ما دلَّ على ما أحدثوه فيه وحرفوا منه) ^(١) وفيها أيضاً (وجعل أهل الكتاب القيمين به، والعالمين بظاهره وباطنه، من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها، أي: يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه - أي القادرين على تحمّله - في الوقت بعد الوقت، وجعل أعداءها أهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره) ^(٢).

فهذا التفسير ليس منافياً للأول بل يعبر كل منها عن شكل من اشكال إطفاء النور أي الصراع والمواجهة.

(١) الاحتجاج: ٣٧١/١ ، تفسير الصافي: ٤٠٠/٣.

(٢) الاحتجاج: ٣٧٦/١ ، تفسير الصافي: ٤٠٠/٣.

ومن اشكالها استهداف قادة الإسلام العظيم – الذين هم مظاهر النور الإلهي – بالتسقيط والحصار والتطويق وعزلهم عن الأمة في السجون وملاحقة أتباعهم وتنتهي بقتلهم ، روى الشيخ الصدوق في الاكمال عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) وقد ذكر شق فرعون بطون الحوامل في طلب موسى (عَلَيْهِ السَّلَام) كذلك بنو امية وبنو عباس لما ان وقفوا على أن زوال ملك الأمراء والجبايرة منهم على يد القائم (عَلَيْهِ السَّلَام) ناصبونا العداوة ووضعوا سيوفهم في قتل أهل بيت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم (عَلَيْهِ السَّلَام) فأبى الله أن يكشف أمره لواحد من الظلمة الا أن يتم نوره ولو كره المشركون^(١) .

وروى الحميري في قرب الاسناد بسنده عن البنظي عن الامام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَام) قال (إن الناس قد جهدوا على إطفاء نور الله، حين قبض الله تبارك وتعالى رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وأبى الله إلا أن يتم نوره. وقد جهد علي بن أبي حمزة – من زعماء الانشقاق على الامام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَام) واختلاس أمواله – على إطفاء نور الله حين مضى أبو الحسن الأول (عَلَيْهِ السَّلَام) – أي حين وفاة الامام الكاظم – فأبى الله إلا ان يتم نوره، وقد هداكم الله لأمر جهله الناس، فاحمدوا الله على ما من عليكم به)^(٢) .

وتوجد التفاته لطيفة للفرق بين التعبير (يُطْفِئُوا) في سورة التوبة و (لِيُطْفِئُوا) في سورة الصف، قال الراغب ((والفرق بين الموضعين أن في قوله

١ - إكمال الدين وإتمام النعمة: ٣٥٤ ، باب ٣٣ ما روى عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) ، ح ٥٠

(٢) نقله المجلسي في بحاره ٤٩: ٢٦٢ / ٥.

لتكن لنا مشاركة في تحقيق الهدف الإلهي العظيم..... (٢٢٧)

(يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا) يقصدون إطفاء نور الله، وفي قوله (لِيُطْفِئُوا) يقصدون أمراً يتوصلون به إلى إطفاء نور الله^(١) فالتعبير الأول يشير إلى التفسير الأول لآية التوبة وهي المواجهة المباشرة والوصول إلى ما يريدون بلا واسطة، والتعبير الثاني يشير إلى اتخاذ الوسائل والأدوات والمقدمات للوصول إلى الإطفاء وهو التفسير الثاني في آية الصف فالقرآن الكريم يؤكد حقيقة خيبتهم وفشلهم في مساعيهم سواء واجهوا مباشرة أو اتخذوا لذلك مقدمات وأسباباً.

ان الأعداء لا يكفون ولا يملّون بل يستمرون في محاولاتهم ولذا استعملت صيغة المضارع في (يريدون) فاراداتهم لهذه النتيجة مستمرة، قال تعالى (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَبَأُوا) (البقرة: ٢١٧) عملاً بأوامر شيطانهم الكبير إبليس الذي يردّد (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) (الأعراف: ١٦) (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (الأعراف: ١٧).

مما يوجب علينا لزاماً أن نستمر بالعمل لإعلاء كلمة الله تعالى ولنشر تعاليم الدين وحث الناس على العمل بالشريعة وتعريفهم بسيرة اهل البيت (عليه السلام) لنحدث التوازن مع محاولات الأعداء بل نتفوق عليهم إن شاء الله تعالى. ولنعلم ان هذا الهدف الإلهي العظيم إنما يتحقق على ايدي العاملين الرساليين المخلصين (هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) (الأنفال/ ٦٢)، فلنحرص أشد الحرص على أن تكون لنا بصمة في تحقيق الهدف الذي ذكرته الآية فان المسيرة ماضية نحو التمام ولا تتوقف على وجود أحد، ومن يتخلف فإنما

(١) المفردات للراغب: مادة (طفاً) وقال في الهامش: راجع درة التنزيل للاسكافي: ١٩٥.

يحرم نفسه من هذا الفوز العظيم، وساحة العمل واسعة تتسع للجميع، ولكل دوره المناسب له، فوظيفتكم - كفضلاء وطلبة علوم الدينية - الدعوة الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والإرشاد وتهذيب النفوس وتعليم احكام الدين ونشر سيرة اهل البيت (عليه السلام) والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن دوام القضية الحسينية واتساعها وتحولها إلى قضية إنسانية عالمية من أوضح تجليات هذه الآية المباركة حيث جهد الكثير من الطواغيت عبر التاريخ الماضي والحاضر لإطفاء هذا النور الإلهي العظيم لكنهم فشلوا وذهبوا إلى مزابل التاريخ وبقيت رسالة الامام الحسين (عليه السلام) تخاطب الأجيال جميعاً وتزداد قوة وتأثيراً بفضل الله تبارك وتعالى، وهذا أوضح مثال على ان الله يتم نوره ولو كره الكافرون والمنافقون، فلا نتعاس أولاً ولا ننبهر بقوة الباطل ثانياً.

(إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) ^(١) (آل عمران: ١٩)

الدين كاصطلاح هو منظومة العقائد والقواعد والأفكار التي يلتزم بها الانسان وما يتفرع عنها من سلوك، وكل انسان في هذه الدنيا لابد أن يكون له دين حتى أكثر الشعوب تخلفاً وهمجية، وقد يكون هذا الدين الهياً أو مادياً من صنع البشر وابتداعهم، حتى الذين يسمون باللا دينيين فان لهم ما يعتقدون به من حريات منفلتة وإباحية وزواج مثليين وقمع للقيم الدينية السامية.

والآية الكريمة تكشف عن هذه الحالة الطبيعية لدى الانسان وتأخذ هذه الحقيقة بنظر الاعتبار فلا تتحدث عن ضرورة ان يكون للإنسان دين، وانما تنتقل إلى السؤال الثاني مباشرة وهو معرفة الدين الذي يجب ان يعتقد الانسان وتوجيه بوصلته إليه وتنظيم حياته على أساسه، لان الله تعالى بفضله وإحسانه وشفقته لا يترك الانسان تائهاً أو يقضي عمره بالتجربة والخطأ ليصل إلى الصواب وإنما قرّر له الحقيقة التي تقوده إلى السعادة والفلاح (إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) ولسانها الحصر أي تنفي سلامة وصحة أي دين آخر وإن اتعب الناس أنفسهم في صياغته واحكامه.

والإسلام يعني الانقياد والتسليم لله تبارك وتعالى وهو عنوان عام الا انه اخص بالدين الإسلامي الذي جاء به النبي (ﷺ) وختم به الديانات والنبوات

(١) القيت يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول ١٤٣٩ الموافق ٢٠١٧/١٢/١.

لانه اكملها وادقها في تحقيق معنى الإسلام الذي يغطي كل شؤون الحياة الفردية والاجتماعية ولم يستوعبها دين غير دين الاسلام (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة: ٣) وهو يتضمن الايمان بصدق كل الأنبياء السابقين وصحة ما أتوا به (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة: ١٣٦) (آل عمران: ٨٤) الا أن التعبد والتدين لا بد أن يكون وفق هذه الشريعة الخاتمة.

وهذه الحقيقة يدعن بها العقل وتؤمن بها الفطرة من دون الحاجة إلى دليل ولا يشكك فيها الا مكابر (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) (النمل: ١٤) لان الله تعالى خالق هذا الانسان والعارف بخلجات نفسه ومكونات ضميره وكل ما يصلح شأنه فمن الطبيعي التوجه إليه لمعرفة ما ينظم حياته ويكفل له سعاده وصلاحه.

وتضيف آية في نفس السورة سبباً آخر يدعو الانسان إلى اعتناق الإسلام دون أي دين او نظام غيره، قال تعالى (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) (آل عمران: ٨٣) فالكون كله منقاد لمشيئة الله تعالى وارادته ويسير وفق النظام الدقيق الذي وضعه الله تعالى له، والانسان ما هو الا ذرة ضئيلة في هذا الكون وخاضع لنظامه فهو يولد بشكله وتركيبته من دون ارادته ويكبر ويهرم ويموت وتعمل أجهزة جسمه بلا إرادة منه فهذا الإسلام والانقياد التكويني لا بد ان يقترن معه انقياد تشريعي لتنسجم حركته مع الكون كله (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ)

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (٢٣١)

(النساء: ١٢٥). والا تعرض لكوارث وصعوبات.

وقد التفت العلم الحديث قريباً إلى هذه الحقيقة، فأذعن بأن الانسان اذا خرج عن السنن الكونية الطبيعية فانه يسبب لنفسه الدمار والهلاك وكذا على صعيد المجتمعات والدول.

فالسؤال هنا (أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ) فيه استنكار واستهجان وتوبيخ لخروجه من هذا النظام الكوني المتناسق ويأتي الجواب بعد آيتين ليسجل العاقبة الأليمة لهذا الخروج (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران: ٨٥) فمن طلب ديناً غير الإسلام فهو خاسر لانه أضاع هذه الثروة العظيمة التي من الله تبارك وتعالى عليه بها واستبدل بها اوهاماً وضلالات وافنى عمره الثمين في متع زائلة واتبع هواه وانانيته وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَحَقَّقْ شِقْوَتَهُ وَتَنْفَصِمِ عُرْوَتُهُ وَتَعْظُمِ كِبَوْتُهُ وَيَكُنْ مَابَهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ وَأَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغَبَتِهِ)^(١) وقوله (ايها الناس: دينكم دينكم تمسكوا به لا يزينكم ولا يردنكم احد عنه فان السيئة فيه خير من الحسنة في غيره لان السيئة فيه تغفر والحسنة في غيره لا تقبل)^(٢).

فلنلتفت إلى هذه الحقيقة مادامنا في هذه الدنيا وفرصة العمل مفتوحة امامنا

(١) نهج البلاغة: ١٦١ ومن خطبة له (عليه السلام) في صفة النبي وأهل بيته وأتباع دينه وفيها يعظ بالتقوى.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٤.

وتمسك بديننا ونجعله أهم شيء عندنا والا فان هذه الحقيقة ستكشف للغافلين يوم القيامة حيث لا ينفعهم الندم (وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران: ٨٥) وحينئذ يعلم العلمانيون والملحدون واللاذينيون من الفائز بالسعادة؟ ولا بد ان نلتفت إلى ان الإسلام ليس مجرد نطق بالشهادتين ولا يكفي فيه أداء العبادات الشخصية الواجبة فان الانقياد والطاعة لا تتحقق بذلك لوحده وإنما بالتطبيق الشامل للشريعة والالتزام بالدين في شؤون الحياة كافة، فهذا هو الإسلام وليس المظاهر والشكليات أو النسخ المحرّفة أو النماذج المنعزلة في الزوايا والكهوف، لان من اهم علامات الصديق في الدين التحرك به ونشره وادخال الناس فيه، وعن الامام الباقر (عليه السلام) قوله (لا دين لمن لا يدين الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)^(١)، ويذمّ أمير المؤمنين (عليه السلام) المتقاعسين الذين جعلوا دينهم تبعاً لديناهم قال (وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُغَةً عَلَى لِسَانِهِ صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَى سَيِّدِهِ)^(٢) أي ان قلة اهتمامكم بدينكم يوحى وكأنكم أنجزتم ما عليكم تجاه خالقكم واحرزتم رضا الله تبارك وتعالى فلم تعودوا محتاجين إلى عمل والأمر ليس كذلك أكيداً، وعنه (عليه السلام) قال (إن جعلت دينك تبعاً لديناك أهلكت دينك وديناك وكننت في الآخرة من الخاسرين ، إن جعلت دينك تبعاً لديناك أحرزت دينك وديناك وكننت في الآخرة من الفائزين)^(٣).

(١) بحار الانوار: ١٠٠/٨٦ ح ٥٩

(٢) نهج البلاغة: الخطبة/١١٣

(٣) غرر الحكم: ٣٧٥١، ٣٧٥٠

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)..... (٢٣٣)

وقد اعطى القرآن الكريم القيمة العظمى للدين وقدمه على كل شيء قال تعالى (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) (البقرة: ١٩١) (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) (البقرة: ٢١٧) فإزهاق النفس والتضحية بها يهون في سبيل التمسك بالدين وعدم الفتنة عنه، وروي عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في تفسير قوله تعالى (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكَّرُوا) (غافر: ٤٥) قوله (يعني مؤمن آل فرعون، والله لقد قطعوه إربا إربا ولكن وقاه الله أن يفتنوه في دينه) (١).

وفي هذا وردت روايات المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (وإذا نزلت نازله فاجعلوا أنفسكم دون دينكم، واعلموا أن الهالك من هلك دينه والحريب من حُرب دينه) (٢).

وقد ادرك من وفقهم الله تعالى لمرضاته هذه الحقيقة فتمسكوا بدينهم وثبتوا عليه رغم الاغراءات التي عرضت عليهم، والعقوبات الصارمة التي هُدِّدُوا بها ويحكي القرآن الكريم قصص جملة منهم للتأسي بهم كاصحاب الأخدود الذين حفر لهم خندق واضرمت فيه النار وألقوا فيها ولم يعطوا للظالم ما يريد من تركهم لدينهم (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (البروج: ٨) وكسحرة فرعون الذين هددهم بقطع الايدي والارجل ثم القتل فأجابوه (فَأَقْضَ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا) (طه: ٧٢ - ٧٣) وكامرأة فرعون التي لم ترضخ تحت تعذيب فرعون الوحشي

(١) بحار الانوار: ١٣ / ١٦٢ ح ٥

(٢) الكافي: ٢ / ٢١٦ ح ٢

وكان نظرها إلى الله تبارك وتعالى (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) (التحریم: ١١) وكأصحاب الكهف الذين لم تغرهم مكانتهم كامراء في الممالك الرومانية ولا أخافهم بطش القياصرة الرومان (إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) (الكهف: ١٤).

وبالمقابل فان الخاسرين الذين أغراهم الشيطان وغرّتهم الدنيا كثر أيضاً كقاضي قضاة الدولة العباسية - وهو أعلى مرجعية دينية في الدولة - الذي سعى لدى المعتصم العباسي بقتل الامام الجواد (عَلَيْهِ السَّلَام) حسداً لانه اخذ بحكم الامام (عَلَيْهِ السَّلَام) في قطع يد السارق وهو يعلم ان في ذلك النار.

و كحميد بن قحطبة الوالي والقائد العباسي في الرواية التالية التي تكشف عن جانب من وحشية بني العباس وحقدهم على أهل بيت النبوة وإصرار الطواغيت وشياطين الانس والجن على سلب الدين وعدم اكتفائهم بما دون ذلك ففي كتاب اخبار الرضا للشيخ الصدوق بسنده ((عن عبيد الله البزاز النيسابوري - وكان مسنا - قال: كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معاملة، فرحلت إليه في بعض الأيام، فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت وعلي ثياب السفر لم أغيرها، وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر. فلما دخلت إليه رأيت في بيت يجري فيه الماء فسلمت عليه وجلست فاتي بطست وإبريق فغسل يديه، ثم أمرني فغسلت يدي وأحضرت المائدة وذهب عني أني صائم وأنني في شهر رمضان، ثم ذكرت فأمسكت يدي، فقال لي

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (٢٣٥)

حميد: مالك لا تأكل؟ فقلت: أيها الأمير هذا شهر رمضان، ولست بمريض ولا بي علة توجب الافطار، ولعل الأمير له عذر في ذلك أو علة توجب الافطار، فقال: ما بي علة توجب الافطار وإني لصحيح البدن، ثم دمعت عيناه وبكى. فقلت له بعد ما فرغ من طعامه: ما يبكيك أيها الأمير؟ فقال: أنفذ إلي هارون^(١) الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أجب، فلما دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تتقد وسيفا أخضر مسلولا وبين يديه خادم واقف فلما قمت بين يديه رفع رأسه إلي فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال، فأطرق ثم أذن لي في الانصراف. فلم ألبث في منزلي حتى عاد الرسول إلي وقال: أجب أمير المؤمنين، فقلت في نفسي: إنا لله أخاف أن يكون قد عزم على قتلي وإنه لما رأني استحيا مني فعدت إلي بين يديه فرفع رأسه إلي فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد، فتبسم ضاحكا - لان الأمير علم ان ابن قحطبة فهم الرسالة وان المطلوب منه عرض سخي اكبر من هذا - ثم أذن لي في الانصراف. فلما دخلت منزلي لم ألبث أن عاد الرسول إلي فقال: أجب أمير المؤمنين فحضرت بين يديه وهو على حاله، فرفع رأسه إلي فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدين فضحك، ثم قال لي: خذ هذا السيف وامثل ما يأمرك به هذا الخادم. قال: فتناول الخادم السيف وناولنيه وجاء بي إلى بيت بابه مغلق ففتحه

(١) - لعله اشتباه والصحيح أنه أبو جعفر المنصور لان ابن قحطبة مات في زمن قريب من موت

فإذا فيه بئر في وسطه، وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة ففتح باب بيت منها فإذا فيه عشرون نفسا عليهم الشعور والدوائب شيوخ وكهول وشبان مقيدون، فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، وكانوا كلهم علوية من ولد علي وفاطمة عليهما السلام فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فأضرب عنقه حتى أتيت على آخرهم، ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر. ثم فتح باب بيت آخر فإذا فيه أيضا عشرون نفسا من العلوية من ولد علي وفاطمة عليهما السلام مقيدون فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر، حتى أتيت على آخرهم ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفسا من ولد علي وفاطمة مقيدون عليهم الشعور والدوائب فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك أن تقتل هؤلاء أيضا فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فأضرب عنقه فيرمي به في تلك البئر، حتى أتيت على تسعة عشر نفسا منهم، وبقي شيخ منهم عليه شعر فقال لي: تبا لك يا مشوم أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قتلت من أولاده ستين نفسا، قد ولدهم علي وفاطمة عليهما السلام، فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي فنظر إلي الخادم مغضبا وزبرني، فأتيت على ذلك الشيخ أيضا فقتلته ورمى به في تلك البئر، فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستين نفسا من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله فما ينفعني صومي وصلاتي وأنا لا أشك أني مخلد في النار^(١).

وتضمنت واقعة كربلاء مشاهد للفريقين فمن الأول الحر الرياحي الذي

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٠٨، بحار الانوار: ٤٨/ ١٧٨

(إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)..... (٢٣٧)

كان يرتعد وهو يرى جيش ابن زياد عازماً على قتل الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأهل بيته ولما سأله صاحبه عن السبب قال ((إني أخير نفسي بين الجنة والنار ولا أختار على الجنة شيئاً)).

ومن الثاني عمر بن سعد بن ابي وقاص وهو قرشي وذو رحم بالحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ويعرفه حق المعرفة ولكن أنانيته وطمعه وولعه بولاية الري وجرجان دفعه إلى الاقدام على هذه الجريمة الشنيعة فخرس الدنيا والآخرة وكان يردد ليلة اتخاذ القرار:

أترك ملك الري والري منيتي ام أرجع مأثوماً بقتل حسين
حسين ابن عمي والحوادث جمة لعمرك ملك الري قرة عين

(وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير) (الحديد: ٤)

المعية الإلهية... الثمرات والمراتب^(١)

تنبّه الآية الكريمة إلى حقيقة قرآنية عظيمة تزيد الانسان كمالاً ومعرفة برّبّه كلما ازداد ايماناً بها واستحضرها في وجدانه فعلاً.

تلك الحقيقة هي ان الله تعالى معكم في جميع مراحل تكوّنكم في الدنيا والآخرة وفي كل مكان تكونون فيه ومهما اعتقدتم انكم في خلوة وانفراد فانه معكم، وهو تعالى معكم في كل زمان وفي كل حالة من حالاتكم ومطلّع عليكم ومحيط بكم (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (سبأ: ٣) فالمعية الإلهية متحققة من جميع الجهات، وان لفظ (اين ما) الوارد في الآية لا يحددها بالمعية المكانية، ولعل ذكرها باعتبار ان المعية المكانية هي الاوضح في الازهان للتعبير عن الاقتران وكذا الغيبة المكانية أوضح في التعبير عن الافتراق.

ولذا جاءت الفقرة التالية لها (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) كالنتيجة لهذه الحقيقة لان لازم حضوره معكم وعدم احتجابكم عنه وإحاطة علمه بكم أن يكون بصيراً بأعمالكم عالماً بنياتكم وأغراضكم أي يعلم ظاهر الاعمال وباطنها.

(١) الخطاب الفاطمي السنوي الذي القاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه)

وقد تكرر هذا المعنى في آيات كريمة أخرى كقوله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (المجادلة:٧) وقال تعالى (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ) (النساء:١٠٨).

وقد استلهم النبي (ﷺ) هذه الحقيقة وقدم توجيهاً تربوياً في وصيته لأبي ذر (رضوان الله تعالى عليه) بقوله (أعبد الله كأنك تراه فان كنت لا تراه فإنه يراك)^(١) والعبادة تسري في كل شؤون الحياة.

إن الايمان بهذه الحقيقة له عدة آثار في حياة الانسان:

١- سيشعر انه ليس وحيداً في مواجهة الصعوبات والمحن والبلاءات وانما يكون معه رب رؤوف رحيم يشفق عليه ويرعاه ويدفع عنه ويحميه ويستجيب لدعائه وطلباته و اذا تأخرت الإجابة فلمصلحته لأنَّ ربه يختار له الخير ويكافئه على الاحسان ويعفو عن الإساءة وينصره عند الضعف والانقطاع (قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) (الشعراء:٦٢) (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) (الشعراء:٧٨-٨٢) فهي معية الایجاد والهداية ومعية الاطعام والسقي ومعية الشفاء من المرض ومعية البعث والنشور. وبذلك يتحول عجز الانسان وضعفه إلى قوة واقتدار ويتبدل خوفه

وقلقه بفضل الله تعالى إلى أمن وطمأنينة قال تعالى (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالِكُمْ) (محمد: ٣٥) وقال تعالى (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (التوبة: ٤٠).

روى الشيخ الصدوق عن إمامنا العسكري (عليه السلام) (أَنَّهُ سُئِلَ إِمَامَنَا الصَّادِقُ عَنِ اللَّهِ؟ فَقَالَ لِلسَّائِلِ: " يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، هَلْ رَكِبْتَ سَفِينَةً قَطُّ؟ " قَالَ: بَلَى. قَالَ: " فَهَلْ كَسِرَبَكَ حَيْثُ لَا سَفِينَةَ تُنْجِيكَ، وَلَا سِبَاحَةَ تُغْنِيكَ؟ " - أي حالة انقطاع أسباب النجاة - قَالَ: بَلَى. قَالَ: " فَهَلْ تَعَلَّقَ قَلْبُكَ هُنَاكَ أَنْ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ وَرَطَّتِكَ؟ " قَالَ: بَلَى. قَالَ الصَّادِقُ: " فَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنجَاءِ حِينَ لَا مُنْجِي، وَعَلَى الْإِغَاثَةِ حِينَ لَا مُعِيثَ " (١) لاحظوا عظمة النعمة بحضور الله تعالى معنا، وأي وحشة وعجز وضعف يحس به المنكر للخالق.

وتزداد معية التوفيق والتأييد كلما ازداد العبد قرباً من ربه (وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي) (المائدة: ١٢) أي ان بعض مراتب المعية العالية مشروطة بالإيمان والعمل الصالح.

وفي الحديث الشريف (انا عند المنكسرة قلوبهم) (٢) أي ان اللطاف الإلهية

(١) التوحيد للصدوق: ٢٣١، معاني الأخبار: ٤ / ح ٢، بحار الانوار: ١٣٧/٦٤

(٢) منية المريد، ص ١٢٣، وفيه: (أنا عند المنكسرة قلوبهم) ودعوات الراوندي: ص ٢٧٦، وفيه: روي أن داود (عليه السلام) قال: إلهي هل يذكر أحد الأموات حين درست قبورهم؟ قال: يا داود إنني لم أنسهم أحياء مرزوقين، فكيف أنساهم أمواتاً مرحومين! كلما قطعت لهم إرباً غفرت لهم ذنباً وأغفر لهم بكل شعرة سقطت وبكل عظم بلي وأنا أرحم الراحمين.

الخاصة تحضر عند انكسار القلب لاي سبب كان سواء من خشية الله تعالى او عند التعرض لمظلومية وعدوان وغير ذلك .

٢- وسيشعر أيضاً أنه ليس مطلق السراح في اتباع شهواته ونزواته واهوائه ويفعل ما يشاء من جرائم ومنكرات وظلم للآخرين وإنما هو تحت الرقابة الإلهية التي لا تحيط فقط بظاهر الاعمال بل تنفذ إلى باطن العمل فتعلم النية والغرض، فقد يكون العمل حسناً بحسب الظاهر الا انه في حقيقته سيئ لان نية صاحبه سيئة كما لو قام به رياء او طلباً للسمعة والجاه ونحو ذلك ولم يكن يتبغي به وجه الله تعالى لان الناقد بصير وهيئات لن يخدع الله عن جنته كما ورد في كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام).

وهذا الشعور يدفع العباد إلى القيام بالمزيد من الاعمال الصالحة وتخليص النيات من الشوائب وتجنب الاعمال السيئة والظلم والعدوان، فهذه الرقابة الإلهية لمصلحة الإنسان وهي توجهه بوصلة حياته نحو الخير وتضبط استقامته وليست شيئاً قسرياً مفروضاً عليه.

وهي رقابة داخلية تستقر في ضمير الانسان وتكون حاضرة اذا غابت عنه رقابة الأجهزة والقوانين الحكومية أو الأعراف الاجتماعية.

ولأهمية هذه الحقيقة فقد ورد في الحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه وآله) (من أفضل ايمان المرء أن يعلم أن الله تعالى معه حيث كان)^(١).

أيها الاحبة:

(١) سند أبي داود ح ١٥٨٢، الدر المنثور: ١٧١/٦

لقد أرادت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) أن ترسخ هذه الحقيقة في قلوب وعقول الأمة لما رأت غفلة الكثيرين عنها وأن سلوكهم كان لا ينم عن إيمان حقيقي بها وإن اعتقدوا بها ظاهراً فخاطبت جمعهم بقولها (أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه) وقالت (عَلَيْهَا السَّلَامُ) (فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون، واطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه)^(١).

وتحذّر (سلام الله عليها) من عدم الالتفات إلى هذه الحقيقة والعمل بها فقالت (لتجدنّ والله محمله ثقيلاً، وعُجبه - أي عاقبته - وبيلا اذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه الضراء، وبدا لكم من ربكم مالم تكونوا تحسبون وخسر هناك المبطلون)^(٢).

من هذا نعرف الخسارة العظمى التي تحل بالإنسان حينما يغفل عن هذه الحقيقة او ينفىها او يتسافل اكثر فينكر وجود الخالق ونعرف حجم الخسارة التي تحل بالأمة حينما يروج البعض فيها إنكار هذه الحقيقة ويدعو إلى الالحاد ونبذ الدين ونحو ذلك، لا لشيء الا لكي يطلقوا العنان لشهواتهم واتباع اهوائهم ولكي لا يؤنبهم ضميرهم وليغطوا على الشعور بالذنب والخطيئة (أُخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ) (النمل: ٥٦) فيخدعون أنفسهم بإنكار هذه الحقيقة العظمى أعني وجود الخالق فيكون حالهم كالوصف المنقول عن النعامة أنها اذا أحدق بها الخطر دفنت رأسها في التراب لكي لا تراه وتخدع

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١٢٨/١

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ١٣٦/١

نفسها بالتخلص منه.

هذا هو الدافع الحقيقي لمن يقف وراء دعوات الالحاد ونبذ الدين اما التابعون لهم فهم مخدوعون ببعض الشعارات والادعاءات، وإلا فإن دعاوى إنكار الخالق أو الشرك به أو هام باطلة من صنع خيالات فاسدة ولا يساعد عليها عقل ولا منطق عقلائي بل أن العقل السليم يسخر من هذه الأفكار لان أبسط جهاز أو آلة حولنا لا يمكن أن نصدق انه وُجد بلا صانع عاقل فكيف بالكون المترامي الذي يتحرك بنسق متناهي الدقة ووفق قوانين محكمة أتاحت المجال لعلماء الفلك أن يحسبوا ويستفيدوا منها في الرحلات الفضائية.

فأحذروا أيها الأحمية من كل سبب يؤدي الى الغفلة عن الله تعالى، وحذروا الناس من كل الدعوات التي تريد تغييب الله تعالى عن الحياة وعزله والتحليل من هذا الالتزام معه سبحانه وتعالى، واعملوا على ترسيخ حقيقة أن الله معنا لدى عموم الناس، وادعوا بالحكمة والموعظة الحسنة المتأثرين بما ينشر في مواقع التواصل لتقذوهم من ضلالهم حتى يستشعروا هذه النعمة العظيمة والمسؤوليات تجاهها، وذلك بعد ان تتسلحوا بالعلم والمعرفة ولو على المستوى الفطري والعقلاني الذي لا يحتاج إلى دراسات معمقة ومتخصصة.

وقد ورد في رواية^(١) عن السيدة الزهراء فيمن يقوي الايمان و الدين وينصر المؤمنين ويدحض شبهات المضللين والمنحرفين ان الله تعالى يضاعف له ما اعدَّ له من المنزلة الكريمة المستحقة له في الجنان الف الف ضعف، فعلى

الجميع ان لا يتقاعسوا عن نصره الدين وهداية الناس وخدمتهم، وقد حذرت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من ان حب الراحة والدعة واللامبالاة والكسل أسباب حقيقية لتضييع الحق وحذرتهم من خذلانه فقالت (عليها السلام) (الا وقد أرى أن قد اخلدتم إلى الخفض - أي الحياة المرفهة - وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة - أي الراحة والسكون -) (١).
وقفنا الله تعالى وإياكم لنصرة الدين وإعلاء كلمة الله رب العالمين ونشر شريعة سيد المرسلين (صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين).

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ^(١) (البقرة: ١٥٢)

تشریف و تکریم من الخالق العظیم لعباده بأن یقرن ذكره بذكرهم و یبادلهم الذکر فی ذکرهم اذا ذكروه و من دعاء للإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (إلهي انت قلت و قولك الحق (فاذكروني اذكركم) فأمرتنا بذكرك و وعدتنا عليه أن تذكرنا تشریفاً لنا و تفخيماً و اعظماً، وها نحن ذاكروك كما أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا يا ذاكر الذاكرين)^(٢)، بينما لا يطمع الانسان في ان يذكره إنسان ضعيف عاجز مثله وهو يعشقه و يصفق له و يلهج باسمه و يلهث وراءه و يدافع عنه و ربما يضحى من اجله و الآخر لا يعرفه و لا يقيم له وزناً فشتان بين المعبودين!

و المراد بذكر الله تعالى عبده اذا ذكره منحه العطاء الخاص و ترتيب الأثر المناسب و الا فان الله تعالى لا يغفل عن عباده و لا يهملهم و هم يتقبلون بنعمه دوماً (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) (الحديد: ٤) و هذا العطاء الخاص له اشكال عديدة و يتناسب مع نوع الذكر لان ذكره الله تعالى يجعله مؤهلاً لنزول البركات و المنن و العطايا، ففي حديث نبوي شريف في تفسير الآية (اذكروني يا معاشر العباد بطاعتي اذكركم بمغفرتي)^(٣) و الطاعة تشمل الواجب و المستحب،

(١) الكلمة القيت يوم الجمعة ١٢ رجب ١٤٣٩ المصادف ٣٠ / ٣ / ٢٠١٨.

(٢) بحار الانوار: ١٥١ / ٩٤ / ح ٢١

(٣) الدر المشهور: ١ / ١٤٨

والمغفرة تشمل محو الذنوب المقترفة أو عصمة العبد ووقايته من الوقوع في غيرها.

أو يذكره الله تعالى بالرحمة اذا ذكر ربه بالطاعة قال تعالى (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (آل عمران:١٣٢).

وفي حديث آخر عن النبي (ﷺ) (اذكروني بالطاعة والعبادة اذكركم بالنعم والإحسان والراحة والرضوان) ^(١) أو يذكر ربه بالشكر فيذكره بزيادة النعم (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) (إبراهيم:٧) او اذكروني بالدعاء لأذكركم بالإجابة (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر:٦٠) او اذكروني في الدنيا لأذكركم في الآخرة، او اذكروني في عالمكم الصغير لأذكركم في العالم الكبير ونحو ذلك مما ورد في الاحاديث الشريفة، ففي الحديث النبوي الشريف قال الله تعالى (انا عند ظن عبد بي وانا معه اذا ذكرني، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب اليّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً) ^(٢).

وفي الحديث الآخر عن النبي (ﷺ) قال (قال الله عز وجل ذكره: لا يذكرني أحد في نفسه الا ذكرته في ملأ من ملائكتي ولا يذكرني في ملأ الا ذكرته في الرفيق الأعلى) ^(٣).

(١) عدة الداعي

(٢) اخرجه في الدر المنثور عن أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي في شعب الايمان.

(٣) نفس المصدر عن الطبراني.

فَذَكِّرُونِي أَذْكَرُكُمْ (٢٤٧)

ولذا يحظى ذكر الله تعالى بأهمية كبيرة ومن الأسباب القوية لبلوغ الكمال، وفي الحديث الشريف (أحب الاعمال الى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله) أي يكون الانسان في ذكر مستمر حتى اذا فاجأه الموت كان لسانه رطباً بذكر الله تعالى وفي حديث آخر عنه (ﷺ) (ليس يتحسّر أهل الجنة الا على ساعة مرّت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها) وروى عنهم (عليه السلام) (إن في الجنة قيعاناً، فاذا أخذ الذّاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار فربما وقف بعض الملائكة فيقال له: لم وقفت؟ فيقول: إن صاحبي قد فتر، يعني عن الذكر)^(١).

وروى في عدة الداعي ان رسول الله (ﷺ) خرج على أصحابه فقال (ارتعوا في رياض الجنة، قالوا: يا رسول الله (ﷺ) وما رياض الجنة، قال مجالس الذكر اغدوا وروحوا واذكروا، ومن كان يحب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فان الله تعالى ينزل العبد حيث انزل العبد الله من نفسه، واعلموا أن خير اعمالكم عند ملكيكم وازكاها وارفعها في درجاتكم وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله تعالى فإنه أخبر عن نفسه فقال: انا جليس من ذكرني).

وفيه ايضاً عن النبي (ﷺ) قال (قال سبحانه اذا علمت أن الغالب على عبدي الاشتغال بي نقلت شهوته في مسألتني ومناجاتي، فاذا كان عبدي كذلك وأراد أن يسهو حلت بينه وبين ان يسهو، اولئك اوليائي حقاً، أولئك الابطال

حقاً، أولئك الذين اذا اردت أن أهلك اهل الأرض عقوبةً ذويتها عنهم من أجل أولئك الابطال).

والأصل في الذكر حضور المعنى في القلب وتأثيره في الجوارح وليس مجرد تحريك اللسان به وإن كان هذا لا يخلو من ثمرة طيبة، لكن المطلوب حصول تلك المراتب روى في كتاب المعاني عن ابي عبد الله الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) قال (الا أحدثك بأشد ما فرض الله تعالى على خلقه؟ قلت: بلى، قال: انصاف الناس من نفسك ومواساتك لأخيك وذكر الله في كل موطن، اما اني لا أقول: سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر، وإن كان هذا من ذاك، ولكن ذكر الله في كل موطن اذا هجمت على طاعته او معصيته). فتتخذ الموقف الذي يرضي الله تعالى في كل تلك المواطن.

وفي الحديث النبوي الشريف (من اطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن)^(١). وهذا يبين لنا بوضوح المقياس الذي يعرف به الذكر والذاكر وعدم الاكتفاء بالحركات الخارجية، وعلى هذا فالذكر له مصاديق واسعة تشمل كل الطاعات، ومنها طلب العلم والحضور في مجالس الوعظ والإرشاد وحلقات العلم.

هذا الرصيد الضخم الذي يكتسبه الانسان بالذكر يمكن ان يفرض به ويضعه بسبب ارتكابه بعض الحماقات غفلة او انسياقاً وراء اهواء النفس ففي الحديث

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ.....(٢٤٩)

الشريف (من قال سبحان الله غرس الله له بها شجره في الجنة و من قال الحمد لله غرس الله له بها شجره في الجنة و من قال لا اله الا الله غرس الله له بها شجره في الجنة و من قال الله اكبر غرس الله له بها شجره في الجنة فقال رجل من قريش يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير قال نعم و لكن إياكم أن ترسلوا عليها نيرانا فتحرقوها و ذلك إن الله عز وجل يقول يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (محمد/٣٣) ^(١). وهذه النيران يمكن أن تكون الغيبة أو الحسد أو الظلم أو انتقاص وإهانة الآخرين أو التقصير في القيام بعمل إنساني كان قادراً عليه.

وعلى الانسان ان يتجنب كل ما يلهيه عن ذكر الله تعالى ويشغله عنه من أمور الدنيا واتباع الشهوات والاهواء قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المنافقون:٩) وهو ما يتبعه شياطين الانس والجن (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ) (المائدة:٩١) فيقع الانسان في الغفلة الموجبة للبعد عن الله تعالى والوقوع في المعاصي، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (ليس في المعاصي أشد من اتباع الشهوة فلا تطيعوها فتشغلکم عن الله) ^(٢) وعنه (عليه السلام) قال (كل ما الهى عن ذكر الله فهو من ابليس) ^(٣).

(١) بحار الأنوار: ٩٣ / ١٦٨ ح ٣.

(٢) غرر الحكم: ٧٥٢٠.

(٣) ميزان الحكمة: ٣ / ٣٥٦ عن تنبيه الخواطر: ١٧٠ / ٢.

وينبغي الالتفات إلى ان هذه الملازمة بين ذكر الله تعالى وذكر العبد قد تكون سلاحاً ذا حدّين فتكون العقوبة على من يعصي الله تعالى وهو ملتفت وذاكر مضاعفة، ففي الدر المنثور عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال (فمن ذكرني وهو مطيع فحقّ عليّ أن اذكره بمغفرتي، ومن ذكرني وهو لي عاصٍ فحقّ عليّ ان أذكره بمقت).

وفي نفس المصدر (أوحى الله تعالى داود قل للظلمة لا يذكروني فان حقاً عليّ اذكر من ذكرني وإن ذكرني إياهم أن العنهم).

وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ (فصلت: ٣٦)

الاستعاذة بالله تعالى من شياطين الجن والانس ^(١)

ومثلها قوله تعالى (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأعراف: ٢٠٠) الا انها تختلفان في ان الآية عنوان البحث ظاهرة في الحصر بأن الله تعالى وحده هو الذي يسمع استعاذتك واستجارتك وهو العليم الذي يعلم بحاجتك واضطرارك بينما اكتفت آية الأعراف بالوصف دون الحصر، ولذا يستحب ^(٢) ذكر هذين الاسمين من الأسماء الحسنى في الاستعاذة فتقول مثلاً (اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان اللعين الرجيم).

والنزغ يعني الضغط بطرف قضيب او الاصبع بعنف مؤلم واستعمل هنا بمعنى الوسوسة الباعثة على الشر لذا عرفه الراغب وغيره بأنه الدخول في الامر لإفساده قال تعالى (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) (الإسراء: ٥٣) وقال تعالى (مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) (يوسف: ١٠٠).

(١) كلمة القيت يوم الاحد ٤ رمضان ١٤٣٩ الموافق ٢٠ / ٥ / ٢٠١٨

(٢) في تفسير العياشي: ٢ / ٢٧٠ ح ٦٧ عن سماعه عن ابي عبدالله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في قول الله (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) قلت: كيف أقول: قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (تقول: استعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم)

فالآية الكريمة ترشد الانسان إلى انه اذا تعرض لتسويل من النفس الامارة بالسوء وتزيين من الشيطان او اغراء من الآخرين او هيجان للشهوة او غريزة الغضب فليستعذ بالله تعالى خاصة دون غيره ويطلب منه بصدق ان يحميه من الزيغ والانحراف والاستجابة لدعوة الشيطان، ولا يتهاون بالأمر ويترك الاستعاذة والاحتراز، وأن لا يتكل على قدراته الذاتية في الاعتصام من الذنوب والاختاء كما يتصور بعض المعتدين بأنفسهم ويجازف احياناً ويصل الى حدود الذنب - كمجالسة الفساق أو الخلوة بالأجنبية - ولا يمتنع من ان يحوم حول حدود المعصية معتمداً على ثقته بانه قادر على أن يملك زمام نفسه والامتناع من الوقوع فيها، ولا يعلم أنه بمفرده عاجز عن مواجهة الشيطان الخبيث الماكر الطامع، فيجب عليه بمقتضى الآية الكريمة اتخاذ اجرائين عندما تسوّل له نفسه امراً ويزيّنه الشيطان ويتحرك فيه داعي المعصية والباعث نحو الشر: أولهما الاستعاذة (فَاسْتَعِذْ) وثانيهما أن تكون (بِاللَّهِ).

يضرب بعض أهل المعرفة مثلاً ليقرب الفكرة فيقول لأحد تلاميذه لو أنك كنت في طريق زراعي وكان هناك قطيع من الغنم يرعاه صاحبه ومعه كلب الحراسة فنيح عليك الكلب وأراد مهاجمتك فماذا ستفعل؟ قال: ألتقط حجراً وأرميه به لزجره، قال المعلم فلو لم يرتدع الكلب وعاد الى النباح والمهاجمة قال الطالب أرميه بآخر قال المعلم فأن لم ينفع ذلك ثانيةً وثالثةً ، فسكت الطالب ، وهنا قال المعلم : أما كان الاجدر بك أن تطلب من الراعي ليعبد الكلب عن طريقك فإنه قادر على توجيهه ويأتمر بأمره .

الاستعاذة بالله تعالى من شياطين الجن والانس (٢٥٣)

وتقريب الفكرة إننا لا نملك القدرة لوحدنا على مواجهة مكائد الشيطان
وخدعه وتسويلاته ووسوسته إلا أن نستعيز بالله تعالى القادر عليه والماسك
بزمَام أمره.

روي عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله (إذا وسوس الشيطان الى أحدكم
فليستعذ بالله وليقل : آمنت بالله مخلصاً له الدين) (١).

وروى الحاكم بسنده عن سليمان بن صرد قال (استبَّ رجلان عند النبي
(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فأشدد غضب احدهما فقال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): إني لأعلم كلمة لو قالها
لذهب عنه الغضب: اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال الرجل: امجنون (٢)
تراني؟ فتلا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) (٣).

ولا بد ان نلتفت الى ان الاستعاذة المنتجة والمؤثرة ليست مجرد لقلقة لسان
بل هي حالة معنوية لا بد فيها من حضور الذكر في القلب والتقوى في النفس
والإخلاص في العمل، اما من كان باطنه ملوثاً فلا ينفعه تحريك اللسان
بالاستعاذة، لاحظ قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ
تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (الأعراف: ٢٠١) أي ان ذهاب مس الشيطان متوقف
على التذكر، فهذه الآية مشابهة لما نحن فيه وعبرت عن النزغ بالمس ومن

(١) كتاب الخصال : باب الاربعمائة

(٢) ربما يقصد هل انه فيه مس من الشيطان حتى تعوزه فيه حيث كانوا يعتبرون المجنون مساً من
الشيطان او انه يستنكر اعتراض رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على غضبه ولا يرى سلوكه المتعصب خارجاً
عن تصرف العقلاء.

(٣) روح المعاني: ٢٤ / ١٢٥

المقابلة يعرف ان الاستعاذة تلزم التذكر بأن تذكروا نعمة الله عليهم واستحقاق الشكر عليها وتذكروا العاقبة الوخيمة لاتباع الشيطان في الدنيا والآخرة وتذكروا تفاهة ما يمنيهم الشيطان به وان بدا مغرياً لذيذاً في هذا الذكر والحضور الوجداني لله تعالى وهذه القوة المعنوية الحاصلة له يعصمه الله تعالى من الشيطان والتي تنتجها الاستعاذة لكن ليس مجرد الكلمات الخالية من المعاني. الا ترى ان من هاجمه حيوان مفترس فانه لا يتخلص منه بان يقف مكانه ويقول بلسانه اعوذ بهذا المكان الحصين من هذا الحيوان بل عليه ان يدخله ويغلق بابه باحكام لينجوا، وقد وعد تعالى من يستعيذ به بالنجاة من مكائد الشيطان، قال تعالى (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُم بِه مُشْرِكُونَ) (النحل: ٩٩-١٠٠) وقال تعالى (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (ص: ٨٢-٨٣) وقال تعالى (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا) (الإسراء: ٦٥).

ويظهر من هذه الآيات الكريمة أن أهم شروط الاستعاذة المؤثرة الإخلاص: وفي الحديث القدسي (لا إله الا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي) ^(١) فالإخلاص في التوحيد ونفي سائر المعبودات غير الله تعالى فلا طاعة للهوى ولا للشهوة ولا لذوي النفوذ والجاه وأصحاب الأموال وانما لله تعالى وحده فهذا هو الحصن الذي يحمي من العذاب ومكائد الشيطان

(١) التوحيد للصدوق: ٢٥، بحار الأنوار: ١٣/٣، ١٩٢/٩٠

والإخلاص له مراتب فيتخلص من شر الشياطين بنفس مقدار إخلاصه
ومن شروطها: الايمان والتقوى والتوكل على الله تعالى وحده دون غيره
من الأسباب واستشعار معنى العبودية لله تعالى وأداء استحقاقاتها كما نطقت به
الآيات المتقدمة وغيرها.

هذا من جانب الأمور القلبية، وهناك إجراءات محصنة على صعيد العملي
ففي الحديث عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (قال ابليس: خمسة ليس لي فيهن
حيلة وسائر الناس في قبضتي: من اعتصم بالله عن نية صادقة، واتكل عليه في
جميع اموره، ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره، ومن رضي لأخيه المؤمن بما
يرضاه لنفسه، ومن لم يجزع على المصيبة حين تصيبه، ومن رضي بما قسم الله
له ولم يهتم لرزقه) (١). وروى الامام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال (قال
رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ألا أخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما
تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلى، قال: الصوم يسود وجهه، والصدقة
تكسر ظهره، والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطعان دابره،
والاستغفار يقطع وتينه) (٢).

فهذه الشروط والملكات الباطنية التي تبرزها مثل هذه الاعمال الصالحة
تجعل الحالة المعنوية قويّة وعصيّة على اختراق الشيطان. لان الوسواس
الشیطانية كالجراثيم الضارة لا تخترق الا الابدان الضعيفة ذات المناعة القليلة

(١) الخصال: ٢٨٥ ح ٣٧

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ١١٧ ح ١٠٢

ولا تقدر على اختراق الابدان القوية ذات المناعة العالية.

أيها الأحبة:

اننا مطالبون بالاستعاذة من الشيطان على الدوام لأنه توعدّ البشر بالقعود على الصراط (فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) (الأعراف: ١٦) لحرفهم عن الاستقامة أو ردّهم ومنعهم من السير نحو الكمال كقطاع الطرق ولا يدع الانسان حتى يجعله من اتباعه بلا فرق بين شياطين الجن والانس فان دأبهم صد البشر عن التقرب من الله تعالى (وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) (النساء: ٦٠) (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) (المائدة: ٩١).

وتتأكد الحاجة إلى الاستعاذة اليوم اكثر، لأنّ زماننا اعقد من أي زمان مضى في كثرة ابتلاءاته وتحدياته وصعوباته وتنوع ادواتها واساليبها وقوة تأثيرها الفائقة، وقد توعدّ شياطين الأنس بإيصال آلات الافساد والضلال الى داخل غرف النوم ولا يوجد احد بمنأى منها الا من تحصّن بدرع الله تعالى الحصينة، لذا تركّز الادعية المباركة على طلب العصمة من الذنوب والقدرة على النجاح في تجاوز المحن والصعوبات من الله تعالى وعدم الاتكال على النفس والقدرات الذاتية، كدعاء الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في صحيفته المباركة (اللهم احصُرني - أي امنعني - عن الذنوب، وورّعني عن المحارم، ولا تُجرّبني على المعاصي) وفي دعاء اخر قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (وَ أَوْهِن قُوَّتَنَا عَمَّا يُسْخِطُكَ عَلَيْنَا وَ لَا تُخَلِّ فِي ذَلِكَ بَيْنَ نَفْسِنَا وَ اخْتِيَارِهَا، فَإِنَّهَا مُخْتَارَةٌ لِلْبَاطِلِ إِلَّا مَا وَقَفْتَ، أَمَارَةٌ

الاستعاذة بالله تعالى من شياطين الجن والانس (٢٥٧)

بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمْتَ) ^(١) تصوّروا ان الامام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الذي يقول في دعاء آخر (لا تؤدّبني بعقوبتك) أي اجعل تأديبك اياي من دون بلاء وسلب للنعم كأن يكون بالموعظة والتعليم والتبصّر والاستفادة من تجارب الآخرين، لكن لما لم تفلح هذه الأساليب في الردع عن المعصية يطلب الاجتناب عنها ولو بسلب بعض القوى والأدوات التي يعصي بها الانسان ربّه المنعم.

لقد تفتقت الذهنيات الشيطانية عن خطط ماكرة وخبيثة لاستدراج الشخص وايقاعه في فخ المعاصي والخطايا والذنوب كالاتصال بأجهزة النقال مع نساء لا على التعيين وخداعهن بكلمات الحب والمشاعر العاطفية الجياشة التي تنطلي على المرأة الساذجة حتى تثق بهم وتلتقي بهم او تعطيمهم صوراً شخصية فيهددونها بالفضيحة او ابتزازها في اعمال منكرة او اغراء الشباب بمستقبل زاهر وحياة هنيئة ليكون جزءاً من فسادهم واداة لتحقيق مآربهم.

ان الله تعالى يقدرّ ضعف الانسان وعجزه عن مواجهة شياطين الجن والانس فجعل له ملائكة يحفظونه ويدافعون عنه ^(٢)، وفي بعض الروايات ^(٣) انه لو كشف لكم الغطاء لرأيتم العدد الكبير من الشياطين الذين يحيطون بكم

(١) الصحيفة السجادية: الدعاء التاسع

(٢) راجع تفسير قوله تعالى (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) [الرعد:

(٣) في الحديث عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (اذا مات المؤمن خُلي على جيرانه من الشياطين عدد ربيعة ومضر كانوا مشتغلين به) (الكافي: ٢ / ٢٥١ ح ١٠) وعن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (إن الشياطين اكثر على المؤمنين من الزنابير على اللحم) (بحار الأنوار: ٨١ / ٢١١ ح ٢٧).

ويتربصون بكم، لكن الله تعالى جعل الملائكة الحافظة لدفعهم.
وجعل بلطفه وكرمه شهر رمضان المبارك الذي تُغَلَّ فيه الشياطين ففي
خطبة النبي (ﷺ) في استقبال شهر رمضان (و - إن - الشياطين مغلولة - في
هذا الشهر - فسلوا ربكم أن لا يسلطها عليكم) واذا استزلهم الشيطان ببعض ما
كسبوا فقد فتح لهم باب التوبة ليعودوا إلى الحالة النقية الطاهرة خصوصاً في
هذا الشهر الكريم حيث تغفر فيه الذنوب بدرجة لا يحرم منها الا الاشقياء)
فان الشقي من حُرِّمَ غفران الله في هذا الشهر العظيم) ^(١) وفي رواية صحيحة
عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (من لم يغفر له في شهر رمضان لم يُغفر له إلى
قابل الا أن يشهد عرفة) ^(٢).

(١) مفاتيح الجنان: خطبة النبي (ص) في اخر جمعة من شعبان

(٢) وسائل الشيعة: ١٠ / ٣٠٥ أبواب احكام شهر رمضان، باب ١٨ ح ٦.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ.....(٢٥٩)

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ)^(١)

(محمد: ١١)

المولى بمعنى الولي الذي له ولاية ما خاصة كولاية السيد على العبد او عامة كولاية الله تعالى على خلقه في التصرف والتدبير وله سبحانه ولاية التشريع وهداية العباد إلى ما يصلح شؤونهم، والظاهر انها هنا تشير الى ولاية النصر والتأييد.

والآية تبين واحدة من ثمرات الايمان بالله تعالى وأحد الفروق بين المؤمنين وغيرهم وهو ان للمؤمنين مولى ورباً. يرعاهم ويدبر شؤونهم ويهديهم وينصرهم ويسددهم ويرشدهم ويشفق عليهم ويرحمهم بالرحمة والرعاية الخاصة (أما الولاية العامة فشاملة لجميع المخلوقات) قال تعالى (وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (يونس: ٣٠).

أما غير المؤمنين بالله تعالى سواء كانوا من المنكرين للخالق والملحدون والمشركين الذين يعبدون آلهة أخرى من دون الله تعالى - وهو عنوان يشمل في بعض مراتبه الذين هم مسلمون بحسب العنوان الا أنهم عملياً لا يعبدون الله تعالى وإنما يطيعون شهواتهم ونزواتهم وغرائزهم وما تدعوه إليه انانيتهم ويقدمون رموزاً ويطيعونها من دون عرض أفعالهم على ما يريد الله تعالى

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الفطر عام ١٤٣٩ الموافق ١٥ / ٦ / ٢٠١٨

ويرضاه - فهؤلاء قد يكون لهم مولى وناصر ومعين من سلطنة أو عشيرة أو مال أو جاه أو حزب أو قوى خارجية يسمونها بالعظمى أو غيرها كقول المشركين للمسلمين يوم أحد ((لنا العزى ولا عزى لكم)) فاجابهم المسلمون (الله مولانا ولا مولى لكم)) الا أن الآية الكريمة تعتبر هؤلاء الموالي أو هاماً لا قيمة لها وتنفي وجودهم على نحو الحقيقة (وان الكافرين لا مولى لهم) فكأنهم لاشيء وهم كذلك، قال تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ) (العنكبوت: ٤١) وإذا أثبتت آيات أخرى ولاية لهؤلاء فأنما هي ولاية الاغواء والاضلال والافساد (إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأعراف: ٢٧) (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوْنَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) (الأعراف: ٢٠٢) (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة: ٢٥٧).

فمن لم يكن مولاه ومعبوده ومطاعه الله تعالى فان الهه هواه والشيطان شاء ام ابى (أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) (الفرقان : ٤٣) وان اعطى عناوين محبته لها كأن يسمون اتباع الاهواء الشخصية غير المنضبطة بالحرية وهي في الحقيقة عبودية للهوى. ويذكر القرآن الكريم الفرق بين المنهجين في الطاعة والاتباع كقوله تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة : ٢٦٨]

ولتقريب هذا الفرق بين الولايتين تصوّر وجود أطفال لهم أب يربيهم ويرشدهم ويصرف عليهم ويرعاهم ويدافع عنهم ويوفر لهم أسباب الحياة

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ.....(٢٦١)

الكريمة وأطفالاً آخرين أيتاماً ليس لهم من يعيلهم فهم في ضياع واحتياج وحرمان قد سقطوا في حبال عصابة شريرة مفسدة فاستخدمتهم لأغراضها الشيطانية، مع ان حاجتنا إلى رعاية الله تعالى لا تقارن بحاجة الأطفال إلى أبيهم أو أمهم.

وتبين الآية التالية محل البحث النتيجة التي سيؤول إليها أمر الفريقين (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) (محمد:١٢).

ومظاهر هذه الولاية الإلهية في حياة الانسان لا تعد ولا تحصى، نجد في دعاء الافتتاح بياناً لجوانب منها (فَكَمْ يَا إِلَهِي مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ فَرَجْتَهَا، وَهُمُومٍ قَدْ كَشَفْتَهَا، وَعَشْرَةٍ قَدْ أَقْلْتَهَا، وَرَحْمَةٍ قَدْ نَشَرْتَهَا، وَحَلَقَةٍ بَلَا قَدْ فَكَّكْتَهَا) (١).

ومن مظاهر هذه الولاية الإلهية للناس انه تعالى أنزل لهم شريعة سمحاء تتكفل بسعادتهم في الدنيا وفلاحهم في الآخرة، وهذه الولاية يتنعمون فيها وبها حتى وهم في أشد الظروف قسوة ولعلمهم يجدون في أنفسهم شيئاً لأن الله تعالى لم يستجب لدعائهم (فَإِنَّ أِبْطَاءَ عَنِّي عَنَيْتُ بِجَهْلِي عَلَيْكَ، وَلَعَلَّ الَّذِي أِبْطَاءَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِي لِعِلْمِكَ بِعَاقِبَةِ الْأُمُورِ) فإنه تبارك وتعالى لم ولن يتخلى عنهم ولا يخلفهم وعده (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (الشرح:٥) ولكن التأخير لمصلحتهم أما في الدنيا أو في الآخرة، بينما يتخبط غير المؤمنين بقوانين

(١) فقرات من دعاء الافتتاح الذي يقرأ في ليالي شهر رمضان المبارك

وأنظمة تجلب لهم الشقاء والتعاسة.

وهذه الولاية الإلهية مستمرة في الحياة الدنيا وفي الآخرة ما بعد الموت، قال تعالى (يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) (إبراهيم: ٢٧) وقال تعالى (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (غافر: ٥١) وقال تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (يونس: ٦٣-٦٤).

واذكر لكم مثالا على ولاية الله الشفيقة بعباده بعد الموت (روي أن موسى عليه السلام لما دفن أخاه هارون عليه السلام ذكر مفارقتة له وظلمة القبر فأدر كته الشفقة فبكى فأوحى الله تعالى إليه (يا موسى لو أذنت لأهل القبور أن يخبروك بلظفي بهم لأخبروك يا موسى لم أنسهم على ظاهر الأرض أحياء مرزوقين أفأنساهم في باطن الارض مقبورين ؟ يا موسى إذا مات العبد لم أنظر إلى كثرة معاصيه ولكن أنظر إلى قلة حيلته) فقال موسى عليه السلام : يارب من اجل ذلك سُميت أرحم الراحمين ؟) (١)

وفي المناجاة الشعبانية لأمر المؤمنين (عليه السلام) (إِلَهِي لَمْ يَزَلْ بَرُّكَ عَلَيَّ أَيَّامَ حَيَاتِي فَلَا تَقْطَعْ بَرِّكَ عَنِّي فِي مَمَاتِي) أما البعيدون عن الله تعالى على اختلاف اشكالهم فأنهم حرموا أنفسهم من هذه الولاية الإلهية الخاصة (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (النحل: ١١٨) ومع ذلك فان الله تعالى لم يتخلى

(١) لم نجد الرواية في مصدر معتبر في حدود ما بحثناه

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ.....(٢٦٣)

عنهم ولم يمنعهم من رحمته الواسعة (يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة) وبدلاً من ان يشعرهم هذا بالخجل والحياء من رب العالمين ويدعوهم إلى العودة إليه سريعاً فإنهم يتمادون في غيهم وعصيانهم وابتعادهم عنه تبارك وتعالى (فَلَمْ أَرَ مَوْلَىٰ كَرِيماً أَصْبَرَ عَلَىٰ عَبْدٍ لِّئِيمٍ مِنْكَ عَلَيَّ يَا رَبُّ، إِنَّكَ تَدْعُونِي فَأَوْلِي عَنكَ، وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلَا أَقْبَلُ مِنْكَ، كَأَنَّ لِي التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ ذَلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لِي وَالْإِحْسَانَ إِلَيَّ، وَالتَّفَضُّلَ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، فَأَرْحَمُ عَبْدَكَ الْجَاهِلَ، وَجُدُّ عَلَيْهِ بِفَضْلِ إِحْسَانِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ) ^(١) فليعتز المؤمنون بهذه النعمة الإلهية العظيمة وليقولوا كما قال الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في دعائه يوم عرفة مفتخرا بربه العظيم ((ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك)) وليجدوا ويجهدوا في دعوة غيرهم إليها (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (الضحى: ١١) ولتكن دعوتهم برفق ولين وحجة وبرهان (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل: ١٢٥).

(١) فقرات من دعاء الافتتاح الذي يقرأ في ليالي شهر رمضان المبارك

**وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا
تُنصَرُونَ) (الزمر: ٥٤)**

السيدة الزهراء (عليها السلام) تدعو إلى الرجوع إلى الله تعالى والانقياد له^(١)
هذه وصية من ربكم أوصلها إليكم من خلال رسالته العظيمة إلى الناس،
أعني القرآن الكريم وهو مليء بالموعظة لأنه كتاب هداية وصلاح وحياة
للقلوب والموعظة أهم ادواتها، ومنها هذه الآيات الكريمة في سورة الزمر
الحافلة بهذه المواعظ وهي تحذّر من عاقبة الافعال السيئة. وتتضمن الوصية
حركتين:

الأولى: قوله تعالى (وَأَنِيبُوا) أي ارجعوا عن ذنوبكم واطمأننوا
طريقة حياتكم البعيدة عن الله تعالى ولا تغرّبكم الحياة الدنيا بشهواتها واطمأننوا
وزخارفها فأنها كلها أوهاام زائلة، وعودوا (إلى ربكم) واختيار هذا الوصف
للتذكير بصفة الربوبية والرعاية والتربية والتنشئة من عالم إلى عالم ومن حال
إلى حال.

وباب التوبة هذه والرجوع إلى الله تعالى مفتوحة لكل أحد مهما عظم ذنبه
وقد أطلقت الآية السابقة هذه الحقيقة لتفتح الباب على مصراعيه امام الجميع

(١) الخطاب الفاطمي السنوي الذي القاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد يعقوبي (دام ظله

السيدة الزهراء (ع) تدعو إلى الرجوع إلى الله تعالى (٢٦٥)

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (الزمر: ٥٣) فهذه الانابة والتوبة هي
الخطوة الأولى وهي ممهدة للتالية.

الثانية: (وَأَسْلِمُوا لَهُ) أي اطيعوا ربكم وانقادوا لأحكامه ولا تجعلوا لغيره
نصيلاً في قلوبكم ولا تأثير لغيره في افعالكم سواء كان هذا الغير الذي تطيعونه
وتتبعونه هي انانيتكم وأهواءكم واطماعكم أو اعرافكم الاجتماعية أو العشائرية
أو الرموز التي تتبعونها أو الجماعات والأحزاب التي تنتمون إليها وغير ذلك.
هاتان الخطوتان تضمنان لكم السعادة والفوز والنجاة من عذاب معصية الله
تعالى والتمرد على طاعته والابتعاد عن دينه فبادورا اليهما الآن وفي هذه اللحظة
لأن المستقبل غير مضمون والموت يأتي بغتة وبشكل مفاجئ ولا يعلم وقته الا
الله تعالى.

(مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ) لأن الانسان اذا لم يتدارك أمره ويعود إلى ربه
فانه قد حكم على نفسه بالشقاء والتعاسة وعندما يموت يعلق عليه باب العمل،
ويحرم من الفرص الكثيرة التي اتاحها الله تعالى له.

(ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) لا ينصركم شيء مما كرستم له حياتكم من مال أو أولاد
أو منصب أو جاه أو اتباع أو غير ذلك (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) (البقرة: ١٦٦).
ولا ينفع الندم وتمني العودة والرجوع (وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ
يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) (الفرقان: ٢٧) من وصية النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لأبي
ذر (رضوان الله تعالى عليه) (يا أبا ذر اغتسم خمسا قبل خمس: شبابك قبل

هرمك، وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك^(١) ومن كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) في المبادرة إلى التوبة والعمل الصالح (أيها الناس! الآن الآن ما دام الوثاق مطلقاً - أي الحياة وفرصة العمل موجودة - والسراج منيراً، وباب التوبة مفتوحاً، من قبل أن يجفّ القلم وتطوى الصحف، فلا رزق ينزل، ولا عمل يصعد، المضممار اليوم والسباق غداً وانكم لا تدرّون إلى جنة أو إلى نار!!! وأستغفر الله لي ولكم)^(٢).

ثم تبين الآية التالية ما أجملته الآية السابقة (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) (الزمر: ٥٥) وهو هذا القرآن العظيم الذي فيه تبيان كل شيء فعليكم العمل به وتدبر معانيه واتخذه هادياً ومرشداً وقائداً ولكن عقولنا تقصر عن الإحاطة بتفاصيله فيأتي دور كلام المعصومين (عليهم السلام) في بيانه.

وتتكرر المطالبة بالمبادرة والمسارة واغتنام الفرصة قبل فواتها (مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بُغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (الزمر: ٥٥) فإن باب التوبة قد يغلق (فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) (غافر: ٨٥).
وحيث لا ينفع الندم ولا الحسرة ولا التأسف لأن هذه الحقيقة قد بينها الله تعالى للناس وحذرهم منها فلا عذر لهم (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) (الزمر: ٥٦) في كل ما يرتبط بالله تعالى من دين وأئمة وقادة هداة، وسيندم على استخفافه واستهزائه بهذا كله (وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ

(١) مكارم الاخلاق للطبرسي: ٦٢٦

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ٦٨٦

السيدة الزهراء (ع) تدعو إلى الرجوع إلى الله تعالى (٢٦٧)

السَّاحِرِينَ) (الزمر: ٥٦) فقد كان يسخر ممن يدعوه إلى الله تعالى ويسخف كلامه ويتهم دعوته بأنواع الأوصاف المنفرة، فإذا طلبت منهم، إقامة شريعة الله تعالى والالتزام بقوانينها عارضوك ووصفوها بأنها رجعية وتخلّف أو أن الوقت غير مناسب لتطبيقها، لاحظوا معي هذا المشهد لهم يوم القيامة (وَلَوْ تَرَى إِذُ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (الأنعام: ٢٧).

فكل إعراض عن الشريعة وصدُّ عنها وعن العمل بها هو تفريط في جنب الله تعالى، وكل نكران لنبوة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وإمامة آله الكرام هو تفريط في جنب الله ففي الكافي بسنده عن موسى بن جعفر (عَلَيْهِمَا) (جنب الله أمير المؤمنين)^(١)، وفي بصائر الدرجات عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِمَا) يقول (أنا عين الله، وأنا جنب الله، وأنا يد الله، وأنا باب الله)^(٢) وعن الامام الصادق (عَلَيْهِمَا) قال (انا شجرة من جنب الله فمن وصلنا وصله الله)^(٣) وفي المناقب بسنده عن ابي ذر في خبر عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (يا ابي ذر يؤتى بجاحد علي يوم القيامة أعمى أبكم يتككب في ظلمات يوم القيامة ينادي (يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ) وفي عنقه طوق من نار)^(٤).

فالله تعالى يدعونا دائماً إلى تذكّر هذه الحقائق ونحن في هذه الدنيا

(١) الكافي: ج ١ ص ١٤٥.

(٢) بصائر الدرجات: ١٩.

(٣) بصائر الدرجات: ١٩.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٣: ٦٤.

لنستطيع معالجة الخلل وتدارك التقصير قبل فوات الأوان، ورد في الحديث عن النبي (ﷺ) (أكثرُوا من ذكر هادم اللذات، فأنكم إن كنتم في ضيق وسعه عليكم فرضيتم به فأثبتتم، وإن كنتم في غنى بغضه اليكم فجُدتم به - أي أنفقتم منه - فأجرتم، ألا إن المنايا قاطعات الآمال، والليالي مدينيات الآجال، وإن المرء عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاء ما قدّم وقلة غنى ما خلّف، ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه)^(١).

إن هذه الآيات الكريمة فيها قانون عظيم لإصلاح المجتمع بفتحته باب العودة إلى الصواب والاندماج في المجتمع من جديد مهما كان خطؤه عظيماً، لأن كثيراً ممن يرتكبون مثل هذه الأخطاء يفقدون الأمل ويظنون ان باب التوبة اغلق في وجوههم فيقدمون على الانتحار للتخلص من آلام تأنيب الضمير أو يندفعون نحو الجريمة أكثر لإسكات صوت الضمير وإماتته، وما يريد الله تعالى من الانسان اعترافه بخطئه ورجوعه عنه إلى طاعة الله تعالى، وسيقبله ويمحو ما سبق منه.

أيها المؤمنون الموالون للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

لقد ارادت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بقيامها المبارك أن تعيد الأمة إلى رشدها وأن تعمل بهذه الوصية من ربها لأنهم ارتكبوا اثماً عظيماً بانقلابهم على اعقابهم ومخالفتهم لنبيهم وعصيانهم لإمامهم وأسسوا خطأً باطلاً منحرفاً ويزيد ابتعاده عن الحق كلما مرّ عليه الزمن، تأملوا في قولها سلام الله عليها (وكيف

السيدة الزهراء (ع) تدعو إلى الرجوع إلى الله تعالى (٢٦٩)

بكم واني تؤفكون وكتاب الله بين اظهركم، اموره ظاهرة واحكامه زاهرة واعلامه باهرة وزواجره لائحة وأوامره واضحة، وقد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ ام بغيره تحكمون؟ بنس للظالمين بدلا (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران: ٨٥) (أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟! أفلا تعلمون؟) ^(١) .

وتذكر الأمة بأن الانابة إلى الله تعالى والإسلام له يتحققان بطاعة ولي الأمر الذي فرض الله طاعته، قالت (ع) (أما والله لو تركوا الحقّ على أهله، واتبعوا عترة نبيّه، لما اختلف في الله اثنان، ولورثها سلف عن سلف، وخلف بعد خلف، حتّى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين (ع)). ولكن قدّموا من آخره الله، وأخروا من قدّمه الله، حتّى إذا ألدوا المبعوث - أي دفنوا النبي (ص) الله، وأودعوه الجذث المجدوث، اختاروا بشهوتهم وعملوا بأرائهم، تبا لهم! أولم يسمعوا الله يقول (وَرُبُّكَ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) (القصص: ٦٨) بل سمعوا ولكنهم كما قال الله سبحانه (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج: ٤٦) هيهات! بسطوا في الدنيا آمالهم ونسوا آجالهم فتعسأ لهم وأضلّ أعمالهم، أعوذ بك يا ربّ من الحور بعد الكور) ^(٢) .

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١٣١/١

(٢) موسوعة المصطفى والعترة للشاكري: ٣٦٢/٤، عن عوالم المعارف: ٢٢٨/١١، والهور بعد

الكور أي نقصان بعد الزيادة.

أيها الأحبة ..

لا يمكن ان يجتمع حب فاطمة ومولاتها وطلب شفاعتها مع ما انحدر اليه المجتمع من مفسد وانحراف وانحلال بلغ مديات غير معقولة من فساد مالي تحوّل إلى ثقافة عامة فأدى إلى تخريب مؤسسات الدولة وشمل حتى الخدمات الحيوية كالصحة والتعليم والقضاء والأمن ومن تجارة للمخدرات وادمان عليها إلى احتفالات الفسق والفجور إلى العلاقة المشبوهة بين الجنسين مما أدى إلى كثرة حالات الطلاق والانتحار، وازدادت الصراعات العشائرية التي تخلّف ضحايا وخسائر بالأموال وتغذيها أحياناً بعض الأحزاب المتنفذة للحفاظ على مصالحها الشخصية، وانتشرت الملاهي ومحلات بيع الخمر بشكل غير مسبوق وأصبحت متاحة حتى للصبيان وتمارس عملها بشكل علني وبحماية السلطة وبعض الجهات المتنفذة، والتشكيك في العقائد الحقّة والثابتة بل الاستهزاء بها والدعوات إلى نبذها أصبحت علنية بلا حياء ولا مراعاة لمقدسات المجتمع وحرماته.

هل من المعقول أن يحصل كل هذا على أرض ضمت الأجساد الطاهرة لأمر المؤمنين والحسين والكاظمين والعسكريين (عليهم السلام) وفي ظل حكومات يتسيدها الإسلاميون وتدعي الالتزام بتوجيهات المرجعية الدينية؟

وهل يمكن أن نرجو شفاعة الزهراء (عليها السلام) ونعدّ أنفسنا من شيعتها الذين تلتقطهم يوم المحشر لتشفع لهم، ونحن نرى كل هذا الظلم والانحراف ولا نتحرك بالشكل الكافي لمواجهته. روى الشيخ الطوسي في مجالسه بسنده قال

السيدة الزهراء (ع) تدعو إلى الرجوع إلى الله تعالى.....(٢٧١)

(كان يقال: لا يحل لعين مؤمنة ترى الله يُعصى فتطرف حتى تغیره)^(١).

وقد جعلت سلام الله عليها معياراً لمن يستحق عنوان شيعة فاطمة قالت
(عَلَيْهَا) (إن كنت تعمل بما أمرناك، وتنتهي عما زجرناك عنه فأنت من
شيعتنا)^(٢).

ان الله تعالى يستنهض عباده المؤمنين خصوصاً النخبة العاملة الرسالية
الواعية للدفاع عن المحرومين والمستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة الا بالله
العلي العظيم^(٣) ويدعوهم الى التحرك لانقاذ إخوانهم من ضعاف الايمان
والعقيدة والجاهلين بأحكام الشريعة فيرفعون عنهم الشبهات والشكوك
ويعلمونهم الاحكام الدينية ويطلعونهم على سيرة المعصومين (عَلَيْهَا) وأخلاقهم
وتعاليمهم وليغيرون الظلم والفساد، قال تعالى (وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى
الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل
عمران: ١٠٤).

كما يستنهضهم لدفع الظلم والحرمان والاضطهاد عن المؤمنين الذين لا
حول لهم ولا قوة فيطلبون النجدة من إخوانهم (وَمَا لَكُمْ لَأ تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ

(١) وسائل الشيعة: ١٦ / ١٢٥ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ١ ح ٢٥

(٢) بحار الأنوار: ١٥٥/٦٨

(٣) راجع خطاب تفسير قوله تعالى (وَمَا لَكُمْ لَأ تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا
وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) (النساء: ٧٥)

هَذِهِ الْقَرْيَةُ الظَّالِمِ أَهْلِهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا
(النساء: ٧٥).

ويستنكر في أحاديث شريفة على المتقاعسين عن هذه الواجبات كالحديث المروي عن الامامين الباقر والصادق (عليهما السلام) (ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)^(١) وعن الامام الباقر (عليه السلام) قال (بئس القوم قوم يعيبون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)^(٢) وروي الامام الرضا (عليه السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (إذا أمتي تواكلت - أي اتكل بعضهم على بعض فتركوا فريضته - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله)^(٣).

أيها الأخوة والاخوات

إذن نحن بحاجة إلى أن نحيي في أنفسنا هذه الغيرة الفاطمية ونستمد من القيام الفاطمي العزم والقوة للتحرك في جميع الساحات وبكل الوسائل الفاعلة والمؤثرة للعمل بما أمرت به هذه الآية الشريفة اداءً لرسالة الصلاح ولمكافحة الفساد والانحراف والضلال والظلم أسوة بالأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين).

(١) و٢ و٣ - وسائل الشيعة: ١٦ / ١١١ - ١١٨ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باب ١

(أمنٌ يجيب المضطرَّ إذا دعاه ويكشف السوء) النمل/٦٢

كن عند المنكسرة قلوبهم^(١)

روي ان رسول الله (ﷺ) (سئل: أين الله؟ فقال: عند المنكسرة قلوبهم)^(٢) والسؤال فيه تقدير ومعناه أين نجد اللطاف الالهية الخاصة وأين نحظى باقبال الله تعالى وشمولنا بالرحمة والعطاء، والا فان الله تعالى لا يسأل عنه بأين، قال تعالى (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) (الحديد:٤).

فاذا وجدت قلباً منكسراً فاعلم انه مظنة لنيل رضا الله تعالى.
ولانكسار القلب أسباب عديدة وتبعاً لذلك تكون عدة اشكال للكون مع المنكسرة قلوبهم.

فقد ينكسر قلب الانسان عندما يُظلم ويعتدى عليه ولا يستطيع استنقاذ حقه ودفع الظلم والعدوان عنه، ويكون حينئذٍ معنى الكون معه: السعي لرفع الظلم عنه واسترجاع حقه، وأول مخاطب بذلك الظالم نفسه فعليه ان يعوضه ويؤدي اليه حقه، وفي الحديث الشريف (من كسر مؤمناً فعليه جبره)^(٣).

وقد ينكسر القلب بسبب كثرة الهموم والابتلاءات، روي عن رسول الله

(١) القيت يوم الخميس ١١ رجب ١٤٣٩ المصادف ٢٩ / ٣ / ٢٠١٨

(٢) بحار الانوار: ٧٣ / ١٥٧ ح ٣ عن دعوات الراوندي: ١٢٠ . رقم ٢٨٠ - ٢٨٢

(٣) الكافي ط الإسلامية: ٤٥/٢

(صلى الله عليه) قوله (انه ليأتي على الرجل منكم زمان لا يكتب عليه سيئة وذلك انه مبتلى بهم المعاش، وقال ان الله يحب كل قلب حزين)^(١) فمن سعى في مساعدة هؤلاء وقضاء حوائجهم فليستثمر مثل هذه الحالة للدعاء والطلب.

وقد ينكسر نداماً لما صدر منه من المعاصي والذنوب وفي رتبة أعلى من ذلك ينكسر قلبه للتقصير في أداء حق الله تعالى عليه وعدم الاستفادة من كل لحظة في طاعة الله تعالى، وفي دعاء أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي رواه كميل (وقد اتيتك يا الهي بعد تقصيري واسرافي على نفسي معذراً نادماً منكسراً).

وقد ينكسر القلب من خوف الله تعالى وخشيته كما في قول أمير المؤمنين (عليه السلام) (ان لله عبادةً كسرت قلوبهم خشيته)^(٢)، فاذا طبقنا الحديث السابق (من كسر مؤمناً فعليه جبره) فان مثل هؤلاء يتكفل الله تعالى بجبر قلوبهم المنكسرة بعبائهم المهنة الذي ماله من نفاذ وطوبى لهم وحسن مآب وفي مناجاة المفتقرين للإمام السجاد (عليه السلام) (إلهي كسري لا يجبره الا لطفك وحنانك).

ان هذا القلب الذي تكون له هذه الحالة المحمودة - انكسار القلب - يمكن ان يتحول إلى الضد اذا أصيب الانسان بالغفلة أو تغلب عليه هواه وطمعه وحبّه للدنيا وانقاد لشهواته، في امالي الصدوق عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (كان ابي يقول: ما من شيء افسد للقلب من الخطيئة، ان القلب ليوافق الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير اسفله أعلاه واعلاه اسفله)^(٣) وروي عن النبي

(١) بحار الانوار: ١٥٧/٧٣ ح ٣

(٢) تحف العقول: ٢٨٩ في وصية امام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم

(٣) سفينة البحار: ٣٤٠ / ٧

كن عند المنكسرة قلوبهم..... (٢٧٥)

(صلى الله عليه وآله) انه قال (ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله سبحانه خنس وان نسيه التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس)^(١).
فاذن عندنا فرصة عظيمة للطاعة ونيل رضا الله تبارك وتعالى بأن نكون مع المنكسرة قلوبهم بالاشكال المتعددة التي ذكرناها، وقد اجتمعت كل هذه الأسباب يوم عاشوراء في قلب الإمام ابي عبدالله الحسين (عليه السلام) واخته العقيلة زينب (سلام الله عليها) فالظلم والعدوان الذي تعرض له الإمام (عليه السلام) لا نظير له، والهجم والابتلاء الذي حلَّ به (عليه السلام) كان في أشدِّ حالاته، وتعلَّق قلبه بالله تعالى وانكساره من خشيته كان في ذروته فكانوا سلام الله عليهم أبواب الله التي منها يؤتى، فله الحمد على هدايته لولايتهم.

(ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة)^(١)

(الأنعام/٩٤)

قال تعالى في سورة الأنعام (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) (الأنعام/٩٤).

سورة الأنعام: من السور المكية وهي سورة جليلة غنية بالمعارف الالهية الموصلة الى الحقيقة التي خلقنا من أجلها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] وفسرها الامام (عليه السلام) بقوله (ليعرفون).

فتحدثت السورة عن محورية التوحيد وتذكر الادلة عليه وتحتج على المشركين وتبطل عقائدهم وتشرح حقائق المبدأ والمعاد. وقد وردت في فضلها أحاديث كثيرة^(٢)، منها ما رواه الشيخ الكليني (قده) في الكافي بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (إن سورة الأنعام نزلت جملة، شيعها سبعون الف ملك حتى انزلت على محمد (صلى الله عليه وآله) فعظموها وبجلوها، فان اسم الله عز وجل فيها في سبعين موضعاً، ولو يعلم الناس ما في قراءتها ما تركوها).

(١) كلمة القيت يوم الاحد ٢٧/ربيع ١٤٣٧/٢ الموافق ٢٠١٦/٢/٧

(٢) راجع البرهان في تفسير القرآن: ٣١٠/٣.

(وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ).....(٢٧٧)

وفي كتاب المصباح للكفعمي عن النبي (ﷺ) (من قرأها من أولها الى قوله (تكسيون) - نهاية الآية الثالثة - وكلّ الله به اربعين الف ملك، يكتبون له مثل عبادتهم الى يوم القيامة) وغيرها من الأحاديث الكثيرة في آثار السورة المعنوية والمادية في سعة الرزق وشفاء الامراض والنجاة من النار.

(وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا) تأكيد بعد تأكيد باللام (وقد) واستعمال الفعل الماضي لبيان حقيقة يفترض أنها مستقبلية إلا ان الحديث عنها بالماضي لتأكيد حصولها وكأنها أمر واقع مفروغ منه (جِئْتُمُونَا) أي عدتم الينا بعد أن أخذتم فرصتكم في العمل والحياة بحرية في الدنيا وكلنا عائدون الى الله تعالى (إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعَىٰ) (العلق/٨) (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (البقرة/١٥٦)، والخطاب من الله تبارك وتعالى الى عباده مباشرة عند الموت حيث ينتقل الانسان من عالم التكليف الى عالم الجزاء او عند البعث يوم القيامة وقد يكون الخطاب من الملائكة الى الناس عند قبض ارواحهم مؤدين عن الله تعالى.

(فُرَادَى) أي وحداناً مجردين عن كل شيء مما كان لكم في الدنيا فلم تصحبوا معكم القوة البدنية ولا المال ولا الاولاد ولا الشهادات ولا العناوين ولا المناصب ولا الجند والاعوان والسلاح وكل أسباب القوة مما كنتم تتباهون وتتبحجون به في الدنيا فلم يبق منها شيء يصحبكم الى ما بعد الموت.

(كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) كما كنتم فرادى مجردين من كل شيء حينما خلقناكم في بطون امهاتكم مع فرق انكم حينما خلقتكم كان لكم أبوان يتوليان رعايتكم أما في الاخرة فتواجهون مصيركم وحياتكم بمفردكم.

(وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ) خلفتم وراء ظهوركم ما خولناكم التصرف به في الدنيا مما ذكرنا آنفاً حيث كنتم تتوهمون أنكم تملكون شيئاً وفي الحقيقة فإنكم لا تملكون شيئاً وإنما الملك الحقيقي لله تبارك وتعالى وقد خولكم وأوكل اليكم التصرف في بعض ما أعطاكم في الدنيا من اموال وغيرها وقد رسم منهجاً وصلاحيات للعمل وفق هذا التخويل فمنكم من التزم بحدود التخويل ومنكم من خالف وبدرجات متفاوتة للفريقين وبالموت انتهى هذا التخويل فعادت الأمانة الى اهلها ولم تأخذوا معكم إلا اعمالكم الصالحة او السيئة ولم يبق لكم إلا كيفية تصرفكم في ما خولكم الله تعالى. فإن كان صالحاً أنتفعتم به نفعاً حقيقياً، وإن كان التصرف سيئاً بقيت تبعاته وآثامه وانتقلت الأموال والعقارات وغيرها الى الورثة فينطبق عليهم ما ورد في الدعاء (إِلَهِي ذَهَبَتْ أَيَّامٌ لِدَاتِي وَبَقِيَتْ مَا آتَيْتَنِي وَتَبِعَاتِي)^(١). اما المؤمنون المطيعون فينطبق عليهم (ذهب العناء وثبت الاجر بفضل الله تعالى)

ولاحظ هنا المقابلة بين هذه الآية وقوله تعالى (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ) (البقرة/١١٠) فعبر عن الاعمال الصالحة وحسن التصرف بما خوله الله تعالى بالتقديم لأنه يقدمه امامه ويتزود به ليوم الحساب (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (البقرة/١٩٧) فهو يعمر به آخرته التي يتحول اليها، فهؤلاء لا يأتون فرادى، قال تعالى (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ

(١) ملحق الباقيات الصالحات في كتاب مفاتيح الجنان وهو دعاء شريف يدعى به في صلاة الوتر.

(وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)..... (٢٧٩)

إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (الشعراء/٨٨-٨٩) أما من أساء التصرف فيما خوله الله فقد وصفه بأنه تركه وخلفه وراء ظهره لأنه بعثه في دار الدنيا ولم يستفد منه في الآخرة وإنما سبب له العقاب والعذاب فهذه الآية خطاب للفاستقين والكفار والمنافقين.

(وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمْ) كانت لكم في الدنيا زعامات وقيادات وآلهة صنعتها أوهامكم واهواءكم وتعصباتكم وخدعكم بها تطيعونها وتضحون من أجلها من دون أن تفكروا في كونها مع الحق أو غير ذلك وهل في اتباعكم لها رضا الله سبحانه أم لا، لكنها اليوم ليست معكم (الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ) وهي لا تستحق أن تطاع أو تتبع لأنها مزيفة صنعها الاعلام او المال او المكر والخداع أو سدنة المعابد المستفيدون منها فقد كنتم تظنون انها ستشفع لكم وتنصركم وتنجيكم ولكن خابت ظنونكم.

(لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) فانقطعت تلك العلائق والمودة والالفة والواصر القوية بينكم وظهر عجزكم عن نصره بعضكم البعض وانفرط العقد الاجتماعي الذي بينكم لأنه ليس مبنياً على أساس صحيح ورجعتم اليها وحداناً.

(وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) ضاعت أحلامكم وأمانيتكم وعقائدكم الفاسدة وتبين أن الاسباب التي كنتم تتوسلون بها وتعتمدون عليها وتظنون أنها تدبر أموركم وتقضي حوائجكم سراب وخيال سواء كانت آلهة وأصنام من الحجارة والخشب أو رموز بشرية من زعامات دينية أو سياسية أو اجتماعية أو فكرية أو أهواء اتخذتموها الهة تطيعونها وتعبدوها من دون الرجوع الى حكم

الله تعالى وشريعته، وضيّعتم أنفسكم وصارت عاقبتكم الخسران وظهر أمامكم ان الحق هو ما أخبركم الله تعالى به .

هذه الصورة التي تعرضها الآية لمشهد من مشاهد الآخرة اريد منها إيقاظ الانسان من غفلته حتى يحسب الامور بدقة (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) (الحشر/١٨) قبل ان تصحو على هذه الحقيقة ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق : ٢٢] وكان عليك قبل الان في الحياة الدنيا ان يكون بصرك حديداً وتدرک هذه الحقائق لتتدارك نفسك وتصلح حالك، اما انكشاف الحقيقة بعد الموت فانه بعد فوات الاوان على النفس ولا ينفعها الندم والحسرة.

ففي الآية موعظة وإرشاد الى اختيار القيادة الحقة التي توصلك الى الله تعالى وتدعوك الى التمسك بمنهج النبي محمد وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) والى صرف الجهود في إكتساب ما ينفع يوم القيامة ويحقق الفوز والفلاح وعدم تضييع العمر في تحصيل الأمور التي لا قيمة لها في الآخرة (وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا) (الفرقان/٢٣) .

ايها الشباب أنكم في بداية طريق المسؤولية وتحمل التكليف الإلهية فالتفتوا الى هذه الحقيقة وابنوا مستقبلكم على أسس صحيحة .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ)^(١)

(فاطر ٥/)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّبَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّبَكُمُ بِاللَّهِ
الْغُرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ
أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (فاطر ٥/٦).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ) نداء لكل البشر وليس فقط الكافرين او الفاسقين او
الذين اسلموا او الذين امنوا لان الناس كلهم معنيون بهذا النداء ومن المتعارف
ان من يصيح يا أيها الناس فان الناس يلتفتون اليه ويصغون لما يقول لان مثل
هذا النداء يتبعه امر مهم او تحذير من شيء خطير او نحو ذلك، فكيف اذا كان
المنادي رب العزة والجلال على لسان مئة وأربعة وعشرين الف نبي ومرسل .

(إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) هذه هي القضية المنادية بها وقد تكرر ذكرها في
غير موضع من كتاب الله كقوله تعالى (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّبَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّبَكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (لقمان ٣٣/٣٣) وحاصلها ان ما وعدكم الله به من انتهاء
حياتكم الدنيا بالموت و وجود حياة بعد الموت يكافأ فيها المحسن على أساس
احسانه ويعاقب المسيء على اساءته ولكل من المثوبة والعقوبة درجات
ودركات، كله حق لا بد ان يقع والا كان ظلماً (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) (آل

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الفطر عام ١٤٣٧ هـ الموافق ٢٠١٦/٧/٦.

عمران/١٨٢) لانه يعني مساواة الظالم والمظلوم والجلاد والضحية والمسيء والمحسن وهذا باطل وخلاف الحكمة والعدالة (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران / ١٩١) (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) (الأنبياء / ١٦) .

وهذا الاعلان عن الوعد الحق فيه تحذير للعاصين والظالمين حتى يرتدعوا، وفيه تطمين المظلوم والمحروم بانه سيأتي اليوم الذي يعوضه الله تعالى فيه ويرد اليه الحق فيستقر ويهدأ .

ومادام الموت حق ومنكر ونكير حقاً والنشور حقاً والحساب حقاً والجنة والنار حقاً وكل ما اخبر به الأنبياء والرسل، اذن (فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) فلا تخدعكم الدنيا بزينتها ومظاهرها الخلافة من مال وبنين وعشيرة وجاه وزعامة ومواقع في السلطة واي شيء اخر فأنها كلها تزول لذتها وتبقى تبعثها فالمظاهر الدنيوية التي تبعدكم عن الله تعالى عدو لكم فاحذروها وعليكم ان توظفوا ما خولكم الله تعالى به من أمور الدنيا للفوز بالأخرة واكتساب الجنان (الدنيا مزرعة الاخرة)^(١) .

(وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وهذا هو العدو الآخر، أنه الشيطان (الْغُرُورُ) وهي صفة مشبهة او صيغة مبالغة من الغرور أي إن التغيرير بالآخرين صفته اللازمة لذاته ووظيفته التي لا يتوقف عنها، ويواجه الانسان مع هذين العدوین العدو الأول والاكبر وهي النفس الامارة بالسوء الميالة الى اللهو واللعب وارتكاب

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ).....(٢٨٣)

المعاصي والمليئة بالشهوات والغرائز النهمة التي لا تشبع في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)^(١)، وكل ما يقوم به العدوان الاخران (الشیطان والدنيا) هو استشارة هذه الشهوات والغرائز وتزيينها والتعمية على العقل والفطرة بالخداع والتغيير وخلط الأوراق وتشبيه الباطل بالحق ونحو ذلك، أي انها كالعامل المساعد في علم الكيمياء الذي يساعد على التفاعل ويسرعه كوجود النفط او البنزين على الخشبة المحترقة ((وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَوَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ)) (إبراهيم/٢٢).

وتغريب الشيطان يكون من طريقين:

١- تزيين مشتبهات النفس واهوائها كالشهوة والغضب والعصية والحسد وغيرها وكذلك تزيين زخارف الدنيا وبها رجها بغض النظر عن موافقتها لما يرضي الله تبارك وتعالى وعدمها.

٢- الاغترار بحلم الله تعالى وطول اناته عن الظالمين وعفوه وكرمه فيدعوه ذلك الى تسويف التوبة والتمادي والاستمرار على المعصية، والا ما الذي يدعو العاصي الى ارتكاب المعاصي وهو يعلم انها معصية وفيها غضب الله تبارك وتعالى وسوء العاقبة في الدنيا والاخرة لولا هذا الاغترار وفي دعاء ابي حمزة الثمالي عن الامام السجاد (إِلَهِي لَمْ أَغْصِكَ حِينَ عَصَيْتُكَ وَأَنَا بِرُبُوبِيَّتِكَ جَاوِدٌ

(١) المجلسي - محمد باقر - بحار الأنوار - مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة - ج ٦٧ ص ٣٦.

وَلَا بِأَمْرِكَ مُسْتَخْفٍ وَلَا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ وَلَا لِعِيدِكَ مُتَهَاوِنٌ، لَكِنَّ خَطِيئَةَ
عَرَضَتْ وَسَوَّلَتْ لِي نَفْسِي وَعَلَّنِي هَوَايَ وَأَعَانِي عَلَيْهَا شِقْوَتِي وَعَرَّتِي سِتْرَكَ
الْمُرْخَى عَلَيَّ^(١) وقد يستغل الشيطان حالة الاستدراج والاغراق بالنعمة التي
يملي بها الله تعالى العاصين ليوهمه بأنه على صواب وان الخير كل الخير هو في
الاستمرار على هذا المنهج الذي هو باطل ومنحرف، مادام يجلب له هذه
السعادة الموهومة فيستمر على عصيانه ويتسافل اكثر في جهنم.

وتعلل الآية التالية هذا الفعل من الشيطان وسببه (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ) وقد
أعلن هذا العداء منذ بدأ الخليقة حينما لعن وطرد من زمرة الملائكة عقب
استكباره عن السجود لآدم، وقد شهر سلاحه ونصب فخوخه لكم بجميع
الاتجاهات (قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَنبِتَهُمْ مِنْ
بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)
(الأعراف/١٦-١٧).

فعداؤه لكم دائم ودائب من حيث تتوقعون ومن حيث لا تتوقعون (إِنَّهُ
يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)
(الأعراف/٢٧) وهذا الخفاء يعقد المواجهة ويصعبها، تصوروا ان واحد من
فخوخه وخذعه وهو الشرك الخفي كالرياء يوصف خفاؤه في باطن الانسان في
الحديث النبوي الشريف (ان الشرك اخفى من ديب النمل على صفاة- أي

(١) دعاء أبي حمزة الثمالي للإمام علي ابن الحسين زين العابدين.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ)..... (٢٨٥)

صخرة- سوداء في ليلة مظلمة)^(١) أذن كيف يمكن معرفة كل فخوخه وخدعه لولا لطف الله تعالى .

وامام هذا الهجوم الشرس والمستمر بكل الوسائل والخدع والمكائد فعليكم ان تقابلوه بالمثل (فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) وليس من العقل والحكمة أن تغفلوا عنه وتتسامحوا مع خططه وأساليبه فضلاً عن اتباعه والانسياق وراء تسويلاته وتزيينه (أَفَتَسَخِّدُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) (الكهف/٥٠) ولعله اليوم أكثر خبرة وتقنية مما سبق وقد استطاع في أول محاولة مخادعة آدم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ) (الأعراف/٢٢) فكيف اليوم وقد كثرت أدواته وتفنن فيها شياطين الانس والجن (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ* وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ* وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) (يس/٦٠-٦٢)

وهذا الشيطان لا يرضى من الناس إلا ان يرميهم في السعير (إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ) (فاطر/٦) واتباعه والحزب الجماعة الذين يوحدهم هدف معين ولهم تأثير وفاعلية (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) كما ان شياطين الانس ودوائر الاستكبار والماسونية لا ترضى من الناس الا ان ينحطوا الى اخس درجات الهمجية التي تترفع حتى الوحوش عن ممارستها بحيث يُسنُّ الشذوذ الجنسي المسمى بزواج المثليين بقانون رسمي تُباركه الحكومات التي تدعي التحضّر .
اما سلاح الانسان في هذه المواجهة الشرسة والمعقدة والمفتوحة على

(١) بحار الانوار: ٩٣/٧٢ ح ٢.

جميع الاتجاهات فانه أولاً بالتوكل على الله تعالى وطلب العصمة والتسديد والتأييد ففي دعاء نهار شهر رمضان (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَعَازِنِي فِيهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَهَمَزِهِ وَكَمَزِهِ وَنُفْسِهِ وَتُفْخِهِ وَوَسْوَاسَتِهِ وَتَثْبِيْطِهِ وَبَطْشِهِ وَكَيْدِهِ وَمَكْرِهِ وَحَبَائِلِهِ وَخُدَعِهِ وَأَمَانِيَّتِهِ وَغُرُورِهِ وَفِتْنَتِهِ وَشَرَكَهِ وَأَخْزَابِهِ وَاتِّبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ وَأَوْلِيَاءِهِ وَشُرَكَائِهِ وَجَمِيعِ مَكَائِدِهِ).

وثانياً: الحذر والحيلة والتحفظ والانتباه الى كل اشكال المكر والخداع حتى وإن ألبست ثوب الخير والطاعة والدين والنصيحة، فان الشيطان يأتي لكل فرد أو جماعة من الجهة التي يخدعهم بها فعنده أدوات لعلماء الدين وأخرى للتجار وأخرى للسياسيين وأخرى للزعماء والوجهاء وأخرى للنساء وأخرى للشباب وهكذا مما يتطلب ذكرها الى تفصيل، ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ان من وصايا الله عز وجل الى موسى بن عمران (عليه السلام) التي أوصاها بحفظها (ما دمت لا ترى الشيطان ميتاً فلا تأمن مكره)^(١).

وثالثاً: بعرض من الأمور كلها على ميزان العقل والفطرة والدين واتباع من أمر الله تعالى باتباعه.

كان المرحوم الشيخ جعفر الشوشتری صاحب كتاب الخصائص الحسينية (توفي سنة ١٣٠٣هـ) واعظاً مؤثراً وله منبر وعظ في الصحن الحيدري الشريف يحضر عنده العلماء والفضلاء وعامة الناس، وذات يوم قال للحاضرين بلغني من مخبرين ثقات ان سراقاً تخللوا صفوفكم ليقتنصوا الفرصة ويسرقون ما في

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ).....(٢٨٧)

جيو بكم فأوصيكم بالحذر والانتباه، وهنا هاج الناس ولملموا ثيابهم وصاروا يراقبون كل حركة ولما سکن المجلس قال لهم: ألا تعجبون من غفلتنا وتقصيرنا إذ نهتم كل هذا الاهتمام بدرهم نخشى سرقة وهو متاع زائل ولا نكثر لنداء الله تعالى وانبيائه ورسله بأن الشيطان لكم عدو متربص بكم ويريد أن يسرق منكم دينكم وتقواكم وهو أئمن ما يجب المحافظة عليه لأنه سبب نجاتكم وفوزكم في الآخرة فكيف نغفل عنه وتسقط في تسويلاته.

(فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة)^(١)

(الأنفال/٣٦)

من لا يقدم ما عليه في طاعة الله تعالى يعطي أكثر منه في معصيته
قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ) (الأنفال/٣٦)

وردت الآية في سورة الانفال ضمن سياق الحديث عن معركة بدر
وملابساتها ونتائجها، وتشير الى حماقة وجهل وسوء عاقبة مشركي قريش
الذين كفروا وتمردوا واستكبروا عن الايمان بالله تعالى وطاعته ورفضوا
تكاليفها وأصرروا على عبادة الاصنام ولكنهم أنفقوا اموالاً ضخمةً لتجهيز
المقاتلين^(٢) للقضاء على النبي (ﷺ) وأصحابه المؤمنين وانهاء دعوته
المباركة.

فالأموال التي بخلوا بها ولم ينفقوها في طاعة الله تعالى لم ينتفعوا بها فقد
انفقوها في الصد عن سبيل الله تعالى سواءً بالحرب على المؤمنين او بمنع إقامة
شريعة الله تعالى او بإبعاد الناس عن الدين ونحو ذلك من اشكال الصد عن
سبيل الله تعالى فكانت عليهم حَسْرَةً في الدنيا لأنهم صرفوها في مضرتهم

(١) الخطبة الثانية لصلاة عيد الفطر عام ١٤٣٧ الموافق ٢٠١٦/٧/٦.

(٢) في تفسير البرهان: ١٦٤/٤: (وما بقي من عظام قريش إلا اخرجوا مالاً وحملوا ووقروا).

من لا يقدم ما عليه في طاعة الله تعالى يعطي أكثر منه في معصيته..... (٢٨٩)

وجلب العار لهم او تركوها لذريتهم ولم تنفعهم إذ غلبوا وهزموا ثم الحسرة الأكبر والعاقبة الأفظع في الآخرة حيث يساقون الى جهنم بكل إهانة وتعذيب. وظاهر الآية ان كونهم كافرين يدفعهم الى هذا الفعل وكما قالوا ان تعليق الحكم على الوصف يشعر بالعلية، فان كفرهم هذا سبب وعلّة تدعوهم الى هذا الظلم والفسق ويؤدي بهم الى جهنم التي هي حصاد افعالهم (وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) والحشر لغةً (إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم الى الحرب ونحوها ولا يقال الحشر إلا في الجماعة) كما عن الراغب في المفردات فتجمّعهم في الدنيا ضد الحق وأهله وخروجهم حاشرين لمحاربة الله ورسوله تجسّم بخروجهم حاشرين الى جهنم افعالهم يوم القيامة.

فالآية تكشف عن حقيقة مهمة في حياتنا لو التفتنا اليها بعمق ووعي لأثرت في توجيه الناس نحو الصلاح وخلاصتها ان من يمتنع عن بذل ما يتطلبه الايمان وطاعة الله تعالى فإنه سيضطر الى ان يعطي أزيد من ذلك راغماً في معصية الله تعالى فتجتمع عليه الحسرة والعقوبة لكن هذه الحسرة لا قيمة لها ولا ثمرة فيها لأنها جاءت في غير وقت العمل والتدارك.

هذه الحقيقة القرآنية لا تختص بالكافرين، فقد يبخل المتدين الذي يصلي ويصوم لكنه لا يدفع الحقوق الشرعية فيبتلى بصرف ماله في أمور عبثية أو لهوية أو كمالية او ربما محرمة فتكون الحسرة عليه مضاعفة لتقصيره في إداء الواجب عليه من جهة ولإنفاق المال في ما يوجب له حسرة وعقوبة بالنار من جهة أخرى عن الصادق (عليه السلام) قال: ما من رجل يمنع درهماً في حقه إلا

أنفق اثنين في غير حقه، وما من رجل يمنع حقاً في ماله إلا طوّقه الله به حية من نار يوم القيامة^(١)، وعنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (من منع حقاً لله عز وجل أنفق في باطل مثليه)^(٢)..

او انه يتركه لورثته فيكون سبباً لحسرتة على نحو اخر، روي عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في تفسير قوله عز وجل [كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ] [البقرة: ١٦٧]، قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة الله عز وجل بخلاً ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله أو بمعصية الله، فإن عمل فيه بطاعة الله رآه في ميزان غيره فرآه حسرةً وقد كان المال له، وإن كان عمل به في معصية الله قوّاه بذلك المال حتى عمل به في معصية الله عز وجل)^(٣).

وقد وصف أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مثل هذا الرجل بقوله: (إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل جمع مالا بمعصية الله فمات فورثه رجل دخل به الجنة)^(٤).

ويُنْفِقُ مِنْ بَعْضِ الرُّوَايَاتِ أَنْ مَا يُتَعَرَّضُ لَهُ الْمَالُ أَحْيَانًا مِنْ سَرَقَةٍ أَوْ تَلْفٍ أَمَّا هُوَ بِسَبَبِ عَدَمِ إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ وَالْخُمْسِ وَنَحْوَهُمَا مِنَ الْحَقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ، وَوَرَدَ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَوْلُهُ (قَدْ يَبْتَلِي اللَّهُ الْمُؤْمِنَ بِالْبَلِيَّةِ فِي بَدَنِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ أَهْلِهِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو

(١) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه الزكاة، باب ٦ ح ١.

(٢) نفس الباب، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه، باب ٥ ح ٥.

(٤) نهج البلاغة، باب الحكيم، رقم ٤٢٩.

من لا يقدم ما عليه في طاعة الله تعالى يعطي أكثر منه في معصيته..... (٢٩١)

عَنْ كَثِيرٍ^(١) (الشورى / ٣٠).

كما لا تختص هذه الحقيقة بالأموال وإنما تتعدها الى ما تتطلبه طاعة الله تعالى من أصغر شيء كالتكاسل عن أداء عمل عبادي معين او حضور في مجلس ذكر أهل البيت (عليه السلام) او السعي لقضاء حاجة مؤمن فانه يتلى بامضاء ذلك الوقت والجهد في غير طاعة الله تعالى في أمور عبثية ومُضيعة للوقت او ما هو أسوء من ذلك فتجتمع عليه الحسرة في الدنيا لإضاعته فرصة الهداية واكتساب الجنان المتاحة لهم والندامة والعقوبة في الآخرة، وهكذا في كل أمر راجح شرعاً او عقلاً، خذ مثلاً بعض الأمهات يتشاغلن عن ارضاع اولادهن الصغار تكاسلاً او حفاظاً على رشاقتها ونحو ذلك وتعطيه حليباً صناعياً فيبتلى الطفل بآثار سلبية كالمغص ونحو ذلك ما تمنى معه الام لو ارضعت طفلها وارتاحت من هذا البلاء.

وتمتد تطبيقات هذه الحقيقة الى كل المستويات فعلى صعيد الزعامات والقيادات المتبعة رأينا كثيراً من الناس يتبعون قيادات ما انزل الله بها من سلطان وربما تصل الى مستوى اتباع يزيد والمقبور صدام وأمثالهما من أجل فتات دنيا زائلة وتترك طاعة الله ورسوله والحجج المعبرة والنتيجة خسران الدنيا والآخرة قال تعالى (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَنَا كَرِهًا فَنَتَّبِعُوا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَلِكَ

(١) تفسير القمي: ٢ / ٢٧٦.

يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) (البقرة/١٦٥-١٦٧) فالآية تقول: ليت هؤلاء الذين ظلموا انفسهم ولم يتبعوا الحق وظلموا الحق نفسه إذ خذلوه ولم ينصروه يرون عاقبتهم السيئة والمؤلمة حين يجتمع الاتباع مع القادة الظالمين يوم القيامة حيث يتبرأ هؤلاء القادة من اتباعهم وتنقطع بينهم الاواصر والعلاقات ولا يجدون عندهم نفعاً ولا يدفعون عن انفسهم عذاب جهنم وكل عذاب فضلاً عن اتباعهم فيكتشف الاتباع عجز قادتهم وزعاماتهم وضلالهم وستصيبهم حسرةٌ بسبب اتباعهم وطاعتهم لقادة مزيفين وسيأتكدون من حقانية ما كان يقوله الله تعالى ورسوله (أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) ولم يكن لهم إلا تمني العودة الى دار الدنيا للعمل بما اكتشفوه من الحقيقة (لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا) (البقرة/١٦٧) لكنه تمني باطل لا يتحقق لانهم أعطوا الفرصة الكافية في الدنيا وقد كانت هذه الحقيقة ماثلة امامهم بما اخبر به الله تعالى ورسله لكنهم حجبوا بصائرهم عن رؤيتها بغفلتهم وجهلهم واتباع شهواتهم وتضليل شياطين الانس والجن، ومع ذلك فهم غير صادقين في تمنيههم هذا (وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ) (الأنعام/٢٨).

هذا على صعيد الزعامات والقيادات الباطلة واتباعهم من غير المؤمنين لكن هذه الحقيقة لها مستويات داخل المتدينين ايضاً، فقد يفضل الشخص الرجوع الى الجهة التي تحافظ على راحته ومصالحه وتداهنه او لأنها تعطيه ما يشتهي ويوافق هواه ويدغدغ عواطفه، او لأنها لا تكلفه جهداً أو حركةً، ويترك القيادة الحقبة التي تذكره بالله تعالى وتعمل على إعلاء كلمة الله تعالى وصلاح

من لا يقدم ما عليه في طاعة الله تعالى يعطي أكثر منه في معصيته..... (٢٩٣)

الأمة والارتقاء بها لأنها تتطلب جهاداً للنفس وحركة وعزيمة، ونتيجة اختياره هذا نسيان ربه شيئاً فشيئاً وميله الى الدنيا والانشغالات التافهة ونقصان وعيه ودينه حتى يتحول الى شكليات وطقوس فارغة من المحتوى فتكون حسرة عليهم لانهم لم يستثمروا فرصاً كانت ستكسبهم درجات عالية في الجنة.

وترتقي تطبيقات الآية حتى تصل الى مستوى بذل النفس فإن الأمة لما تخاذلت عن نصره أمير المؤمنين (عليه السلام) وتفاعست عن نصره الامام الحسن (عليه السلام) أبتليت بإمارة معاوية الذي جاء الى الكوفة بعد صلح الامام الحسن (عليه السلام) فخطب في أهلها الذين قاتلوه في صفين وأزهقت أرواح عشرات الألاف من الفريقين فقال في كلامه (والله اني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا، ولا لتحجوا ولا لتزكوا، انكم لتفعلون ذلك، وانما قاتلتكم لأتأمروا عليكم، وقد اعطاني الله ذلك وانتم له كارهون)^(١).

ولما لم تفي الأمة للإمام الحسين (عليه السلام) بوعود النصره وبخلت بالنفوس عليه وانقلبت لتقاتله فكتب عليها الذلة والخنوع وتسلط الأشرار من أمثال يزيد وابن زياد والحجاج وغيرهم من الطواغيت فقتلوا من خيرة ابناءها ما زاد على الثمن الذي كانوا سيدفعونه لو نصرروا الحسين (عليه السلام) وازالوا حكم الطواغيت وتنعموا بعدالة حجة الله تعالى ودولته الكريمة، وقد حذرهم الامام الحسين (عليه السلام) من هذه النتيجة وألقى الحجة عليهم في خطابه يوم عاشوراء وكان مما قاله (عليه السلام) (فأصبحتم إلباً لأعدائكم على اوليائكم بغير عدلٍ أفشوه فيكم ولا

(١) حياة الامام الحسن ٢ / ٢٥٤.

أمل أصبح لكم فيهم، أهؤلاء تعضدون وعنها تتخاذلون؟ ويلكم! أتطلبوني بدم أحد منكم قتلته، أو بمال استملكته، أو بقصاص من جراحات استهلكته^(١).

وقال (عليه السلام) (اما والله لا تلبثون بعدها الا كرىثما يركب الفرس حتى يدور بكم دور الرحي ويقلق بكم قلق المحور)^(٢) اذن لما امتنعوا عن القيام بواجب النصرة للإمام الحق لم يحصلوا على ما أرادوا من الدعة والراحة وسرعان ما دفعوا الثمن الذي حذرهم منه غالباً.

وقال زهير بن القين في خطبته (فأنكم لا تدركون منهما - يزيد وابن زياد - الا بسوء عمر سلطانهما كله ليسملان اعينكم ويقطعان ايديكم وارجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل ويقتلان امثالكم وقراءكم أمثال حجر ابن عدي واصحابه وهاني ابن عروة واشباهه).

لاحظ كيف تحول بخلهم بالتضحية الواجبة في سبيل الله الى نصرة للأشرار وسقوط مريع في تلك الجريمة البشعة والعاقبة المرعبة.

وخذ مثالا نعيشه اليوم وهو التصدي البطولي للمجاهدين والمتطوعين لصد الهجمة الهمجية للدواعش والإرهابيين الذين أعلنوا بصراحة انهم قادمون لنقض العتبات المقدسة في النجف و كربلاء واحتلالها وغرهم سقوط الموصل وتكريت في يومين بأيديهم، فنهض المؤمنون الغيارى في وجوههم واسترجعوا

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٢٥، يتايح المودة للقندوزي: ٣ / ٦٤.

(٢) الصحيح من مقتل سيد الشهداء واصحابه: ٦٥٦، ٦٦٤، ٦٦٥.

من لا يقدم ما عليه في طاعة الله تعالى يعطي أكثر منه في معصيته.....(٢٩٥)

منهم ما اغتصبوه وطهروا الأرض من رجس وجودهم وكلفنا ذلك شهداء كرام وجرحى اعزاء لكن الثمن سيكون اضعافه لو تقاعسنا ولم نقم بهذا الواجب. والآية أيضا بصيغة المضارع الذي يعني استمرارية الحالة أي ان الذين كفروا وأعداء الإسلام من الطواغيت والقوى المستكبرة وذبولهم واتباعهم ومنفذي خططهم سيستمرون في انفاق أموالهم للصد عن سبيل الله بكل الأساليب التي اشرنا لها اختصارا، وشواهدة كثيرة في زماننا لكن النتيجة تكون واحدة دائما وقطعية وهي الخسارة والحسرة ونشاهد هزيمتهم باستمرار بأذن الله تعالى .

كما ان هذه الحقيقة التي استفدناها من الآية جارية مدى الزمان فلا يقصر احد في القيام باي عمل راجح شرعاً او عقلاً وليس فقط فعل الواجبات وترك المعاصي، بل المستحبات أيضا وكل عمل انساني، لأنه ان قصر خسر هذه الفرصة للكمال والسمو والفلاح وسوف لا يحصل على النتيجة التي أرادها بل يقع في عكس ما كان يريد، هذه النتيجة اخبر عنها الامام الحسين (عليه السلام) بقوله: (مَنْ حَاوَلَ أَمْرًا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى كَانَ أَفْوَتَ لِمَا يَرْجُو، وَأَسْرَعَ لِمَجِيءِ مَا يَحْذَرُ)^(١).

وبالعكس فإن من يجاهد نفسه ويتخلى عن مشتيتها وما تمنيه به من السعادة والراحة الموهومة فان الله تعالى يعوّضه عن صبره ومجاهدته بما يُقرّ

(١) الكافي ٢: ٣٧٣ ح ٣، تحف العقول: ١٧٧، بحار الأنوار ٧٨: ١٢٠ ح ١٩ وفيهما اسرع لما يحذر و ٧٣: ٣٩٢ ح ٣، معادن الحكمة ٢: ٤٥ ح ١٠١، وسائل الشيعة ١١: ٤٢١ ح ٣.

عينه حقيقةً وليس زيفاً كالذي ورد في النظر الى المحرمات، روي عن النبي
(ﷺ) وهو يحدث عن ربه (النظرةُ سهمٌ مسمومٌ من سهامِ إبليس، من تركها
من مخافتى أبدلته ايماناً يجدُ حلاوته في قلبه)^(١) فلاحظ التعبير بالابدال الذي
يعني الحقيقة التي ذكرناها .

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (ق/٣٧)،
(وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعْيَتْ) (الحاقة/١٢).

(وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) ^(١) العنكبوت/٤٥

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سادة خلقه أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين
الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد، الله أكبر على ما هدانا،
الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أولانا.
من مستحبات العيد التزيّن، والمعنى المعروف منه هو التزيّن الظاهري الشكلي ولا بأس به، لكن أهل البيت (عليهم السلام) يدلّوننا على المعنى الحقيقي الواعي للتزيّن؛ روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (زَيَّنُوا أعيادكم بالتكبير) وعنه (ﷺ): (زَيَّنُوا العيدين بالتهليل والتكبير والتحميد والتقديس) ^(٢). فذكر الله تعالى زينة العيد وأبرز مظاهره.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (أكثرُوا من التهليل والتكبير فإنه ليس شيء أحبَّ إلى الله من التكبير والتهليل) ^(٣)، ويشرح الإمام (عليه السلام) معنى التكبير في رواية عن أحد أصحابه قال: (قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): أي شيء الله أكبر؟ فقلتُ: الله أكبر من كل شيء، فقال (عليه السلام): فكان ثمَّ شيء فيكون أكبر منه؟

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الأضحى المبارك يوم الجمعة الموافق ٢٦/١٠/٢٠١٢.

(٢) ميزان الحكمة: ٣٢٣/٦، باب ٢٩٦٢.

(٣) ثواب الأعمال: ١٨، باب ثواب لا إله إلا الله، ح ١٣.

فقلت: فما هو؟ فقال: الله أكبر من أن يوصف^(١).

وفي رواية أخرى (قال رجلٌ عنده: الله أكبر، فقال (ﷺ): الله أكبر من أي شيء؟ فقال: من كل شيء، فقال أبو عبد الله (ﷺ): حدّته! فقال الرجل: وكيف أقول؟ فقال (ﷺ): الله أكبر من أن يوصف).

لقد أولى القرآن الكريم قضية (الذكر) أي ذكر الله تعالى اهتماماً بالغاً لأهميتها وعظيم آثارها، حتى أن هذه المفردة ومشتقاتها تكررت في عشرات الآيات، والملاحظ أن ورودها في الآيات المكية حوالي ثلاثة أضعاف الآيات المدنية تقريباً حيث كان القرآن المكي يركّز على بناء عقيدة التوحيد وعلاقة المسلم بالله تعالى ونبذ الشركاء والأنداد وتطهير القلب وتهذيب النفس.

قال تعالى: [وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ] (آل عمران: ٤١) وقال تعالى: [وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ] (الأعراف: ٢٠٥) وقال تعالى: [وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ] (الكهف: ٢٤)، وقال تعالى: [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ] (البقرة: ١٥٢) وقال تعالى: [وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ] (البقرة: ٢٠٣)، وقال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ] (الأحزاب: ٩)، وقال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا] (الأحزاب: ٤١-٤٢)، وقال تعالى: [وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] (الجمعة: ١٠) وقال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ

(١) الحديث والذي يليه في معاني الأخبار: ١١

طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ] (الأعراف : ٢٠١) وقال تعالى:
[الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ] (آل عمران: ١٩١) وقال تعالى:
[الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] (الرعد :
٢٨) وقال تعالى: [إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ]
(العنكبوت: ٤٥) وقال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] (المنافقون : ٩) وقال
تعالى: [وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا] (المزمل: ٨).

وجاءت الأحاديث الشريفة لتؤكد هذه الأهمية، وتدعو المؤمنين إلى ذكر
الله تعالى على كل حال، ففي الخصال عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: قال
رسول الله (ﷺ): يا علي سيد الأعمال ثلاث خصال: إنصافك الناس من نفسك،
ومواساتك الأخ في الله عز وجل، وذكر الله تعالى على كل حال، وروى
الحسن بن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (ﷺ): بادروا إلى رياض الجنة،
فقالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حَلَقُ الذِّكْرِ^(١).

معنى ذكر الله على كل حال:

ونفهم من (على كل حال) عدة مستويات وكلها صحيحة ومستفادة من
الآيات المتقدمة:

١- أي في كل زمان وفي كل آن، كما في الآية (٤١ من آل عمران)
[بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ] و (الآية ٢٠٥ من الأعراف) [بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ] عن أبي جعفر

(١) معاني الأخبار: ٣٢١، أمالي الصدوق: ٢٩٧، المجلس ٥٨، ح ٢.

(عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (مكتوب في التوراة أن موسى سأل ربه فقال: إني أكون في حال أُجَلِّك أن أذكرك فيها، قال: يا موسى اذكرني على كل حال وفي كل أوان)^(١).

٢- أي في كل وضع من أوضاع الإنسان قائماً وقاعداً وعلى جنوبهم كما في (الآية ١٩١ من آل عمران) [قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ]، وعن الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله قائماً كان أو جالساً أو مضطجعاً إن الله تعالى يقول: [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ]).

٣- في كل مكان وموضع كان فيه، عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (إن سمعت الأذان وأنت على الخلاء فقل مثل ما يقول المؤذن ولا تدع ذكر الله عز وجل في تلك الحال لأن ذكر الله حسن على كل حال) ثم ذكر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) المكتوب في التوراة أعلاه، وفي كتاب الخصال في حديث الأربعمئة قال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (اذكروا الله في كل مكان فإنه معكم، وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (أكثروا ذكر الله عز وجل إذا دخلتم الأسواق وعند اشتغال الناس فإنه كفارة للذنوب وزيادة في الحسنات ولا تكتبوا من الغافلين)^(٢).

٤- في كل قضية تعرض لك وكل معاملة وكل قضية، فإن كان فيها رضا لله سبحانه فعلتها، وإلا تركتها، روي عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله: (ألا أحَدِّثُكَ بأشد ما فرض الله عز وجل على خلقه، قلتُ بلى، قال، قال: إنصاف

(١) هذا الحديث وما بعده بحار الأنوار: ١٦٠/٩٣.

(٢) الخصال: ٦١٤/٢، باب الأربعمئة، ح ١٠.

الناس من نفسك مواساتك لأخيك وذكر الله في كل موطن، أما إنني لا أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر - وإن كان هذا من ذاك - ولكن ذكر الله في كل موطن إذا هجمت على طاعته أو معصيته^(١). وفي حديث آخر عنه: (وذكر الله على كل حال فإن عرضت له طاعة لله عمل بها وإن عرضت له معصية تركها)^(٢).

٥- في كل حال من أحوال النفس من الغضب أو الرضا، والفرح أو الحزن، والغم والضيق أو الانشراح والسرور، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن النبي (ﷺ) قال: (يقول الله عز وجل: يا ابن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، ولا أمحك في من أمحك)^(٣). وفي حديث: (إنما المؤمن الذي إذا غضب لم يخرج غضبه من حق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل وإذا قدر لم يأخذ أكثر مما له)^(٤).

٦- أن يُعدَّ لكل حالٍ ذكره الخاص به، فللنعمة ذكر وللمصيبة ذكر وللقتال ذكر وللوضوء ذكر ولتناول الطعام ذكر وللنوم ذكر وللنكاح ذكر وللتخلي ذكر ولركوب السيارة ذكر، وهكذا، وهذا معنى شرحناه مفصلاً في كتاب (شكوى القرآن).

وخلاصة الوجوه أن معنى الذكر الكثير أن يكون الإنسان في جميع أحواله

(١) معاني الأخبار: ١٩٢.

(٢) أمالي الطوسي: ٨٨، المجلس (٣)، ح ١٣٥.

(٣) أمالي الطوسي: ٢٧٩، المجلس (١٠)، ح ٥٣٢.

(٤) الكافي: ١٨٣/٢.

مطيعاً لله تبارك وتعالى، عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) (قال النبي ﷺ): من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قَلَّتْ صلاته وصيامه وتلاوته، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته^(١).

جزاء الذكر وآثاره وفضل مجالس الذكر:

فضل مجالس الذكر: ومنها هذا الجمع المحتشد في صلاة العيد الذي نذكر فيه الله تعالى، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها:-

١- عن النبي (ﷺ) قال: (ما جلس قومٌ يذكرون الله إلا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا فقد بدلتُ سيئاتكم حسناتٍ وغفرت لكم جميعاً، وما قعد عدة من أهل الأرض يذكرون الله إلا قعد معهم عدة من الملائكة).

٢- وروي أن رسول الله (ﷺ) خرج على أصحابه فقال: (ارتعوا في رياض الجنة، قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، اغدوا وروحوا واذكروا، ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل العبدُ الله من نفسه، واعلموا أن خير أعمالكم عند مليككم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله تعالى، فإنه تعالى أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذكرني).

٣- وعن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) (أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين والمقاتل في الفارين نزوله

(١) معاني الأخبار: ٣٩٩.

الجنة^(١) فأكثر اجتماعات الناس تتخللها أحاديث فارغة لا جدوى منها، وقد تتضمن محرمات، فمن يلتفت حينئذٍ إلى ذكر الله تعالى يكون من أهل هذا الحديث.

٤- وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (البيت الذي يُقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض) ولتلافي الغفلة التي تحصل في بعض المجالس والأحاديث، فقد ورد استحباب أن يقول الشخص عند قيامه من المجلس: [سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ].

جزء الذكر وآثاره:

إن التوفيق لذكر الله تعالى من أعظم النعم على العبد، من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام): (إلهي لولا الواجب من قبول أمرك لنزّهتك عن ذكري إياك، على أن ذكري لك بقدري لا بقدرك، وما عسى أن يبلغ مقداري حتى أجعل محلاً لتقديسك، ومن أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا) إلى أن يقول (عليه السلام): (وقلتَ وقولك الحق: [فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ] فأمرتنا بذكرك ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشریفاً لنا وتفخيماً وإعظماً، وها نحن ذاكروك كما أمرتنا، فأنجز لنا ما وعدتنا، يا ذاكر الذاكرين)^(٢).

(١) المحاسن: ١١٠/١، ح ٩٩.

(٢) مفاتيح الجنان: ٢٠٦، المناجاة (١٣) مناجاة الذاكرين.

ومما ورد في كتاب الله تعالى من ثمرات الذكر وآثاره:

١- ذكر الله سبب لطمأنينة القلب وما أعظمها من نتيجة، قال تعالى: [الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] (الرعد: ٢٨)، ومن آثار الطمأنينة الأنس، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ذكر الله ينير البصائر ويؤنس الضمائر) وعنه (عليه السلام): (ذاكر الله مؤانسه) وعنه (عليه السلام): (إذا رأيت الله سبحانه يؤنسك بذكره فقد أحبك، وإذا رأيت الله يؤنسك بخلقه ويوحشك من ذكره فقد أبغضك).

٢- أنه سبب ليقظة القلب من غفلته، وحياته بعد قسوته، قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ] (الأعراف: ٢٠١)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (من ذكر الله استبصر) وعنه (عليه السلام): (من كثر ذكره استنار لبه) وعنه (عليه السلام): (دوام الذكر ينير القلب والفكر).

٣- إن الله تعالى يذكر من ذكره، قال تعالى: [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون] (البقرة: ١٥٢)، وفي عدة الداعي: (يعني اذكروني بالطاعة والعبادة اذكركم بالنعمة والإحسان والرحمة والرضوان، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال الله تعالى: يا ابن آدم اذكروني في نفسك اذكرك في نفسي، ابن آدم اذكروني في نفسك اذكرك في نفسي، ابن آدم اذكروني في خلاء، ابن آدم اذكروني في ملاء اذكرك في ملاء خير من ملاءك، وقال: ما من عبد يذكر الله في ملاء من الناس إلا ذكره الله في ملاء من

الملائكة^(١).

٤- إن الذكر سبيل موصل إلى الله تعالى، قال تعالى: [إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا] (المزمل : ١٩) (الإنسان: ٢٩)
أما الأحاديث الشريفة فقد ورد فيها الشيء الكثير:-

١- إن الذكر يوجب محبة الله تعالى للذاكر، عن النبي (ﷺ) أنه قال: (يا ربّ وددتُ أن أعلم من تحبُّ من عبادك فأحبُّه، فقال: إذا رأيت عبدي يكثر ذكرني فأنا أذنت له في ذلك وأنا أحبُّه، وإذا رأيت عبدي لا يذكرني فأنا حجبته وأنا أبغضته)، وعن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) قال: (قال رسول الله (ﷺ) من أكثر ذكر الله أحبُّه).

٢- وأن الله تعالى يتولى أمر الذاكر وجميع شؤون حياته في دنياه وآخرته، فكم يكون الإنسان سعيداً حينما يتولى شؤونه محبُّ له شفيق عليه حكيم بأفعاله عالم بكل شيء إلى غيرها من الأسماء الحسنى، ففي بعض الأحاديث القدسية قال الله تعالى: (أَيُّمَا عَبْدٍ اطَّلَعْتُ عَلَىٰ قَلْبِهِ فَرَأَيْتُ الْغَالِبَ عَلَيْهِ التَّمَسُّكَ بِذِكْرِي تَوَلَّيْتُ سِيَاسَتَهُ وَكُنْتُ جَلِيسَهُ وَمَحَادَثَهُ وَأَنِيسَهُ)، وعن النبي (ﷺ) قال: (قال الله سبحانه إذا علمت أن الغالب على عبدي الاشتغال بي نقلتُ شهوته في مسألتني ومناجاتي، فإذا كان عبدي كذلك فأراد أن يسهو حلتُ بينه وبين أن يسهو، أولئك أوليائي حقاً، أولئك الأبطال حقاً، أولئك الذين إذا أردتُ

(١) أكثر الأحاديث المذكورة نقلناها عن مصادرها بواسطة: بحار الأنوار: ١٧٥-١٤٨/٩٣، وميزان

أن أهلك أهل الأرض عقوبةً زيتها عنهم من أجل أولئك الأبطال)، وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (إن الله تبارك وتعالى يقول: من شغل بذكري عن مسألتني أعطيته أفضل ما أعطي من سألني)، وروي فيما ناجى به موسى (عليه السلام) ربّه عز وجل: (إلهي ما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه؟ قال: يا موسى أظله بظل عرشي وأجعله في كنفي)^(١).

٣- أنه يوجب الثواب العظيم فعنهم (سلام الله عليهم): (إن في الجنة قيعاناً فإذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار فربما وقف بعض الملائكة فيقال له: لم وقفت؟ فيقول: إن صاحبي قد فتر، يعني عن الذكر)^(٢). وعن أحد الإمامين الصادقين (عليهما السلام) قال: (لا يكتب الملك إلا ما أسمع نفسه وقال الله: [وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً] قال: لا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس العبد لعظمته إلا الله)^(٣).

٤- الذكر الطيب، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (من اشتغل بذكر الله طيب الله ذكره)، ومن وصية النبي (ﷺ) لأبي ذر قال: (عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً فإنه ذكر لك في السماء ونورٌ لك في الأرض)^(٤).

٥- يقيه الكثير من الحوادث، عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الصاعقة لا

(١) أمالي الصدوق: ١٧٣، المجلس (٣٧) ح ٨

(٢) بحار الأنوار: ١٦٢/٩٣-١٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ١٥٩/٩٣، ح ٣٦.

(٤) معاني الأخبار: ٣٣٤، الخصال: ٥٢٥/٢، أبواب العشرين وما فوقه، ح ١٣.

تصيب ذاكراً لله عز وجل^(١).

٦- في الذكر إعمار القلب وصلاحه وهذا القلب هو الذي ينجو صاحبه يوم القيامة، من وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام): (أوصيك بتقوى الله أي بُني، ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره) وعنه (عليه السلام): (وأصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله) وعنه (عليه السلام): (مداومة الذكر قوت الأرواح ومفتاح الصلاح) وعنه (عليه السلام): (من عمر قلبه بدوام الذكر حسنت أفعاله في السر والجهر).

٧- وبالذكر تحيي القلوب، روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (بذكر الله تحيي القلوب، وينسيانه موتها)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (اذكروا الله ذكراً خالصاً تحيوا به أفضل الحياة وتسلكوا به طرق النجاة) وعنه (عليه السلام): (من ذكر الله سبحانه أحى الله قلبه ونور عقله ولبّه).

٨- وبه شفاء القلوب، قال رسول الله (ﷺ): (ذكر الله شفاء القلوب)، وعنه (ﷺ): (عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء)، وفي دعاء كميل: (يا من اسمه دواء وذكره شفاء).

٩- بالذكر يطرد الشيطان، عن رسول الله (ﷺ) قال: (إن الشيطان واضع خطمه -أي فمه- على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله سبحانه خنس، وإذا نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ذكر الله مطردة الشيطان) وعنه (عليه السلام): (ذكر الله رأس مال كل مؤمن، وربحه السلامة

(١) أمالي الصدوق: ٣٧٥، المجلس (٧١) ح ٣.

من الشيطان).

١٠- وأن في الذكر أماناً من النفاق، عن رسول الله (ﷺ): (من أكثر من ذكر الله فقد برئ من النفاق).

ولأمير المؤمنين (عليه السلام) خطبة جامعة في فضل الذكر والذاكرين قالها عند تلاوته (عليه السلام) قوله تعالى: [رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ] قال (عليه السلام): (إن الله سبحانه جعل الذكر جلاءً للقلوب، تسمع به بعد الوقرة، وتُبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة، وما برح الله عزت آلاؤه في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات، عباداً ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة، يذكرون بأيام الله، ويخوفون مقامه، بمنزلة الأدلة في الفلوات، من أخذ القصد حمدوا إليه طريقه، وبشروه بالنجاة. ومن أخذ يميناً وشمالاً ذموا إليه الطريق وخذروه من الهلكة. وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات وأدلة تلك الشبهات. وإن للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه، يقطعون به أيام الحياة ويهتفون بالزواج عن محارم الله في أسماع الغافلين)^(١).

من مصاديق الذكر الكثير:

١- تسبيح الزهراء (عليها السلام) عقب كل فريضة، عن الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث يقول في آخره: (تسبيح فاطمة من الذكر الكثير الذي قاله عز وجل:

(١) نهج البلاغة: ج ٢ ص ٢١١، الخطبة: ٢٢٢.

[فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ] ^(١) وفي رواية أخرى عنه (ﷺ): إنه (التسبيح في دُبُر كل صلاة ثلاثين مرة) ^(٢).

٢- وعن الإمام الصادق (ﷺ) عن آبائه (صلوات الله عليهم وسلامه) قال: (قال النبي ﷺ) من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلواته وصيامه وتلاوته، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلواته وصيامه وتلاوته).

٣- وعن الإمام الصادق (ﷺ) في قوله تعالى: [اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا] قال (ﷺ): (إذا ذكر العبد ربه في اليوم مائة مرة كان ذلك كثيراً) ^(٣).

٤- وعنه (ﷺ) قال: (من ذكر الله في السر فقد ذكر الله كثيراً، إن المنافقين يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السر قال تعالى: [يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا] (النساء: ١٤٢)) ^(٤).

خسارة الغفلة والإعراض عن الذكر:

قال تعالى: [وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى] (طه: ١٢٤-١٢٦)، وقال تعالى: [وَمَنْ يَعِشْ

(١) معاني الأخبار: ١٩٤.

(٢) ميزان الحكمة: ٣/٣٤٤، ويحتمل أن المقصود به هنا (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله الأكبر).

(٣) بحار الأنوار: ١٦٠/٩٣، ح ٣٨.

(٤) بحار الأنوار: ١٦٠/٩٣، ح ٤١.

عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ] (الزخرف: ٣٦) وقال تعالى:
[وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ]
(الحشر: ١٩).

ومن الروايات المحذرة من الغفلة عن ذكر الله تعالى:-

١- روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (ما من ساعة تمرُّ بآدم لم يذكر الله فيها إلا حسر عليها يوم القيامة)^(١).

٢- وفي عدة الداعي روى الإمام الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: (ما من قوم اجتمعوا في مجلس فلم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيهم (ﷺ) إلا كان ذلك المجلس حسرة ووبالاً عليهم).

٣- وفي تنمة الحديث السابق^(٢) عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (والبيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن ولا يذكر فيه الله تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين).

٤- وروى الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال: (أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى (عليه السلام): لا تفرح بكثرة المال ولا تدع ذكري على كل حال، فإن كثرة المال تنسي الذنوب وترك ذكري تقسي القلوب)^(٣).

٥- عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من (نسي الله سبحانه أنساه الله نفسه وأعمى

(١) ميزان الحكمة: ٣/٣٤٤.

(٢) مرَّ الحديث في كلام سماحته في النقطة الرابعة من (فضل مجالس الذكر) وهو قول الإمام الصادق (عليه السلام): (البيت الذي يُقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته ..) الحديث.

(٣) الخصال: ٣٩/١، باب الاثنين، ح ٢٣.

قلبه^(١).

حقيقة الذكر:

قالوا: إن الذكر بمعنى الحفظ، إلا أن الاختلاف بينهما باللحاظ، فيقال الحفظ باعتبار إحراز المحفوظ، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره. وأقول: إنه تارة يراد بالذكر معناه المصدرى فيكون معناه حضور الشيء في القلب أو على اللسان، وتارة يراد به المعنى اسم المصدرى، فيعبر عن قابلية عقلية وقلبية بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقننيه من المعرفة. والمعنى الحقيقي لذكر الله تعالى هو حضوره في القلب والالتفات إليه لأنه الذي تتحقق به الآثار، أما حركة اللسان به فهي تعبير وكاشف عنه ومظهر ومبرز له، وليست ذكراً حقيقياً إلا من باب ذكر الدال وإرادة المدلول به، ولا تترتب الآثار المتقدمة عليه وحده.

أترى لو أن إنساناً كان له حصن يحميه من عدوه فهل يكفيه أن يكرّر: أعود بهذا الحصن من عدوي لحمايته من العدو إذا هجم عليه، أم المطلوب الدخول فعلاً في الحصن، وهكذا كل الأذكار لها حقائق تترتب عليها الآثار ولا يكفي مجرد لقلقة اللسان، كما في الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة لرجل قال بحضرته: أستغفر الله، فعلمه الإمام (عليه السلام) حقيقة الاستغفار.

لكن الله تعالى بكرمه جعل ثواباً حتى على مجرد تحريك اللسان بالذكر وإن كان ليس ذا قيمة مقابل ما يقترن بالذكر القلبي، لذا لا ينبغي الالتفات إلى

ما يقوله بعض الصوفية من أن الذكر باللسان دون حضور القلب لا قيمة له وتركه أولى، فهذا من تسويلات الشيطان؛ لأن لكل جارحة ذكراً، والذكر اللساني يحقق طاعة بمقداره ويصونه من استعماله في المعاصي اللسانية بمقداره أيضاً، وفيه إرغام للشيطان ولو بأدنى مستوياته فلا ينبغي تركه.

يقول السيد الشهيد الصدر الثاني (تَبَشُّرٌ) عن قيمة الذكر القلبي إنه ((من أعظم الرياضات التي توصل إلى المدارج والمقامات التي فوقه بلطف الله سبحانه. وإن من أفضل أشكال الذكر القلبي هو استحضار مضمون الأسماء الحسنى ذات المدلول الطيب أعني ليس من قبيل (شديد العقاب) و (ذو الانتقام) ونحوها، بل نحو (العظيم) و (الرحيم) و (الحليم) و (الغفور) و (الشكور) وغيرها.

ثم التفكير في الخلق الذي يرجع إلى مضمون مجموعة أخرى من الأسماء الحسنى كالخالق والرازق والمدبّر والمنعم والمعطي والحنان والمنان ونحوها.

ثم التفكير في شأن الفرد أمام خالقه من القصور والجهل والذنب والتقصير وحسن الظن به تبارك وتعالى وكونه محل لطفه ونعمه وسبحانه ونحو ذلك))^(١).

مجالس أهل البيت (عليه السلام) من الذكر:

ومن حلق الذكر التي وصفتها الأحاديث الشريفة بأنها رياض الجنة: المجالس التي تعقد لذكر فضائل أهل البيت (عليه السلام) ومصائبهم، وللوعظ

(١) قناديل العارفين: ١٤٨.

الذكر زينة العيد.....(٣١٣)

والإرشاد وتعليم أحكام الشريعة، عن الباقر (عليه السلام) قال: (ليس من عبد يذكر عنده أهل البيت فيرق لذكرنا إلا مسحت الملائكة ظهره وغفر له ذنوبه كلها، إلا أن يجيء بذنوب يخرجه من الإيمان)^(١)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (شيعتنا الرحماء بينهم، الذين إذا خلوا ذكروا الله (إن ذكرنا من ذكر الله) إننا إذا ذكرنا ذكر الله وإذا ذكر عدونا ذكر الشيطان)^(٢).

(١) سفينة البحار: ٢٠٧/٣.

(٢) الكافي، ج ٢، باب تذاكر الإخوان، ح ١.

(١) **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم**

سورة الحديد من السور المباركة التي كان يهتم بها رسول الله (ﷺ)، وروي انه (ﷺ) كان حينما يأوي إلى فراشه للنوم يتلو سور المسبّحات وهي السور التي تبدأ بكلمات التسبيح ، وأولها سورة الحديد ومعها سورة الحشر والصف والجمعة والتغابن وهي في الجزء الثامن والعشرين من المصحف الشريف.

وروى العلامة الطبرسي في مجمع البيان عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: من قرأ المسبّحات كلها قبل ان ينام لم يمت حتى يدرك القائم (عليه السلام) وان مات كان في جوار رسول الله (ﷺ).^(٢)

وسورة الحديد من السور النافعة في الموعظة وترقيق القلب ، فإدامة تلاوتها قبل النوم يساعد على إجراء المراجعة مع النفس في نهاية كل يوم ، وهي المحاسبة التي أمرنا المعصومون (عليهم السلام) بها.

ونأخذ منها اليوم مقطعاً يعطينا قاعدة في السلوك المعنوي خصوصاً لكم أيها الشباب الجامعيون ونستقي منه أيضاً درساً في الموعظة يعرض مشهداً من مشاهد يوم القيامة ، ذلك اليوم المهول الذي ورد وصفه في القرآن الكريم

(١) كلمة القيت يوم السبت ٢٦/ربيع ١٤٣٤هـ المصادف ٢٠١٣/٣/٩.

(٢) مجمع البيان ٣٤٥/٩

(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ) (٣١٥)

بأوصاف مذهلة ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الحديد : ١٢] يستعرض المشهد مقارنة بين حالي المؤمنين و المنافقين و حواراً، اما المؤمنون و المؤمنات فانهم ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ﴾ في ذلك اليوم الذي تنكسف به الشمس و تنكدر النجوم و تكون الجبال كالقطن المنفوش و تشتد الظلمات بعضها فوق بعض، يلفظ الله تعالى بالمؤمنين و المؤمنات فيوفر لهم نوراً يسعى بهم الى الجنة و السعادة، و السعي هو السير الحثيث فهو يسرع بهم الى الجنة، و لما كان النور ينبعث منهم، فإنهم في الحقيقة هم الذين يسعون لأنهم مصدر النور، و نسب السعي إليه لأنه يتقدمهم.

﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ هذا النور ينبعث من امامهم و من ايمانهم، و لعل الذي من امامهم هو نور الايمان و عقائدهم الحققة في التوحيد و النبوة و الإمامة، لذا ورد في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن النور قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (أئمة المؤمنين يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنين و بايمانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة)^(١) و لعله نور ذواتهم الطيبة المحبوبة عند الله تعالى، أما النور من يمينهم فهو نور أعمالهم الصالحة حيث يوتى المؤمن كتابه بيمينه (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مَقْرُونُوا كِتَابِيهِ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾) (الحاقة / ١٩-٢٤).

(بُشْرَاكُمْ يَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

(١) الكافي: ١٥١/١ ح ٥.

الْعَظِيمُ) وما دامت هذه عاقبتهم، فإنها بشرى حقيقية ويستحقون التهنئة على هذا الفوز العظيم وما أعظمه من فوز ومن خاتمة حسنة في تلك الحياة الخالدة.
(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ)
هذه هي الصورة المقابلة للبائسين الخاسرين من المنافقين والمنافقات فإنهم في ظلمات وخوف ورعب وعذاب وألم، فالتفتوا إلى المؤمنين والمؤمنات وهم في ذلك العيش الرغيد وطلبوا منهم أن يلتفتوا إليهم ويسعفوهم بقبس من النور يخفف عنهم بعض الأهوال.

(قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) فجاءهم الجواب إنَّ الفرصة قد فاتت الآن لتحصيل النور لأنه حصيلة أعمالكم التي اكتسبتموها في الدنيا، فكان عليكم أن تلتفتوا إلى هذه الحقيقة في الدنيا فتؤمنوا وتعملوا الصالحات لتتحول إلى نور في هذا اليوم، فإن استطعتم أن ترجعوا إلى الدنيا لتحصيل النور، وذلك مستحيل (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) (ص/٣).

(فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورٍ) ففصل بينهم بجدار عازل كما كانوا في الدنيا منفصلين ومتباينين في سلوكهم واعتقاداتهم ونظرتهم إلى الحياة، وإن كانوا متعايشين في مجتمع واحد وبيئة واحدة فحُجِّسَتْ تلك المباينة بسور عازل (له باب) لينظر بعضهم إلى بعض من خلاله وليجري بينهم هذا الحديث وليقارن كل من الفريقين حاله مع حال الآخر فيزداد المؤمنون والمؤمنات شكراً لله تعالى على ما انعم، والمنافقون والمنافقات ألماً وحسرة وندامة على ما فرطوا في أمر آخرتهم.

(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ)..... (٣١٧)

(بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) صفة هذا السور أن ما بداخله الرحمة والسعادة والعيش الهنيء وهو محل المؤمنين، أما خارجه فالعذاب والوحشة والخوف والألم وهو محل المنافقين والمنافقات، ومثاله المدن في ذلك الزمان عندما كانت تحاط بسور متين يحميها من هجمات الأعداء واللصوص والمحتلين والمجرمين، فتجد داخل المدينة البيوت المريحة والشوارع المنظمة والأسواق العامرة والمياه العذبة وسائر أسباب الرفاهية، أما خارجها فالصحراء والوحشة والمخاطر والجوع والظمأ والخوف، وهذا مثال حال الفريقين يوم القيامة.

(يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) وحينئذ نادى المنافقون والمنافقات المؤمنين والمؤمنات، وعبر بالمناداة وليس (قالوا) ونحوها للبينونة البعيدة بينهما ولم تكن مواضعهم متقاربة، فخاطب المنافقون المؤمنين الذين يعرفونهم ألم نكن معكم في مدينة واحدة وجامعة واحدة ودائرة واحدة ومجتمع واحد بل ربما في بيت واحد كنا نعيش سوية فلماذا حصل هذا التفاوت العظيم بيننا.

ويظهر من بعض الروايات ان المراد بهم المنحرفون عن ولاية أهل البيت (عليه السلام)، عن الإمام الباقر (عليه السلام) (فيناديكم أعداؤنا وأعداؤكم من الباب الذي في السور ظاهره العذاب: ألم نكن معكم في الدنيا، نبينا ونبيكم واحد، وصلاتنا وصلاتكم واحدة، وصومنا وصومكم واحد، وحجنا وحجكم واحد).^(١)
(قالوا بلى) فأجاب المؤمنون نعم كنا هكذا سوية بأبداننا لكن أرواحنا

(١) تفسير البرهان: ٢٢٥/٩.

وعقائدنا وسلوكياتنا كانت متباعدة ومتباينة، ولنضرب مثلاً من واقعكم أنتم الشباب الجامعي فأنتم الموجودون هنا تأتون إلى زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) وتستمعون إلى المواعظ والتوجيهات بينما ذهب آخرون من زملائكم إلى حيث اللهو والعبث والمجون، فيوجد انفصال بينكم في السلوك والرؤى وهذا هو الذي جسّد هذا التفاوت بيننا يوم القيامة.

(ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور) ومن هنا يبدأ تعدد الأسباب التي جعلت مساراتنا في الحياة الدنيا متباينة، انكم فتنتم أنفسكم واتبعتم الشهوات وسرتم وراء أهوائكم من دون بصيرة وتعقل واتباع لشرائع الله تعالى.

(وتربصتم) إذ كنتم تترقبون زوال الدين والقضاء على أهله وإسكات صوت الحق الذي كان يقض مضاجعكم ويسبب لكم ألماً باطنياً ووخز الضمير.

(وارتبتم) حيث كنتم تشككون بالعقائد والأحكام الإلهية وتثيرون الشكوك والشبهات حولها لتجعلوا لأنفسكم مبررات لعدم الالتزام بها، وتفاقم ارتيابكم ليشمل حتى أقدس المقدسات كما نسمع اليوم من بعض أدعياء الحداثة تشكيكات في أصل نبوة النبي محمد (ﷺ) وكون القرآن نازلاً من الله وهم مسلمون!!!

(وغرتكم الأماني) خدعتكم وعود الشيطان وأوليائه وعبيده بدنيا مزيفة وأموال ومواقع وشهوات ونحوها.

(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ) (٣١٩)

(حتى جاء أمر الله) حتى فاجأكم الموت وطويت صفحة أعمالكم وانقطعت عنكم فرصة التدارك والتعويض والإصلاح والمراجعة.
(وغرّكم بالله الغرور) ونجح الشيطان بخداعكم والمكر والتغريب بكم وأنتم تتحملون المسؤولية باتباعكم إياه رغم التحذير الشديد من قبل الله تعالى (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) (الإسراء/٥٣) (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) (البقرة/١٦٨).

(فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبئسَ المَصِيرُ) وكانت هذه النتيجة الحتمية لسوء أعمالهم أن يجتمعوا مع الكفار في النار والعذاب الأليم لأنها هي الأولى بهم والأليق لخبثهم حتى تطهرهم النار وتزيل أدرانهم.

وهنا يلتفت الله تعالى إلى المؤمنين والمؤمنات ويخاطبهم بعتاب رقيق وتساؤل ملؤه الحنان والشفقة بأن يستفيدوا من هذه المواعظ ويطهروا بها قلوبهم ويهذبوا أنفسهم، وإلا فإنها تقسو وتسود بطول الأعراض عن الموعظة وذكر الله تعالى والانغماس في الملذات واللهاث من أجل التوسع في الدنيا، حتى يطبع عليها فلا تنفع معها موعظة والعياذ بالله تعالى (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) (الحديد/١٦).

قدمت لكم هذا النموذج مما أدعو إليه من التفسير المبسط للقرآن الكريم الذي يعيننا على التدبر في آياته من دون الحاجة إلى الكتب المعمّقة في

التفسير.

قاعدة في السلوك المعنوي:

وأريد أن أركز من خلاله على الوصف الذي ورد في المقطع (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) فهذه قاعدة مهمة في السلوك المعنوي إلى الله تعالى، وهي الالتفات إلى حقائق الأمور لاتخاذ المواقف الصحيحة، وعدم الانخداع بالظاهر وبناء القرارات عليه.

فإن كثيراً من الأفعال والمواقف تبدو في ظاهرها لذيدة ممتعة إلا أنها تستبطن الشقاء والعذاب والألم، وعلى العكس من ذلك فإن بعضاً آخر منها يبدو ظاهره متعباً مكروهاً إلا أن حقيقته السعادة والنعيم، لذا ورد في الحديث (حُفَّت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات).^(١)

ولنأخذ أمثلة من واقعكم الشبابي الجامعي، فإن البعض قد يتصور ان إقامة علاقات غير مشروعة مع الجنس الآخر فيها لذة ومتعة وسعادة ولكن الحقيقة خلاف ذلك لأن المجتمع سيرفضهما خصوصاً البنت وسيؤثر ذلك على مستقبلها وتسبب تلك العلاقة شقائها، وربما بعض ردود الأفعال المؤلمة، هذا في الدنيا أما ما بعد الموت وفي الآخرة فسيعيشون حالة الألم والندامة والعذاب. والمثال الآخر بعض الشباب المهوسين بالسفر إلى بلاد الغرب ليعيش حياة مرفهة سعيدة لكنه يضيّع دينه وأسرته وتكون زوجته وأولاده متمردين عليه وخارجين عن إرادته بسبب القوانين المعمول بها هناك.

(١) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٧٢.

(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ) (٣٢١)

ومن أمثلتها من يلتحق بجهة سياسية أو دينية أو اجتماعية من دون أن يتحقق من إخلاصها واستقامة سيرتها ومصداقيتها في العمل بما يرضي الله تعالى، يغرونه بمواقع النفوذ وتحصيل المال والامتيازات فتزل قدمه ويتعد عن جادة الاستقامة وتكون عاقبته زلل قدمه عن الصراط.

فهذه كلها أمور ظاهرها أنيق وفيها الراحة والدعة والترف والانسياق مع التيار العام إلا أن عاقبتها وخيمة.

وفي مقابل ذلك توجد نماذج أخرى كتعرض الفتاة الجامعية المحجبة العفيفة إلى ضغط اجتماعي بأن مظهرها غير أنيق وانها متخلفة أو معقدة ونحوها من الأوصاف الاستفزازية.

وكذا الشاب الذي يلتزم بالمظهر المهدب أو يلتزم بالآداب والأحكام الشرعية فيضغط عليه بنفس الطريقة ليستسلم وينهار وينساق معهم، وربما يتبارى زملاؤه الفساق في استدراجه معهم وإنهاء مقاومته.

أو الموظف الأمين الملتزم الذي لا يخون الأمانة التي تحت يده فإنه يعاني من استفزاز أقرانه وانه سوف لا يستطيع أن يعيش كأقرانه ويبقى في الحضيض ولا يتقدم، وما ذلك إلا لحسد إياه على سموه وعجزهم وضعفهم عن الوصول إلى قمته.

أو محاولة البعض لثني الملتزمين بالدين -كالصوم في الأيام الحارة أو القيام في الليل البارد للعبادة ونحوها - عن عمله وإيجاد المبررات لترك العمل. فهذه كلها أمور قد تبدو مكلفة ومتعبة وتحتاج إلى صبر ومصابرة وتحمل

للمكارة، إلا أن فيها الفوز والفلاح وحسن الخاتمة.

وهذا الاختبار مستمر ما دمنا في الحياة الدنيا، والنجاح فيه يكشف عن الفوز في الآخرة، وستجلى هذه الحقيقة بوضوح في عصر الظهور، ففي الرواية (يخرج الدجال عدو الله ومعه جنود من اليهود وأصناف الناس، معه جنة ونار ورجال يقتلهم ثم يحييهم، ومعه جبل من ثريد ونهر من ماء. وإنني سأنتع لكم نعتة إنه يخرج ممسوح العين في جبهته مكتوب كافر يقرأه كل من يحسن الكتاب ومن لا يحسن، فجنته نار وناره جنة، وهو المسيح الكذاب، ويتبعه من نساء اليهود ثلاثة عشر آلاف امرأة فرحم الله رجلا منع سفيهه أن يتبعه، والقوة عليه يومئذ القرآن فإن شأنه بلاء شديد، يبعث الله الشياطين من مشارق الأرض ومغاربها فيقولون له استعن بنا على ما شئت).^(١)

فالالتفات إلى القاعدة التي ذكرناها يعين على النجاح في تلك الاختبارات وبناء مستقبل معنوي متكامل بلطف الله تبارك وتعالى، وإنما سميناهم قاعدة لأنها تعطي رؤية تبرمج حياة الإنسان وتنظم أموره والله المستعان.

(ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ)^(١)

ليوم القيامة أسماء عديدة في القرآن الكريم كيوم الدين ويوم الحسرة والندامة ويوم الفصل ويوم الذهول ويوم الزلزلة ويوم الجمع ويوم الورود ويوم الشور ويوم الحشر ويوم البعث ويوم الحساب والصاخة والطامة الكبرى، وهي أسماء مشتقة من صفات ذلك اليوم المهول وخصائصه وما يجري فيه، ومن تلك الأسماء يوم التغابن، قال تعالى: (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) (التغابن/٩).

والغبن ((أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفاء))^(٢) فالبايع إذا أحس أنه باع بأقل من استحقاق الشيء كان مغبوناً، وإذا شعر المشتري أنه دفع أكثر مما يستحق الشيء كان مغبوناً.

فما هي المعاملة التي سيظهر فيها الغبن يوم القيامة؟ والجواب أنها الصفقة التي عقدها الله تعالى مع عباده حينما جمعهم في عالم الذر (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (الأعراف/١٧٢) فأخذ تعالى العهد على عباده أن يعبدوه ويطيعوه ولهم جميع ما في الأرض على أن

(١) القيت يوم ٢٩/رمضان/١٤٣٤ الموافق ٢٠١٣/٨/٧.

(٢) المفردات للراغب، مادة (غبن).

يسيروا وفق منهجه الرباني، ولهم بذلك الجنة التي عرضها السماوات والأرض. هذه الصفقة أشير إليها في القرآن الكريم كثيراً كقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) (البقرة/٢٠٧) (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة/١١١).

فمن وفى بهذه الصفقة ونال جزاءه الأوفى فهو الفائز، وأما المغبون فهو من لم يلتزم بتعهداته في تلك الصفقة وأضاعها وأضاع تلك المبايعة، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا) (آل عمران/٧٧)، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (المغبون من باع جنة عليّة المرتبة بمعصية دينية)^(١) وعنه (عليه السلام): (المغبون من شغل بالدنيا، وفاته حظّه من الآخرة)^(٢) وعنه (عليه السلام): (من باع نفسه بغير نعيم الجنة فقد ظلمها)^(٣) وعنه (عليه السلام): (المغبون من غبن نفسه من الله)^(٤) وعنه (عليه السلام): (المغبون من غبن دينه)^(٥) وعنه (عليه السلام): (إِنَّ الْمَغْبُونِ مَنْ غَبِنَ عُمُرَهُ، وَإِنَّ الْمَغْبُوطَ مَنْ أَنْفَذَ عُمُرَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ)^(٦).

(١) غرر الحكم / ١٣٥٢.

(٢) غرر الحكم / ٢٠١٠.

(٣) غرر الحكم / ٩١٦٤.

(٤) بحار الأنوار: ٢١٥/٧٧.

(٥) ميزان الحكمة: ٣٥٧/٦.

(٦) غرر الحكم / ٣٥٠٢.

(ذَلِكَ يَوْمَ التَّغَابُنِ)..... (٣٢٥)

ويزداد فرح المؤمن الفائز وحزن الفاسق والكافر الخاسر المغبون حينما يُعرض عليهما منزلاهما في الجنة والنار، ففي الرواية (في مجمع البيان روى عن النبي ﷺ أنه قال: ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله)^(١) فمن فقد منزله في الجنة يعاني ألمين، ألم العذاب في النار وألم الحسرة على منزله في الجنة وهو ينظر إليه.

وقد أشارت سورة التغابن إلى هذين الفريقين بعد وصف يوم القيامة بأنه يوم التغابن، قال تعالى: (وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبئسَ الْمَصِيرُ) (التغابن/٩-١٠).

وقد تقدّم في تعريف الغبن أنه البخس بضرب من الإخفاء، والخفاء هنا هو ظهور الجزاء يومئذٍ للجميع بشكل لم يتوقعوه ولم يتصوروه قال تعالى بالنسبة للفريق الأول: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةٍ أَعْيُنٍ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة/١٧) وقال تعالى في الفريق الثاني: (وَبَدَأَ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) (الزمر/٤٧) فهناك تبدو لهم الأمور مختلفة تماماً عن مقاييسهم في الدنيا (وَقَالُوا مَا لَنَا لَمَّا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ * اتَّخَذْنَاَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ * إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ)

(١) تفسير نور الثقلين: ج ٣/٥٣٢.

(ص / ٦٢-٦٤).

هذا الشكل من الغبن واضح، لكن شكلاً آخرًا منه يحتاج إلى التفات وتأمل، وهو أنّ نفس المؤمنين يشعرون بالغبن أيضاً لأنهم سيكتشفون بعد ارتفاع حجاب الغفلة عن بصائرهم أنّهم فوتوا على أنفسهم فرصاً عظيمة للطاعة ولو استثمروها لحصلوا على درجة أعلى ومقاماً أرفع وقرب متزايد من رضوان الله تعالى وأوليائه العظام، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (من أغبن ممن باع الله سبحانه بغيره)^(١) وغير الله تعالى مطلق يشمل ما يرجوه عامة المؤمنين من نعيم الجنة كالحوار العين ولحم الطير وفواكه مما يشتهون.

وأشار السيد الشهيد الصدر الثاني (قده) إلى هذا في إحدى رسائله إليّ ((وأما الندم فهو للمؤمن لا للكافر، إن الكافر سوف يلهو بآلامه المبرحة في النار وأما المؤمن فسيعض على شفته ندماً من أنه قضى حياته الدنيا (وهي بيت الطاعة) يظفر كالبقرة ولم ينل إلا هذا المقدار من الثواب.

إنّ ما ناله مهما كان ضخماً وعظيماً فإنّه مثل قشة تجاه الدنيا وما فيها أزاء ما يرى من مقامات الأولياء وهذه المقامات تعرض عليه قليلاً ليعرف المؤمن ما فوتّه على نفسه، ثمّ تختفي لقلّة تحمله في النظر إليها)).^(٢)

ومثاله التاجر الذي يملك مالاً كثيراً ونفوذاً واسعاً وفرصاً جيدة للاستثمار ولا يوجد أيّ عائق في طريقه لكنّه يضع أمواله في أمور بسيطة لا تناسب

(١) غرر الحكم / ٨٠٨٣.

(٢) قناديل العارفين: ص ٨٧.

ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ).....(٣٢٧)

المأمول فإنه يشعر بالخسارة والغبن، فرأس مال الإنسان في هذه الدنيا عمره أياماً وليالي بل ساعات ودقائق لأنها كلها يمكن أن تستثمر بطاعة ترفع درجته يوم القيامة بدل قضائها في أحاديث فارغة أو لهواً أو فضول أو أي عمل غير مثمر، ففي بعض الروايات أنّ ساعات عمر الإنسان تُعرض عليه على نحو صنديق بأشكال ثلاثة، ساعة الطاعة وساعة المعصية وساعة الفراغ فساعة الطاعة يفرح بها وساعة المعصية يتعدّب بها وساعة الفراغ يندم عليها، في الحديث عن النبي (ﷺ) قال: (ما من ساعة تمرُّ بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا حَسِرَ عليها يوم القيامة).^(١)

إنّ كل ثانية من حياة الإنسان يمكن أن يحولها إلى طاعة عظيمة كما لو شغلها بتسبيحة ليغرس الله تعالى له بكل تسبيحة عشرة أشجار في الجنة وفي رواية أخرى شجرة، ففي أمالي الصدوق بسنده عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: (قال رسول الله (ﷺ): (من قال سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنة و من قال الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة و من قال لا اله الا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة و من قال الله اكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة فقال رجل من قريش^(٢) يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير قال نعم و لكن إياكم أن ترسلوا عليها نيرانا فتحرقوها و ذلك إن الله عز وجل يقول يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ

(١) كنز العمال: ١٨١٩.

(٢) لا يخفى على الفطن من هو بقريظة الآية التي استشهد بها النبي (ﷺ) في ذيل الرواية.

(محمد/٣٣).^(١)

إنّ هذه الطاعة التي قد لا تستغرق أكثر من ثانية واحدة من وقت الإنسان قد يكون لها دور خطير عندما تتساوى حسنات الإنسان وسيئاته فيحتاج إلى حسنة واحدة لترجيح كفة الحسنات، فيتحرّر على ثوان يتمنى لو كان استثمارها في تسيحة من عمره الكثير الذي أضاعه من دون فائدة.

وينبغي الالتفات إلى حالة أخرى من الغبن يشعر بها حتى من استثمار عمره في الطاعة لكنّه لم يستفد من العمر الإضافي الذي يُعطى له لاكتساب المزيد من الحسنات، وهو الذي أشير إليه في الحديث الشريف (إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث: علم يُنتفع به، صدقة جارية، ولد صالح يدعو له)^(٢) فيستطيع الإنسان بفضل الله تبارك وتعالى أن يستمر في اكتساب الحسنات حتى بعد وفاته بأن يصبح من أهل العلم الذين يخلّفون أثراً نافعاً أو يؤسس مشروعاً مباركاً يكون صدقة جارية كمسجد أو شقق سكنية للفقراء أو طلبة العلم أو مدرسة دينية أو مركزاً صحياً أو يجري شبكة ماء.

والمصدر الثالث هو الولد الصالح بأن يتزوج امرأة صالحة ويتعب نفسه في تربية أولاده ليكونوا صالحين ثمّ يؤسس كلّ منهم أسرة صالحة وهكذا يتكاثرون وفق متواليّة هندسية على مرّ الأجيال أي أنّ الاثنين يصبحون أربعة والأربعة ستة عشر بل أكثر بفضل الله تبارك وتعالى، وإذا به بعد أجيال يكون

(١) بحار الأنوار: ٩٣ / ١٦٨ ح ٣.

(٢) شرح أصول الكافي، ج ٦، ص ١٣٧.

ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ).....(٣٢٩)

من ذريته الآلاف من الصالحين وتستمر حسناته بالزيادة، فاغتنموا هذه الفرص بفضل الله تعالى ولطفه.

ولنقف الآن عند فقرة من دعائه (ﷺ) في طلب مكارم الأخلاق المملوء بالمبادئ والأخلاق وبرامج العمل للحياة الإنسانية المثلى التي تجلب السعادة في الدنيا والآخرة، وهي فقرة تعالج مشكلة خطيرة تعاني منها كل المجتمعات حتى المتحضرة فضلاً عن المتخلفة والجاهلة وهي مشكلة الفراغ وتضييع الوقت وملئه بأي شيء بلا تخطيط لجعله منتجاً هادفاً، قال (ﷺ): (اللهم صلّ على محمد وآله واكفني ما يشغلي الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غداً عنه، واستفرغ أيامي فيما خلقتني له).

فالإمام (ﷺ) يبين أهمية الوقت ويدلنا على ما يجب أن نملاً أوقاتنا به، وهو ما يحقق الغرض الذي خلقنا لأجله [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] (الذاريات: ٥٦) بالمعنى الواسع للعبادة الذي لا يقتصر على العبادات المعروفة، بل ليجعلوا محور حياتهم في كل حركاتهم وسكناتهم ما يرضي الله تبارك وتعالى ويقربهم إليه ويسمو بهم، وهي رسالة الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم) جميعاً [وَأَلِيَّ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ] (هود: ٦١) هذه رسالتهم باختصار التي بلغوها لأقوامهم، توحيد الله تعالى الذي طلب منكم إعمار الحياة وفق المنهج الإلهي لأن فيه سعادتكم وفوزكم وفلاحكم.

هذا ما يجب أن نكرّس له أوقاتنا في حياتنا كلها.
من دعاء أمير المؤمنين (عليه السلام) المعروف بدعاء كميل (يا ربّ أسألك
بحقك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمائك أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار
بذكرك معمورة وبخدمتك موصولة) وفي دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) يوم
الثلاثاء (واجعل الحياة زيادة لي في كل خير والوفاة راحة لي من كل شر) وفي
دعائه (عليه السلام) ليوم السبت (وتوقفني لما ينفعني ما أبقيتني).
قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (واعلموا أنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا
تبيعوها إلا بها)^(١).

إن الجنة التي عرضها السماوات والأرض والتي فيها ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ثمنها أن تستثمر هذه اللحظات وهذه الساعات، عن أمير المؤمنين
(عليه السلام): (إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، ويأخذان منك فخذ منهما)
ويقول (عليه السلام): (إن المغبون من غبن عمره، وإن المغبوط من أنفد عمره في
طاعة ربه).

فأس مال الإنسان في هذه التجارة التي لن تبور: عمره ووقته وإضاعة أي
جزء -ولو للحظة- بغير تحصيل الغرض المطلوب خسارة توجب الندامة؛ لأن
اللحظة يمكن أن تكون فيها تسبيحة تغرس له بها شجرة في الجنة كما في
بعض الأحاديث الشريفة، أو أي حسنة ترجّح كفة حسناته يوم تنصب الموازين
بالقسط.

(١) نهج البلاغة: الكلمة ٤٥٦.

ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ).....(۳۳۱)

عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (احذروا ضياع الأعمار في ما لا يبقى لكم، ففائتها لا يعود).

تجد الكثير من الناس يحزن لضياع مال أو تلفه، أو فوت فرصة فيها ربح وفير، مع أنه يمكن أن يعوضه، وأن فائدته هو ما يرتبط بحياته الزائلة، ولا يكثر لفوت شيء من عمره في غير طاعة الله تبارك وتعالى فيه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (بادروا العمل وخافوا بغتة الأجل، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق) ومن وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر (رضي الله عنه): (يا أبا ذر كن على عمرك أشحّ منك على درهمك ودينارك).

هذا إذا لم نفترض أن الكثير من الوقت يقضى في معصية الله تبارك وتعالى فتباً لها من صفقة خاسرة.

أذكر لكم باختصار حكاية لناخذ منها العبرة رواها أحد الفضلاء الأساتذة عن أبيه وهو أحد مراجع الدين في كربلاء المقدسة عن شخص ثري تعرّض لسجن واضطهاد في بعض البلدان وكانت له أموال وتجارات فهاجر مع أهله إلى كربلاء قبل سبعين عاماً تقريباً وبسبب تلك الضغوط والآلام أصيب بلوثة في عقله فكان إذا أراد أن يسخّن الماء ليصنع قدهاً من الشاي يحرق الدنانير - كان كل دينار يعادل مثقالاً من الذهب يومئذٍ - في الموقد إلى أن ينضج الشاي، ثم يحتسي القده فرحاً منتشياً ويقول هذا القده من الشاي قيمته عشرة آلاف دينار.

ربما نسخر من هذا ونستقبح فعله ولا نعلم - وشر البلية ما يضحك - أننا أسوأ

حالاً منه؛ لأننا نحرق ساعاتنا وأيامنا وليالينا التي هي رأس المال في التجارة التي لن تبور مع الله تعالى، ويمكن أن نحصل بها على الدرجات العليا في الجنان والنعم العظيمة ومصاحبة النبي وآله الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين) نحرقها في ما لا قيمة له، بل أحياناً في ما يسخط الله تبارك وتعالى ويوجب عقابه والعياذ بالله.

وإذا كنا دقيقين أكثر فإن علينا أن نقدّم الأهم على المهم والأعلى رتبة على الأقل رتبة وإن كان كل منهما طاعة، تصوروا لو أن شخصاً مريضاً ويجب عليه تناول دواء معين وعنده ثمنه لكنه لا يفعل ذلك بل صرف الثمن على شراء أكلة يشتهيها وترك نفسه عرضة للأوجاع وتدايعات المرض مع أن الأكل في نفسه مفيد، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (من اشتغل بغير المهم ضيع الأهم) وفي غرر الحكم عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (من شغل نفسه بما لا يجب ضييع من أمره ما يجب)، ومن أمثلتها عندنا نحن -الحوزة العلمية- اشتغال البعض بمطالب علمية ترفية لا دخل لها في وظيفتنا الإلهية.

هذه هي أهمية الوقت، لكننا نشهد أن أتفه شيء عند الإنسان هو الوقت وآخر ما يحرص عليه وقته، بل إنه يقوم بأفعال عبثية ولهوية كثيرة مما يسمى بالهوايات أحياناً كتربية الطيور أو جمع الطوابع أو حل الكلمات المتقاطعة أو بعض الألعاب المسلية ويقول بصراحة ووضوح إنه يفعل ذلك لقتل الوقت أو حرق الوقت وفي الحقيقة فإنه إنما يقتل نفسه ومستقبله الحقيقي وما يقوم به أسوأ من هذا الرجل الذي حكينا قصته في حرق الدنانير.

ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ).....(٣٣٣)

ومما يزيد الحالة سوءاً أن البعض لا يكتفي بتضييع وقته وهدر عمره، بل يقوم بتضييع أوقات الآخرين بالأحاديث الفارغة والأعمال العبيثة ويدفع الآخرين ليكونوا مثله.

أيها الأحبة:

إننا إذن أمام مسؤولية كبيرة وهي إدراك أهمية عمرنا وما يجب أن نستثمره فيه لنحصل على أرقى الدرجات وهذه حقيقة تكشف لنا واقعنا المؤلم لأن العمر يجري مع كل نفس ولا ينتظرنا، ويمر بسرعة قال تعالى: [وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ] (الروم: ٥٥) وقال تعالى: [كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا] (النازعات: ٤٦) وفي قصص الأنبياء أن النبي نوح (ﷺ) وهو الأطول عمراً شبهه عمره الطويل بانتقالته لحظة من الشمس إلى الظل.

وهذا ما يعلمنا إياه الإمام السجاد (ﷺ) في فقرة من دعاء مكارم الأخلاق فیدعوننا إلى أن نصرف أوقاتنا بما نحن مسؤولون عنه يوم القيامة [وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ] (الصفات: ٢٤) وأن نستفرغ أيامنا بالسير في الاتجاه الصحيح نحو الهدف.

ويعلمنا (ﷺ) كيف يمكننا تحقيق ذلك مع كثرة الخطوط والمسارات وتعدد الخيارات وتداخل الاتجاهات والرؤى والبرامج فيقول (ﷺ): (واكفني ما يشغلني الاهتمام به) فالطريق أن تصفي ذهنك وبرامج حياتك من كل شيء زائد عما يشغلك الاهتمام به عن السير نحو الغاية، وإلا سيضيع وسط هذه

الفوضى ولا يصل إلى النتيجة المطلوبة، وفي غرر الحكم لأمير المؤمنين (عليه السلام) (اشتغال النفس بما لا يصحبها بعد الموت من أكبر الوهن).

لاحظوا الفرق بين ما نحن عليه، وما يريد الله تبارك وتعالى منا، إننا نضيع رأس مالنا بما يضر ولا ينفع، والله تعالى يريد لنا أن لا نقف عند حدود استثمار أعمارنا بل يدعونا إلى أن نكون مباركين معطائين حتى بعد وفاتنا فنحصل على عمر مديد من العطاء أو قل لنحصل على رأس مال إضافي كالشيخ الطوسي (رحمته الله) الذي مر على وفاته ألف عام تقريباً وهو يزداد تألقاً وعطاءً، وكالشيخ الحر العاملي الذي مرّت على وفاته قرون ولا يستطيع فقيه أو عالم الاستغناء عن كتابه وسائل الشيعة، وهذا ما دعانا إليه الحديث النبوي الشريف (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له).

وفي الحديث الشريف المشهور (من سنّ سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) ومن هذا الباب تفضل الله تعالى بكتابة الحسنات لمن نواها ولم يوفّق لفعلها، وكذلك ما ورد من أن من أحبّ عمل قومٍ أشرك في أجورهم وحشر معهم.

كل ذلك من أجل مضاعفة الربح لهذه التجارة النفيسة مع الله تبارك وتعالى لمن استثمر عمره ووقته. فالمطلوب من المؤمن الملتفت أن لا يكتفي باستثمار عمره فقط، وإنما يضيف لنفسه عمراً ثانياً لاكتساب الحسنات من خلال ما يؤسس من مشاريع الخير والطاعة والعبادة، أو كتاب يؤلفه، أو مسجد يبنيه، أو أولاد صالحين يعقبهم، وهكذا.

أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ) المِجَادِلَةُ ٦/

ذُنُوبٌ قَلَّمَا نَلْتَفَتُ إِلَيْهَا^(١)

في ذكرى ولادة الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) نتحدث عن حالة وردت في أدعية الصحيفة السجادية وهي إلفات نظر العبد إلى ذنوبٍ يغفل عنها تماماً، فقد يرضى البعض عن نفسه، ويعتقد أنه على خير ما دام قد أدى الواجبات الرئيسية كالصلوات المفروضة وصيام شهر رمضان ودفع ما بذمته من خمس ونحوه من الحقوق الشرعية، وما دام قد اجتنب المحرمات الرئيسية كالزنا وشرب الخمر واللواط والسرقه والقتل بغير حق ونحوها.

وهو لعمري خيرٌ كثير أن يلتزم العبد بذلك، لكن حالة الرضا عن النفس حالة غير صحيحة لأنّ أموراً أخرى كثيرة لا يلتفت إليها الإنسان، لكنّها مؤثرة في ميزان أعماله، وقد تقلب هذا الميزان رأساً على عقب باتجاه الفوز أو باتجاه السقوط والعياذ بالله تعالى.

وكلامنا في الحالة الثانية إذ قد يظنّ الإنسان أنه على خير، ولا يعلم ما سوّد به صحائفه، ولا يلتفت إليها أصلاً إمّا لغفلة، أو لجهله بأنّ هذه ذنوب، أو أنّه يعلم ذلك ولكنه يتساهل فيها ويقلل من شأنها وتأثيرها، ولذا ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) التحذير من المحقرات من الذنوب قال

(١) كلمة القيت يوم الجمعة ٦/شعبان/١٤٣٢ المصادف ٨/٧/٢٠١١.

(عَلَيْهِ السَّلَامُ): (اتقوا المحقرات من الذنوب فإنها لا تغفر، قلت: وما المحقرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي إن لم يكن لي غير ذلك.)^(١)

وأعطى رسول الله (ﷺ) درساً عملياً في ذلك التأثير لأصحابه كما في الرواية عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) نَزَلَ بِأَرْضِ قَرَعَاءَ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «اتُّوْا بِحَطْبٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ بِأَرْضِ قَرَعَاءَ! قَالَ: فليأت كل إنسان بما قدر عليه. فجاؤوا به حتى رموا بين يديه، بعضه على بعض، فقال رسول الله (ﷺ). هكذا تجمع الذنوب، ثم قال: إياكم والمحقرات من الذنوب، فإن لكل شيء طالباً، ألا وإن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبین) ^(٢).

أقول: هكذا تجتمع الذنوب التي يستصغرها صاحبها ويقدم عليها بلا اكتراث وتترك آثارها عليه حتى تطبع على قلبه فتورده النار والعياذ بالله.

حكى أن أحد التجار كان يصنع القماش لبيعه فيعاد عليه ليعب يوجد فيه، ففرغ نفسه مدة وأتقن صنع القماش لكيلا يرد عليه، وباعه بعد أن تأكد من سلامته من العيوب، وما لبث أن رجع إليه المشتري وأخبره بعيوب قماشه، فجلس التاجر يبكي والمشتري يطيب خاطره ويقول له سأقبل القماش ولا أرجعه فلا تتأثر، لكن التاجر (الواعي) قال: ما لأرجاع القماش أبكي، ولكن أبكي لأعمالي إذا عرضت على الناقد البصير، كم سيجد فيها من العيوب،

(١) وسائل الشيعة كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب ٤٣، حديث ١.

(٢) وسائل الشيعة كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب ٤٣، حديث ٣.

ذنوبٌ قلّما نلتفت إليها (٣٣٧)

وكيف سيردها عليّ، وما موقفي غداً، إذا كان المخلوق القاصرُ يجد كل هذه العيوب في قماش أتقنت صنعه.

وقد يبقى الإنسان على غفلته ولا يلتفت منها حتى يأتيه الموت [لقد كنت في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديدٌ] (ق: ٢٢) وقال تعالى: [يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] (المجادلة: ٦) وقال تعالى: [وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ] (الأنعام: ٦٠).

وقد ذكرنا آنفاً أسباب هذه الحالة، أمّا علاجها فيمكن أن يكون بعدة إجراءات وردت في الأحاديث الشريفة منها:

١- الاستغفار المستمر وطلب التوبة مما يعلم ومما لا يعلم من الذنوب، وقد وردت دعوات كثيرة يومية للاستغفار في تعقيبات الفرائض اليومية وفي صلاة الليل.

٢- أداء الصلاة في أوقاتها لأنها كفّارة لما بينها ولأن فيها تذكيراً بالله تعالى وعودة إليه [وأقم الصلاة لذكري] وفي الرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (قال رسول الله لو كان على باب دار أحدكم نهر فاغتسل في كل يوم منه خمس مرّات، أكان يبقى في جسده من الدرن شيء؟ قلنا: لا، قال: فإن مثل الصلاة كمثل النهر الجاري، كلّما صلّى صلاة كفّرت ما بينهما من الذنوب).^(١)

٣- الإكثار من الطاعات لأن الحسنات يذهبن السيئات، قال تعالى: [إِنَّ

(١) وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أبواب أعداد الفرائض ونوافلها، باب ٢ ح ٣.

الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ] (هود: ١١٤) وقال تعالى: [إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْكَفُّوا لَكَ يُدَلُّ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا]
(الفرقان: ٧٠).

٤- تجنّب الغفلة لأنها الأصل في الوقوع بالمعاصي.

٥- محاسبة النفس يومياً، لأن المحاسبة والتدقيق والمراجعة تكشف أموراً
يغفل عنها لو لم يُجر هذه المحاسبة، وهذا معلوم بالتجربة لرجال الأعمال، وفي
وصية النبي (ﷺ) لأبي ذر (يا أبا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى
يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه) وعن الإمام الكاظم (ع) قال
(ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن
عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب عليه، (وسائل الشيعة ١ ج ١١)

٦- مطالعة كتب الأخلاق والموعظة، وزيادة المعرفة بالله تعالى لأنها أصل
الدين وأساسه.

٧- مجالسة الصالحين والتردد على المساجد والمشاهد الشريفة.

٨- الاعتراف أمام الله بالتقصير وكثرة الذنوب مما نعجز عن عدّه وإيكال
الأمر إلى عفوه ومغفرته وصفحه وإحسانه وكرمه.

وكما أنّ الحسنات يذهبن السيئات، فإن بعض السيئات تُذهب الحسنات
وتُحرقها، ففي كتاب الأمالي^(١) للشيخ الصدوق (تدبّر) بسنده عن الإمام الصادق
(ع) عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (ﷺ) من قال سبحان الله غرس الله

(١) أوردها عنه في البحار: ١٦٨ / ٩٣.

ذنوبٌ قلّما نلتفت إليها (٣٣٩)

له بها شجرة في الجنة، ومن قال الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال لا إله إلا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة، فقال رجلٌ من قريشٍ يا رسول الله إنّ شجرنا في الجنة لكثير، قال نعم ولكن إياكم أن تُرسلوا عليها نيراناً فتحرقوها، وذلك إنّ الله عزّ وجل يقول: [يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تُبطلوا أعمالكم] (محمد: ٣٣) ومن تلك النيران المناسبة للرجل من قريش إنكار ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبقرينة الآية التي استدل بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) الآمرة بطاعة الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله)، ومن تلك الذنوب الغيبة فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه).^(١)

وأنقل لكم نصاً من الصحيفة السجادية يلفت نظرنا إلى ذنوب نغفل عنها وهي تتعلق بالعلاقات مع الآخرين، ولك أن تقيس عليها غيرها مما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، قال (عليه السلام) في الاعتذار من تبعات العباد ومن التقصير في حقوقهم (اللهم إنّي اعتذر إليك من مظلوم ظلمت بحضرتي فلم أنصره، ومن معروف أسدي إليّ فلم أشكره، ومن مسيء اعتذر إليّ فلم أعذره، ومن ذي فاقة سألتني فلم أوثره. ومن حقّ ذي حقّ لزمني فلم أوفّره، ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره، ومن كلّ إثم عرض لي فلم أهجره).

(١) أصول الكافي، ج ٢، باب الغيبة والبهتان، ح ١، وفي القاموس المحيط: أنّ الآكلة داء في العضو يأكل منه.

فالسّيئات لا تقتصر على ما صدر منه من أمثالها، بل على ما فوّت مما ينبغي فعله، فلا ينشغل الإنسان بالنظر إلى ما قدّم من طاعة أو معروف بين الناس، بل إلى ما كان يجب عليه فعله ولم يفعله. كالشخص يفرح بما أنفق في سبيل الله، ويغفل عن مورد قصده فيه صاحب حاجة وكان قادراً على قضائها فلم يفعل، ووردت في ذلك روايات شديدة كالذي روي عن أبي الحسن (عليه السلام) قال (من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها إليه، فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا وهو موصول بولاية الله وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها سلّط الله عليه شجاعاً من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو مُعذّباً فإن عذره الطالب^(١) كان أسوأ حالاً).^(٢)

فهذا شكل من السيئات يخفى على الإنسان، مضافاً إلى ما صدر منه فعلاً، ومن دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) ليوم الاثنين (وأسألك في مظالم عبادك عندي، فأيّما عبد من عبيدك أو أمةٍ من إمائك كانت له قبلي مظلمة ظلمتها إياه في نفسه أو في عرضه أو في ماله أو في أهله وولده، أو غيبةً اغتبت به، أو تحامل عليه بميل أو هوى، أو أنفة أو حمية أو رياء أو عصبية، غائباً كان أو شاهداً، وحيّاً كان أو ميتاً، فقصرت يدي، وضاق وسعي عن ردّها إليه، والتحلل منه، فأسألك يا من يملك الحاجات وهي مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، أن

(١) قال الشارع: (أي المطلوب منه الحاجة، ووجهه إنه إذا عذره صاحبها لم يندم ولم يتب ولم يستغفر، بل ظن عدم تقصيره في حق الطالب فاجترأ على منع غيره).

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب فعل المعروف، باب ٢٥،

ذُنُوبٌ قَلَّمَا نَلْتَفِتُ إِلَيْهَا (٣٤١).

تصلي على محمد وآل محمد وأن ترضيه عني بما شئت، وتهب لي من عندك
رحمة).

وفي ضوء هذه الحقيقة التي لا يلتفت إليها إلا الأقلون، يمكن أن نفهم ما
ورد في الحديث الشريف عن النبي (ﷺ) قال (لم يعبد الله عز وجل بشيء
أفضل من العقل، ولا يكون المؤمن عاقلاً حتى يجتمع فيه عشر خصال) إلى أن
قال (ﷺ) (والعاشرة وما العاشرة لا يرى أحداً إلا قال هو خير مني وأتقى)
وقد شرحت بعض فقرات الحديث في محاضرة سابقة.

نسأل الله تعالى أن ينبهنا من نومة الغافلين المبعدين بعفوه وكرمه.

(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) الاحقاف ١٣/

الاستقامة^(١)

الحمد لله الذي هدانا لحمده، وجعلنا من أهله، لنكون لإحسانه من الشاكرين، وليجزينا على ذلك جزاء المحسنين، والحمد لله الذي حَبانا بدينه، واختصنا بملته، وسَبَلنا في سُبُلِ إحسانه، لنسلكها بمنه إلى رضوانه، حمداً يتقبله منا، ويرضى به عنا، وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

البعض يقرأ القرآن بلسانه طلباً للشواب الذي أفادته الروايات الكثيرة، والبعض يقرأ القرآن بعقله ليستخرج منه نظرية علمية أو يستدل به على مطلب ما، كاستدلال الأصولي بآية النفر^(٢) على حجية خبر الواحد، أو استدلال النحوي على بعض القواعد الإعرابية، والبعض يقرأ القرآن ليتدبر في آياته، ويشير مكوناته ليأخذ منه علاجاً لأمراضه المعنوية، وبرنامجاً لسيره التكاملي لنيل رضا الله تعالى.

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الفطر عام ١٤٣٢ يوم الأربعاء الموافق ٢٠١١/٨/٣١ م

(٢) يعني بها سماحة الشيخ (رحمته الله) قوله تعالى: [فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ] (التوبة: ١٢٢) والاستدلال بها مذكور في كتب أصول الفقه.

فالذي يريد أن يكون من المفلحين الفائزين بما عند الله تبارك وتعالى يجد وصفة العلاج المتضمنة لعدة فقرات في قوله تعالى في أول سورة المؤمنون: [قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ..] إلى قوله تعالى: [أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] (المؤمنون: ١-١١).

وهكذا الآيات التي تصف عباد الرحمن أو المتقين وغيرهم.

واليوم نقف عند آية مباركة تتحدث عن امتيازات جليلة ومنن عظيمة وهي قوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلًا مِّنْ عَفْوٍ رَّحِيمٍ] (فصلت ٣٠-٣١-٣٢) ووردت بتفصيل أقل في موضع آخر [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] (الأحقاف: ١٣) فنحن أما مفردة قرآنية هي (الاستقامة) تتحقق بها آثار عظيمة نطقت بها آية سورة فصلت:-

تتنزل عليهم الملائكة فتطمئنهم أن لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، وقد قيل في الفرق بين الخوف والحزن أن الأول من الأمور القادمة والثاني من الأسى على ما مضى، فلا يخافون من القادم في القبر أو أهوال يوم القيامة أو مما يخوفونهم به في الدنيا بسبب رفضهم الانصياع لما سوى الله تعالى من

طواغيت أو تقاليد اجتماعية وغيرها، ولا يحزنون على ما فاتهم في الدنيا من أمورها الزائلة؛ لأنهم سيجدون أن الله تعالى قد عوضهم بكرمه بما هو خير وأبقى. وقيل إن ((الخوف إنما يكون من مكروه متوقع كالعذاب الذي يخافونه والحرمان من الجنة الذي يخشونه، والحزن إنما يكون من مكروه واقع وشر لازم كالسيئات التي يحزنون من اكتسابها، والخيرات التي يحزنون لفوتها عنهم، فتطيب الملائكة أنفسهم أنهم في أمن من أن يخافوا شيئاً أو يحزنوا لشيء فالذنوب مغفورة لهم والعذاب مصروف عنهم))^(١).

وتبشّروهم الملائكة بالجنة التي وُعدوا بها على لسان القرآن الكريم والناطقين به (صلوات الله عليهم أجمعين) بما تتضمن من نعم وما لا عين رأت ولا أذن سمعت خالدين فيها.

وتتولى أمورهم الملائكة بإذن الله تعالى مدبر الأمور وليسوا هم البشر الضعيف الجاهل الضال العاجز عن أن يتولى أمره، وإذا تولتها الملائكة فإنها لا تأتي إلا بالخير وترعاهم وتداريهم أكثر مما تداوي الأم الشفيقة ولدها، وتجنّبهم كل سوء، في كل المواطن التي يحتاج فيها إلى المعونة حيث لا ناصر إلا الله تعالى في صعوبات الدنيا وعند سكرات الموت وعندما يترك وحيداً في قبره وفي أهوال القيامة وعتباتها، وتعوضهم عما سيفقدونه من إخوان وأصدقاء وأصحاب بسبب استقامتهم على الحق وسقوط الآخرين وابتعادهم عن

(١) الميزان في تفسير القرآن، تفسير الآية ٣٠ من سورة فصلت.

الاستقامة، كما نُسِبَ إلى أبي ذر (رضي الله عنه): (ما ترك الحق لي صديقاً) ^(١).

لهم في الجنة ما تشتهي أنفسهم بل أوسع من ذلك فلهم كل ما يتمنون من النعم المعنوية والحسية من دون أن يطلبها، عن الإمام الباقر (عليه السلام) من حديث عن نعم الله تعالى في الجنة قال (عليه السلام) فيه: (فإذا دعا وليُّ الله بغذائه أتى بما تشتهي نفسه عند طلبه الغذاء من غير أن يسمي شهوته) ^(٢) وهكذا ما يدعي.

وأعظم النعم التي ذكرتها الآية الكريمة لهم أنهم يحلُّون ضيوفاً عند الله الغفور الرحيم معززين مكرمين مرحباً بهم وتكون النُّزُل التي تقدّم للضيوف كما يليق بأي ضيف كريم عند الرب العظيم.

هذه المواهب الجليلة لا تُعطى للإنسان لمجرد أن يؤمن بالله تعالى بلسانه من دون استقامة على التوحيد ورفض الخضوع والانقياد لكل الآلهة المصطنعة من دونه، وأولها النفس الأمارة بالسوء، وهذا أمر طبيعي، إذ لا يبقى للتوحيد معنى إذا لم يستقم عليه، ويلتزم بمتطلباته.

والإيمان الحقيقي يدعو إلى الاستقامة وهي من ثمراته كما يدعو إلى العمل الصالح، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أن تلا الآية الشريفة المتقدمة: (وقد قلت [ربُّنا اللهُ] فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته، ثم لا تمرقوا منها، ولا تبتدعوا فيها، ولا تخالفوا عنها، فإن أهل المروق

(١) بحار الأنوار: ١٨٠/٣١.

(٢) الكافي: ٩٩/٨.

منقطع بهم عن الله يوم القيامة^(١).

وفي ضوء كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام) يظهر أن الاستقامة تتضمن عدة معانٍ: (أولها) الثبات وعدم الميلان والانحراف تحت ضغط الشهوة أو الخوف أو الحرص على منصب أو المجاملة أو التقليد ونحوها فيخرج عن حد الاستقامة، في حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن تلا هذه الآية قال (صلى الله عليه وآله): (قد قالها الناس - أي كلمة الإيمان - ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها)^(٢)، فعلامة الاستقامة عدم الزيغ والانحراف باتجاه المعصية أو التقصير في الطاعة، يقول الإمام الصادق (عليه السلام) في معنى قوله تعالى: [اهدنا الصراطَ المُستقيم] يعني أرشدنا إلى لزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلغ إلى جنتك، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب، أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك^(٣).

(ثانيها) المداومة على الطاعة وعمل الخير والاستمرارية فيه؛ إذ لا يصل الإنسان إلى الهدف بمجرد وضع قدمه على الطريق الصحيح بل لا بد من الحركة الصحيحة باستمرار على الطريق الصحيح، عن علي (عليه السلام) في معنى قوله تعالى: [اهدنا الصراطَ المُستقيم]: (يعني أدم لنا توفيقك الذي أطعناك به في ماضي أيامنا، حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا)^(٤).

(ثالثها) الاعتدال فلا إفراط ولا تفريط، لأن كلاً منهما ابتعاد عن الاستقامة،

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٧٦).

(٢) مجمع البيان في ذيل تفسير آية (٣٠) من سورة فصلت.

(٣) معاني الأخبار: صفحة ٣٣.

(٤) معاني الأخبار: صفحة ٣٣.

قال تعالى: [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] (هود: ١١٢) والطغيان هو الخروج عن حد الاعتدال.

(رابعها) الوضوح في الإيصال إلى الهدف فلا شبهات ولا شكوك ولا غموض ولا التفاف ولا حيرة أو تردد، كما أن من صفات استقامة الطريق ذلك ليتحقق المطلوب منه بشكل كامل ولا يضل السائر عليه.

(خامسها) الإخلاص، فالاستقامة لا تكون إلا إذا كانت لله تبارك وتعالى وعلى الصراط الذي أمر باتباعه، وليس لنيل غاية معينة من شهرة أو مال أو منصب أو جاه، قال تعالى: [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ] لا كما تشتهي ولا أي نحو آخر.

إن الوصول إلى النجاح أو القمة أيسر من الثبات عليها والمحافظة على التمسك بها، وهذا معروف لدى المتنافسين في كل المجالات وهو أمر شاق لا ينال إلا بلطف من الله تبارك وتعالى؛ لذا يظهر من الآية الشريفة أن الخطوة الأولى من العبد بأن يستقيم وحينئذٍ يستحق مزيداً من اللطف الإلهي فتنزل عليه الملائكة لتتولى أمره وتقوده إلى الخير، وتثبته على الاستقامة، قال تعالى: [وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا] (النساء: ٦٦).

ويكون الأمر أشق حينما يكلف الإنسان بأن يأخذ بيد من معه في طريق الاستقامة، قال تعالى: [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] (هود: ١١٢)، روى في الدر المنثور بسنده عن الحسن (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: (لما نزلت هذه الآية [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ] قال (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ):

شَمِّرُوا شَمِّرُوا، فما رؤي ضاحكاً) وفي مجمع البيان في قوله تعالى [فَأَسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتُ] ((قال ابن عباس: ما نزل على رسول الله (ﷺ) آية كانت أشدَّ عليه ولا أشقَّ من هذه الآية، ولذلك قال لأصحابه -حيث قالوا له: أسرع إليك الشيب يا رسول الله-: (شيبتي هود والواقعة))^(١).

وأرجع البعض سبب ذلك إلى تكليفه بمن معه؛ لأن آية أخرى أمرت بالاستقامة وليس فيها هذا الذيل فلم يذكرها رسول الله (ﷺ)، وهو قوله تعالى: [فَلِذَلِكَ فَادِّعْ وَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ] (الشورى: ١٥). فالمسؤوليات شاقة وعديدة، إذ عليه الاستقامة في كل لحظة وفي كل قول وفعل، وهو أمر شاق، وأن يكون كل ذلك خالصاً لله تعالى وهو أشق، ثم عليه أن يقوم الآخرين على هذا الطريق على اختلاف طباعهم وتباين مستوياتهم وتنوع اتجاهاتهم، وتتسع هذه المسؤولية وتزداد المشقة بسعة من كلف بقيادتهم، حتى تكون بمستوى ولاية أمر المسلمين، وبمستوى المواجهة التي نشهدها اليوم حيث برز الشرك والكفر والفسوق والظلم والاستبداد بكامل عدته وعدده.

هذه الاستقامة على الصراط الذي ارتضاه الله تعالى وسار عليه الصالحون من عباده، علّمنا الله تبارك وتعالى أن نسأله إياها ونطلبها منه يومياً عشر مرات على الأقل في صلاتنا، لأنه متضمن لكل خصال الخير قال تعالى: [اهدِنَا

(١) سورة الواقعة ليس فيها أمر بالاستقامة ووجه الاشتراك مع سورة هود أنها متشابهة في ذكر أهوال يوم الفصل وأحوال القيامة الأمر الذي يخشاه رسول الله (ﷺ) على أمته لما علمه من عدم استقامة الكثير منهم على الصراط من بعده رغم أنهم أقرؤا بالإيمان بالله لساناً (لجة التحقيق).

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] (الفاتحة:٦)، ويعرفنا الله تبارك وتعالى بهذا الصراط ويدلنا على معالمه فيصفه بأنه: [صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ] (الفاتحة:٧) وَمَنْ هُوَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا] (النساء:٦٩).

فالاستقامة تتحقق بطاعة الله تبارك وتعالى ورسوله (ﷺ) وَمَنْ أَمَرَ بِطَاعَتِهِ بَعْدَهُ وَهُمْ الْأُئِمَّةُ الْمَعْصُومُونَ (عليه السلام) ثم نوابهم بالحق، فاتباع القيادة الدينية الحقبة ضمان للبقاء على الاستقامة على الصراط المستقيم، وفي مجمع البيان عن الرضا (عليه السلام) (أَنَّهُ سُئِلَ: مَا الِاسْتِقَامَةُ؟ قَالَ: هِيَ وَاللَّهُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) وفي تفسير القمي في تفسير قوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا] قال: ثم استقاموا على ولاية علي أمير المؤمنين، وفي الكافي بسنده عن محمد بن مسلم قال: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا] فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): اسْتَقَامُوا عَلَى الْأُئِمَّةِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ [تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ..]. وفي معاني الأخبار في تفسير قوله تعالى [اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] (الفاتحة:٦) عن الصادق (عليه السلام) (وهي الطريق إلى معرفة الله، وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، وصراط في الآخرة، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه بالدنيا واقتدى بهداه مرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار

جهنم^(١).

إن الإنسان إذا استقام على طاعة الله ورسوله (ﷺ) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) من بعده يتنعم في الدنيا فضلاً عن امتيازات الآخرة التي ذكرناها، قال تعالى: [وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا] (الجن: ١٦) في الكافي بسنده عن الباقر (عليه السلام) (في قوله تعالى [وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا] قال: يعني لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء من ولده (عليه السلام) وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماءً غَدَقًا، يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي الإيمان بولاية علي والأوصياء.

أيها الأحبة:

إن تحقق الاستقامة والثبات عليها التي نطلبها يوماً في صلواتنا -مما يعني أنها شيء يجب السعي لتحقيقه- تتطلب أموراً:-

١. العزم والإرادة الصادقة والشجاعة في اتخاذ القرارات والمواقف وإنجاز الأعمال المطلوبة.

٢. الوعي والمعرفة والمطالعة الواسعة لروايات المعصومين (عليهم السلام) وآثار السلف الصالح لأن أي عمل لا بد أن تسبقه معرفة، وبعد العمل يكتب معرفة جديدة.

٣. الالتفات إلى موجبات الانحراف عن صراط الاستقامة مقدمة لاجتنابها وهي اتباع الشهوات والركون إلى الدنيا بزخارفها الباطلة أو الخوف من فقدان

(١) معاني الأخبار: ٢ ح ١، تفسير الصافي: ١٢٦/١.

شيء أو القلق من فوات أمور، ومن موجبات الانحراف أيضاً أمور تبدو خارجة عن إرادة الإنسان، لكن مقدماتها بيده فيستطيع تجنبها بإزالة مقدماتها كالجهل والنسيان والغفلة والسهو فقد يشذ الإنسان عن الصراط المستقيم لا عن عمدٍ بل جهلاً وغفلة، وبالنتيجة فقد فاته خير كثير.

ولذلك فإن الإنسان يدعو يومياً عشر مرات على الأقل في صلواته بعد طلب الهداية للصراط المستقيم أن يعصمه الله ويحميه من كلا النوعين من موجبات الانحراف عن الاستقامة، ابتداءً واستدامةً لأنه معرض في أي لحظة للزلل والانحراف والإغواء إلا أن يمدّه الله تعالى بلطفه ونوره.

ولتحصيل الاستقامة مفردات عملية وبرامج ذكرتها الآيات الكريمة والروايات الشريفة، ولو التفتنا فإن الآيات التالية لقوله تعالى: [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ] تتضمن مفردات أساسية لهذا البرنامج وهي عدم الركون إلى الظالمين والمحافظة على الصلاة في أوقاتها والصبر، قال تبارك وتعالى: [وَلَا تَرَكَنَا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا مَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ، وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] (هود: ١١٣-١١٥).

وأورد هنا للموعظة والتذكير روايتين تتضمنان وصفيتين مهمتين لتطهير القلب وتهذيب النفس لمن أراد الكمال على طريق تحقيق الاستقامة.

(الأولى): رواية صحيحة رواها الثقات في كتبهم جميعاً كالكليني والصدوق والشيخ الطوسي (قدس الله أسرارهم والبرقي في المحاسن عن أبي

جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (قال رسول الله ﷺ) لعلي (عليه السلام): يا علي أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها، ثم قال: اللهم أعنه، أما الأولى: فالصدق لا يخرجن من فيك كذبة أبداً، والثانية: الورع لا تجترين على خيانة أبداً، والثالثة: الخوف من الله كأنك تراه، والرابعة: كثرة البكاء من خشية الله عز وجل يبنى لك بكل دمعة بيت في الجنة، والخامسة: بذل مالك ودمك دون دينك، والسادسة: الأخذ بسنتي في صلاتي وصيامي وصدقتي، أما الصلاة فالخمسون ركعة، وأما الصوم فثلاثة أيام في كل شهر خميس في أوله، وأربعاء في وسطه، وخميس في آخره، وأما الصدقة فجهدك حتى يقال: أسرفت ولم تسرف، و عليك بصلاة الليل و عليك بصلاة الليل و عليك بصلاة الليل، و عليك بصلاة الزوال، و عليك بقراءة القرآن على كل حال، و عليك برفع يديك في الصلاة، و تقليبهما، و عليك بالسواك عند كل وضوء و صلاة، و عليك بمحاسن الأخلاق فاركبها، و عليك بمساوي الأخلاق فاجتنبها، فإن لم تفعل فلا تلومن إلا نفسك^(١).

(الثانية) وصية الإمام الصادق (عليه السلام) لعنوان البصري وكان شيخاً كبيراً حضر عند مالك بن أنس ثم هداه الله إلى الإمام الصادق (عليه السلام) وجاء في الرواية (ثم قال (عليه السلام): ما سألتك؟ فقلت: سألت الله أن يعطف قلبك علي ويرزقني من علمك، وأرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته، فقال: يا أبا عبد الله (وهي كنية عنوان البصري أيضاً) ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في

(١) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس وما يناسبه، باب ٤، ح ٢.

نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك. قلت: يا شريف فقال: قل يا أبا عبد الله، قلت: يا أبا عبد الله ما حقيقة العبودية؟ قال: ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوَّله الله ملكاً، لأن العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به، ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً، وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوَّله الله تعالى ملكاً هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه، وإذا فوض العبد تدبير نفسه على مدبره هان عليه مصائب الدنيا، وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس، فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا، وإبليس، والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثراً ونفاخراً، ولا يطلب ما عند الناس عزاً وعلواً، ولا يدع أيامه باطلاً، فهذا أول درجة التقى، قال الله تبارك وتعالى: [تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ]. قلت: يا أبا عبد الله أوصني، قال: أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى، والله أسأل أن يوفقك لاستعماله، ثلاثة منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم، فاحفظها وإياك والتهاون بها، قال عنوان: ففرغت قلبي له. فقال: أما اللواتي في الرياضة: فإياك أن تأكل ما لا تشتهي^(١) فإنه يورث الحماسة والبله، ولا تأكل إلا عند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالاً وسمّ الله، واذكر حديث الرسول (ﷺ): ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه فإن كان ولا بد فثلث لطعامه

(١) أي لا تأكل شيئاً قبل أن تجوع فتشتهي.

وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه.

وأما اللواتي في الحلم: فمن قال لك: إن قلت واحدة سمعت عشراً فقل: إن قلت عشراً لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل له: إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي، وإن كنت كاذباً فيما تقول فالله أسأل أن يغفر لك، ومن وعدك بالخنى^(١) فعدده بالنصيحة والرعاء.

وأما اللواتي في العلم: فاسأل العلماء ما جهلت، وإياك أن تسألهم تعتاً و تجربة وإياك أن تعمل برأيك شيئاً، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً، واهرب من الفتيا هربك من الأسد، ولا تجعل رقبتك للناس جسراً.
قم عني يا أبا عبد الله فقد نصحت لك ولا تفسد علي وردي، فإني امرؤ ضنين بنفسي^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
[قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ]

(١) الخنى: الفحش في الكلام.

(٢) بحار الأنوار: ٢٢٤/١.

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ^(١)

(الفتح : ٢)

معنى إستغفار المعصومين عليهم السلام

ورد في دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة: (ثم إني يا إلهي المعترف بذنوبي فاغفرها لي، أنا الذي أخطأت أنا الذي هممت، أنا الذي جهلت..). إلى أن يقول (عليه السلام): (إلهي أمرتني فعصيتك ونهيتني فارتكبت نهيك).

ومثل هذا الاعتراف بالذنب بين يدي الله تبارك وتعالى تكرر كثيراً في أدعيتهم ومناجاتهم (سلام الله عليهم) كقول الإمام السجاد (عليه السلام) في دعاء أبي حمزة: (أنا يا رب الذي لم أستحيك في الخلاء ولم أراقبك في الملاء أنا صاحب الدواهي العظمى أنا الذي على سيده اجترأ، أنا الذي عصيت جبار السما، أنا الذي أعطيت على معاصي الجليل الرُشى، أنا الذي حين بُشرت بها خرجت إليها أسعى، أنا الذي أمهلتني فما ارعويت وسترت عليّ فما استحييت وعملت بالمعاصي فتعديت).

وهنا يُثار سؤال أو إشكال من جهة المنافاة ظاهراً بين ما نعتقده من عصمة الأئمة (عليهم السلام) وعدم صدور الذنب والمعصية منهم، وبين الإقرار والاعتراف الوارد في هذه الأدعية والمناجاة.

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الأضحى عام ١٤٣٢ الموافق ٢٠١١/١١/٧م.

ويقال في الجواب أحياناً أنهم إنما يتحدثون بلسان الناس الآخرين لأنهم (عليه السلام) في مقام التعليم للناس فيلقنونهم ما يقولون عندما يقفون بين يدي الله تبارك وتعالى، كما علم الله تعالى عباده في سورة الحمد ما يقولون عندما يقفون بين يدي الله تبارك وتعالى في الصلاة وغيرها.

وهذا الجواب قد يناسب صدور بعض تلك الأدعية لكنه لا يفسرها كلها، لأن الإمام (عليه السلام) يعبر فيها فعلاً عن وجدانه وعن مشاعره تجاه الخالق العظيم. ويروى هذا الجواب عن ابن طاووس، فقد قال الأربلي في كشف الغمة: ((كنت أرى الدعاء الذي كان يقوله أبو الحسن موسى (عليه السلام) في سجدة الشكر وهو (رب عصيتك بلساني ولو شئت وعزتك لأخرستني، وعصيتك ببصري ولو شئت وعزتك لأكمهنتي.. وعصيتك بجميع جوارحي التي أنعمت بها عليّ لم يكن هذا جزاك مني) فكنت أفكر في معناه وأقول كيف ينزل على ما تعتقده الشيعة من القول بالعصمة وما اتضح لي ما يدفع التردد الذي يوجهه)). فاجتمع بالسيد علي بن طاووس (قدس الله روحه) وسأله عن ذلك فقال: ((إن الوزير مؤيد الدين العلقمي رحمته الله سألتني عنه فقلت كان يقول هذا ليعلم الناس، ثم إنني فكرت بعد ذلك فقلت هذا كان يقوله في سجده في الليل وليس عنده من يعلمه)).

((ومات السيد ابن طاووس رحمته الله فهداني الله إلى معناه ووقفني على فحواه فكان الوقوف عليه والعلم به وكشف حجابهِ بعد السنين المتطاولة والأحوال المحرمة والأدوار المكررة من كرامات الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.....(٣٥٧)

ومعجزاته ولتصح نسبه العصمة إليه (عليه السلام) وتصدق على آبائه وأبنائه البررة الكرام وتزول الشبهة التي عرضت من ظاهر هذا الكلام.

وتقريره أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام تكون أوقاتهم مشغولة بالله تعالى وقلوبهم مملوءة به وخواطرهم متعلقة بالمأ الأعلى وهم أبداً في المراقبة كما قال (عليه السلام) اعبد الله كأنك تراه فإن لم تره فإنه يراك.

فهم أبداً متوجهون إليه ومقبلون بكلهم عليه فمتى انحطوا عن تلك الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرغ إلى النكاح وغيره من المباحات عدوه ذنباً واعتقدوه خطيئة واستغفروا منه.

ألا ترى أن بعض عبید أبناء الدنيا لو قعد وأكل وشرب ونكح وهو يعلم أنه بمرأى من سيده ومسمع لكان ملوماً عند الناس ومقصراً فيما يجب عليه من خدمة سيده ومالكة فما ظنك بسيد السادات وملك الأملاك. وإلى هذا أشار (عليه السلام) أنه ليران على قلبي وأني لأستغفر بالنيهار سبعين مرة ولفظه السبعين إنما هي لعد الاستغفار لا إلى الرين وقوله حسنات الأبرار سيئات المقربين))^(١).

ثم قال: ((ونزيده إيضاحاً من لفظه ليكون أبلغ من التأويل ويظهر من قوله (عليه السلام): (وعصيتك بفرجي ولو شئت وعزتك لأعقمتني) أعقمتني والعقيم الذي لا يولد له والذي يولد من السفاح لا يكون ولداً فقد بان بهذا أنه كان يعد اشتغاله في وقت ما بما هو ضرورة للأبدان معصية يستغفر الله منها وعلى هذا فقس البواقي وكلما يرد عليك من أمثالها)).

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٤٧/٣-٤٨.

وقد ذكر العلامة المجلسي (تدبُّر) هذا الوجه ووجوهاً أخرى لفهم صدور هذه الأقوال منهم (عليه السلام)، قال (تدبُّر): ((فأما ما يوهم خلاف ذلك - أي عصمتهم (عليه السلام) - من الأخبار والأدعية وهي مؤولة بوجوه: -

١- ((أن ترك المستحب وفعل المكروه قد يسمى ذنباً وعصيانياً بل ارتكاب بعض المباحات أيضاً بالنسبة إلى رفعة شأنهم وجلالتهم ربما عبروا عنه بالذنب لانحطاط ذلك عن سائر أحوالهم كما مرت الإشارة إليه في كلام الأربلي رحمته.
٢- إنهم بعد انصرفهم عن بعض الطاعات التي أمروا بها من معاشرة الخلق وتكميلهم وهدايتهم ورجوعهم عنها إلى مقام القرب والوصال ومناجاة ذي لجلال ربما وجدوا أنفسهم لانحطاط تلك الأحوال عن هذه المرتبة العظمية مقصرين، فيتضرعون لذلك وإن كان بأمره تعالى، كما أن أحداً من ملوك الدنيا إذا بعث واحداً من مقربي حضرته إلى خدمة من خدماته التي يحرم بها من مجلس الحضور والوصال فهو بعد رجوعه يبكي ويتضرع وينسب نفسه إلى الجرم والتقصير لحرمانه عن هذا المقام الخطير.

٣- إن كمالاتهم وعلومهم وفضائلهم لما كانت من فضله تعالى، ولولا ذلك لأمكن أن يصدر منهم أنواع المعاصي، فإذا نظروا إلى أنفسهم وإلى تلك الحال أقروا بفضل ربهم وعجز أنفسهم بهذه العبارات الموهمة لصدور السيئات فمفادها أنني أذنبت لولا توفيقك، وأخطأت لولا هدايتك)).

أقول: هذا المعنى ذكره الأئمة (عليهم السلام) في أدعيتهم كما في دعاء الصباح عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إلهي إن لم تبتدئي الرحمة منك بحسن التوفيق، فمن

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..... (٣٥٩)

السالك بي إليك في واضح الطريق؟ وإن أسلمتني أناتك لقائد الأمل والمنى فمن المقييل عثراتي من كبوات الهوى؟ وإن خذلني نصرك عند محاربة النفس والشيطان فقد وكنني خذلانك إلى حيث النصب والحرمان).

٤- ((إنهم لما كانوا في مقام الترقى في الكمالات والصعود على مدارج الترقيات في كل آن من الآتات في معرفة الرب تعالى وما يتبعها من السعادات فإذا نظروا إلى معرفتهم السابقة وعملهم معها اعترفوا بالتقصير وتابوا منه، ويمكن أن ينزل عليه قول النبي ﷺ: (وإني لاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة)).

أقول: هذا معنى مجرّب في حياتنا فالعالم أو الباحث الذي ينضج علمه ويتعمق ويتسع تدريجياً عندما يراجع ما كتبه وما قدمه قبل سنين فإنه يخجل منه ويعترف بالتقصير إزاءه وربما يطلب إتلافه وتغييبه مع أنه كان يمثل قدراته في ذلك الوقت وكان مقتنعاً به، إلا أنه لما ترقى صار يراه موجباً للخجل والاعتذار. أما كونهم (صلوات الله عليهم أجمعين) في ارتقاء وزيادة حتى بعد وفاتهم فهذا ما نطق به الروايات لذا ورد الحث على الدعاء لهم بطلب الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود والصلاة عليهم، وورد في ذلك قول الإمام الصادق (عليه السلام): (لولا أنا زداد لأنفدنا)^(١).

٥- إنهم ﷺ لما كانوا في غاية المعرفة لمعبودهم فكل ما أتوا به من الأعمال بغاية جهدهم ثم نظروا إلى قصورها عن أن يليق بجناب ربهم عدوا طاعاتهم

(١) أصول الكافي: ج ١، كتاب الحجّة، باب: لو أن الأئمة زدادون لنفد ما عندهم.

من المعاصي واستغفروا منها كما يستغفر المذنب العاصي.
ومن ذاق من كأس المحبة جرعة شائقة لا يأبى عن قبول تلك الوجوه
الرائقة، والعارف المحب الكامل إذا نظر إلى غير محبوبه أو توجه إلى غير
مطلوبه يرى نفسه من أعظم الخاطئين، رزقنا الله الوصول إلى درجات
المحبين^(١).

وهذا المعنى عرفي أيضاً فإن من حلّ به ضيف عالي الشأن وقدم له غاية
جهده إلا أنه يواصل اعتذاره عن التقصير؛ لأنه يرى أن ما قدمه وإن كان كل ما
يستطيع تقديمه إلا أنه بلحاظ مقام ذلك الضيف يرى كل ما قدمه موجباً
للخجل والاعتذار.

ونضيف وجوهاً أخرى إلى ما ذكره (تَدَبُّرٌ) مع المحافظة على الترتيب.

٦- إنهم (عليه السلام) يستغفرون من الذنوب التي تحسب عليهم بما اجترح
أتباعهم، وهذا معنى أخلاقي جرت عليه السيرة العقلانية، فإن المرجع يتحمل
أوزار أتباعه إذا أسأؤوا، والأب يعتبر نفسه مسؤولاً عما جناه ابنه، والمدير
لمؤسسة ما يعتبر نفسه مسؤولاً عن تقصير أحد موظفيه، أو خيانتهم، فيقدم
الاعتذار ويتحمل التبعة وقد يستقيل من موقعه.

فالمعصومون (عليه السلام) يستغفرون الله تعالى من التبعات التي لحقتهم بسبب سوء
تصرفات أتباعهم بل هم آباء لهذه الأمة بنص الحديث النبوي الشريف: (يا
علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة)، فما يصدر من الأمة يحسب عليهم.

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ (٣٦١)

ووردت في بعض الروايات كما في تفسير القمي بسنده عن عمر بن يزيد قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام) قول الله عز وجل في كتابه [لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ] قال عليه السلام: ما كان له ذنب ولا همٌّ بذنب ولكن الله حمّله ذنوب شيعته ثم غفرها له^(١).

لذا وردت الوصايا عن المعصومين عليهم السلام لشيعتهم: (كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً).

٧- إنهم عليهم السلام يعتبرون أنفسهم مذنبين ومقصرين ما دام يوجد فرد في هذه الدنيا لم يتكامل ولم يحقق العبودية الكاملة في حياته؛ لأن هذا يعني أنهم عليهم السلام لم يحققوا هدفهم ولم تنجح وظيفتهم بشكل كامل وهي بسط التوحيد الخالص في الأرض، فكيف إذا كانت أكثر البشرية ضالة [وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ] (يوسف: ١٠٣).

وهذا النقص في تحقيق الغرض وإن كان بسبب خارج عنهم وهو سوء اختيار المتلقي من الناس وعدم استجابتهم لداعي الحق، أي في قابلية القابل وليس في فاعلية الفاعل كما يعبرون، إلا أنهم عليهم السلام على أي حال يشعرون بالذنب والتقصير وحرقة القلب لعدم اكتمال أهداف رسالتهم، ويطلبون من الله تعالى العفو والصفح.

ولذا وردت تطمينات من الله تبارك وتعالى لنيبه وعفو عن مسؤولية هذه

(١) تفسير القمي: ٢/٢٩٠ وأوردها عنه العلامة المجلسي في البحار: ١٧/٨٩ ح ١٩.

النتائج المؤسفة، وتطيب لقلبه (ﷺ)، قال تعالى: [فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ^(١) نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا] (الكهف:٦) وقال تعالى: [لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ] (الشعراء:٣).

٨- في ضوء الحديث المروي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (ﷺ): لم يُعبد الله عز وجل بشيء أفضل من العقل، ولا يكون المؤمن عاقلاً حتى يجتمع فيه عشر خصال) إلى أن قال (ﷺ): (والعاشرة وما العاشرة: لا يرى أحداً إلا قال: هو خير مني وأتقى، إنما الناس رجلان فرجلٌ هو خير منه وأتقى، وآخر هو شر منه وأدنى، فإذا رأى من هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به، وإذا لقي الذي هو شرُّ منه وأدنى قال: عسى خير هذا باطن وشره ظاهر، وعسى أن يختم له بخير، فإذا فعل ذلك فقد علا مجده، وساد أهل زمانه)^(٢).

أقول: عقول المعصومين (عليهم السلام) هي أكمل العقول فهذا التواضع وهذا الشعور بأنه أقل الخلق أمام الله تعالى في أعلى درجاته عندهم (عليهم السلام)؛ لأنهم لا ينظرون إلى أنفسهم ولا يتكلمون على أعمالهم مهما عظمت وخلصت ولا يأمنون مكر الله تعالى وهم يتلون خطاب الله لجدهم المصطفى (ﷺ) سيد الخلق: [وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ] (الزمر:٦٥) ويقول (ﷺ): (لو عصيت لهويت).

(١) باخِع: أي قاتل.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق (رضوان الله عليه): ٤٣٣/٢ أبواب العشرة، ح ١٧.

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..... (٣٦٣)

والحكاية المروية عن كلیم الله موسى بن عمران (عليه السلام): (إن الله سبحانه أوحى إلى موسى (عليه السلام): إذا جئت للمناجاة فاصحب معك من تكون خيراً منه، فجعل موسى لا يعترض (يعرض) أحداً إلا وهو لا يجسر (يجتري) أن يقول: إني خير منه، فنزل عن الناس وشرع في أصناف الحيوانات حتى مر بكلب أجرب فقال: أصحاب هذا فجعل في عنقه حبلاً ثم جرّ به فلما كان في بعض الطريق شمر الكلب من الجبل وأرسله، فلما جاء إلى مناجاة الرب سبحانه قال: يا موسى أين ما أمرتك به؟ قال: يا رب لم أجده فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لو أتيتني بأحد لمحوتك من ديوان النبوة)^(١).

٩- إن استغفار المعصومين (عليهم السلام) إنما هو من وجود مقتضيات الذنب والمعصية فيهم وإن كانت عندهم الملكة القدسية الرادعة عن توظيفها إلا في طاعة الله تبارك وتعالى، فتعتبر الشهوة الجنسية شراً بمعنى من المعاني، وكذا الغضب لأنها مناشئ الذنوب، ففي الخصال بسنده عن هشام بن الحكم في تفسير عصمة الإمام قال: ((إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة فهذه منتفية عنه))^(٢).

فالأئمة يستغفرون من وجود هذه المقتضيات للذنوب عندهم وإن كانوا بلطف الله تبارك وتعالى لا يستعملونها إلا في ما يرضي الله تبارك وتعالى كما في معاني الأخبار بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (المعصوم وهو الممتنع

(١) عدة الداعي لابن فهد الحلبي: ٢٠٤

(٢) الخصال: ٢١٥/١ أبواب الأربعة، ح ٣٦.

بالله من جميع محارم الله وقد قال تبارك وتعالى: [وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] (آل عمران: ١٠١) (١).

١٠- إن الله تعالى يقول: [وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا] (إبراهيم: ٣٤) فإذا كان الإنسان عاجزاً عن معرفة نعم الله وعدّها فكيف يتسنى له شكرها فهو عن أداء الشكر أعجز وفي ذلك ورد في دعاء للإمام السجاد (عليه السلام): (ونعمائك كثيرة قصر فهمي عن إدراكها فضلاً عن استقصائها، فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر إلى شكر، فكلما قلت لك الحمد وجب عليّ لذلك أن أقول لك الحمد) (٢).

فإذا ضمنا إلى ذلك مقدمة أخرى مأخوذة من وصية الإمام الكاظم (عليه السلام) المشهورة لهشام بن الحكم وفيها (يا هشام إن كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بها) (٣) ينتج وجه جديد لفهم الذنوب وهو العجز عن أداء شكر النعم، ويكون الشعور بالذنب أكبر كلما كانت النعم أكثر، ولذا يشعر الأئمة المعصومون (عليهم السلام) أنهم أكثر الخلق ذنباً كقوله (عليه السلام): (وما في الوري شخص جنا كجنايتي) لأنهم حُبوا بأعظم النعم فقد أعطاهم الله تعالى منزلة يغبطهم عليها الأولون والآخرون وخلق الكون لأجلهم.
أيها الأحبة:

(١) معاني الأخبار: ١٣٢ باب ٦٤، ح ٢.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٩٨ مناجاة الشاكرين.

(٣) تحف العقول: ٣٨٣-٤٠٢.

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.....(٣٦٥)

حينما نذكر هذه الوجوه التي هي صحيحة وقد يناسب بعضها بعض الموارد وبعضها موارد غيرها، فإنما نريد تحصيل عدة أمور:-

١- دفع هذا الإشكال والدفاع عن عقيدتنا في عصمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) التي هي ثابتة بأدلة قطعية تفوق الحصر والاستقصاء.

٢- أن نتعرف على طبيعة العلاقة مع الله تبارك وتعالى من خلال التأسّي بما كان يقوم به المعصومون (عليهم السلام).

٣- أن نستشعر المسؤولية تجاه أفعالنا بل أفعال كل من يمكن أن تُحسب تصرفاته علينا، وتزداد سعة التبعة بسعة دائرة المسؤولية، فلا بد أن نكون مراقبين متابعين محاسبين حازمين والله المستعان.

(وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) (البقرة: ١٩٧)

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد^(١)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله
الطيبين الطاهرين.

قال الله تعالى: [وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ]
(البقرة: ١٩٧).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (عبادَ الله، الله الله في أعزِّ الأنفس عليكم،
وأحبِّها إليكم، فإن الله قد أوضح لكم سبيل الحق، وأثار طُرُقَه، فَشَقَّوهُ لازمة، أو
سعادة دائمة، فتزودوا في أيام الفناء لأيام البقاء، قد دُلِّتم على الزاد، وأمّرتم
بالظعن، وحشتم على المسير، فإنما أنتم كركبٌ وقوف، لا يدرون متى يؤمرون
بالمسير، ألا فما يصنع بالدنيا من خلقٍ للآخرة، وما يصنع بالمال من عمّا قليل
يُسَلِّبُه، وتبقى عليه تبعته وحسابه.

عبادَ الله، احذروا يوماً تُفحص فيه الأعمال، ويكثر فيه الزلزال، وتشيب فيه
الأطفال)^(٢).

(١) خطبتا عيد الفطر عام ١٤٣٣ المصادف ٢٠١٢/٨/٢٠، والعنوان كلمة لأمير المؤمنين وردت في
نهج البلاغة، الحكمة (٤٢٨).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (١٥٧).

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد (٣٦٧)

ومن خطبة له (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ، زاد مبلغ، ومعاذ منجح) (فبادروا العمل، وخافوا بغتة الأجل، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق، ما فات اليوم من الرزق رُجى غداً زيادته، وما فات أمس من العمر لم يُرَجَ اليوم رجعته، الرجاء مع الجائي، واليأس مع الماضي ف[اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] (آل عمران: ١٠٢) (١).

سئل الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن معنى التقوى وتفسيرها، فاختصر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الجواب بقوله: (أن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك) (٢).
فللتقوى ركنان:

(الأول) ترك ما يكره الله تبارك وتعالى ويسخطه، وهو أوسع من المحرمات فيشمل المكروهات المؤثرة في تكامل الإنسان وتقربه من الله تعالى.
(الثاني) فعل ما يحبه الله تعالى ويرضاه وهو أعم من الواجبات فيشمل المستحبات الموجبة لرضا الله تبارك وتعالى ومحبته.

فمن أراد الكمال سار بهذين الطريقين معاً، ولا يغني أحدهما عن الآخر، فمن قام ببعض الطاعات لكنه لم يجتنب المعاصي والعياذ بالله، فإنه يهدم ما بناه بتلك الطاعات وسوف لا يقوم له بناء أبداً، روي عن المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) قولهم: (جدّوا واجتهدوا، وإن لم تعملوا فلا تعصوا، فإن من بيني ولا يهدم يرتفع بناؤه)

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١١٤).

(٢) بحار الأنوار: ٢٨٥/٧٠، ح ٨

وإن كان يسيراً، وإن من يبني ويهدم يوشك أن لا يرتفع بناؤه^(١).

ونفس المعنى يجري في الأمراض البدنية، فإن من ابتلي بمرض معين - كالسكري أجازكم الله تعالى منه - فإن الطبيب يأمره بأخذ بعض العلاجات وينهاه عن ارتكاب بعض الأفعال أو تناول أطعمة تضره بكميتها أو نوعها، فإذا أراد الحفاظ على صحته فلا بد أن يأخذ بهما معاً.

ولو حاولنا ترجيح أحد الركنين على الآخر أو قل بيان أيهما أهم وأكثر تأثيراً في تحصيل التكامل فإن الجواب يكون لصالح الاجتناب عما يسخطه الله تبارك ويكرهه، وقد دلت عليه بعض الأحاديث الشريفة كقول أمير المؤمنين (ع) (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (اجتناب السيئات أولى من اكتساب الحسنات)^(٢)، ومنها ما ورد في خطبة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في آخر جمعة من شعبان لاستقبال شهر رمضان، وسأله علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن أفضل الأعمال في هذا الشهر قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الورع عن محارم الله).

فمعرفة الذنوب - بمداها الواسع ومراتبها الكثيرة بحسب مستويات الأشخاص - وتحصيل القدرة على اجتنابها - صغيرها وكبيرها - مما يهتم به الساعون إلى الكمال، لذا فقد شغل حيز كبير من القرآن الكريم بيان الذنوب وآثارها في الدنيا وعاقبتها في الآخرة والتحذير منها وبيان ما يكفرها ويزيل آثارها، وقصص الأمم التي عكفت على المعاصي ولم تجتنبها وما حلّ بها من

(١) بحار الأنوار: ٢٨٦/٧٠، ح ٨

(٢) غرر الحكم: ١٥٢٢.

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد (٣٦٩)

العذاب بسبب ذلك، والحياة السعيدة لمن اجتنبها، ولو حاولنا جمعها لوجدنا أن القرآن الكريم كله يعالج هذه القضية بشكل مباشر أو غير مباشر.

لماذا يذنب العبد؟

لا يمكن التقليل من قوة ضغط الذنوب والخطايا على الإنسان حتى يندفع إلى ارتكابها مع كثرة ما يعرف عن آثارها الوخيمة في الدنيا وعاقبتها الفظيعة في الآخرة، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (ألا وإن الخطايا خيلٌ شمسٌ حُمِلَ عليها أهلها وخُلعت لُجُمها فتَحَمَّت بهم في الناس) (١) فالخطايا كالخيول العنيدة المتمردة على صاحبها ولا لجام لها ليمسك بها فتتحم بصاحبها إلى المخاطر.

وهنا يأتي السؤال: من أين جاءت هذه القوة للخطايا؟ أو قل: إذا كانت الذنوب بهذه الخطورة وهذا التأثير المدمر في حياة الإنسان فلماذا يرتكبها، وهذا بحث نفسي واجتماعي وقد يحتاج إلى إجراء استبيان، ولكن يمكن الاستفادة بعض مناشئ الذنوب مما ورد في الروايات الشريفة، ينفع الالتفات إليها في اجتنابها وتوقئها، عن الإمام الباقر (عليه السلام): (توقئ الصرعة خير من سؤال الرجعة) (٢) :-

١- الجهل وهو على أشكال، منها الجهل بمقام الربوبية ووظائف العبودية، فإن من يعرف الله تعالى يتجنب المعاصي بمقدار تلك المعرفة ويؤتبه الله تعالى

(١) بحار الأنوار: ٣/٧٨، ح ٥١.

(٢) بحار الأنوار: ١٨/٧٨، ح ٣١.

فرقانا يميز به بين الحق والباطل [إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ] [الأنفال: ٢٩]، حتى إذا اكتملت عنده المعرفة - كالمعصومين (عليه السلام) - أصبح عبداً خالصاً لله تعالى ينفر بطبعه من المعصية ويتفرز منها، فمن رأى الغيبة على حقيقتها ووجدها أكلاً للحم أخيه ميتاً هل يقدم عليها؟ ومن رأى الدنيا جيفة قد اجتمعت عليها الكلاب هل يتنافس عليها، وهكذا.

ثم الجهل بأمور الدين، فما دام الإنسان لم يتفقه في دينه ولم يتعرف على ما يقربه إلى الله تعالى ويجنبه سخطه فإنه يتورط في المعاصي من حيث يعلم أو لا يعلم، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (جهل المرء بعيوبه من أكبر ذنوبه)^(١)؛ وكتطبيق لهذا المبدأ فقد ورد في التجارة قول الإمام الصادق (عليه السلام): (من أراد التجارة فليتفقه في دينه ليعلم بذلك ما يحلُّ له مما يحرم عليه، ومن لم يتفقه في دينه ثم اتجر تورط في الشبهات)^(٢).

والتحذير لا يختص بالتجارة وإنما يعم كل شؤون الحياة؛ لأنها كلها مقننة بأحكام في الشريعة، فالجهل بها يوقع في المعصية كجهل رب الأسرة بأن كثيراً مما يفعله في البيت هو ظلم لزوجته وأسرته، والظلم ذنب لا يغفر حتى يرضى المظلوم.

٢- وجود الدوافع وأصول الذنوب في النفس الإنسانية المعبر عنها بالغرائز

(١) بحار الأنوار: ٩١/٧٨، ح ٩٥.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٨٣/١٢، كتاب التجارة، أبواب، / آداب التجارة، باب ١، ح ٤.

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد (٣٧١)

والشهوات والتي خلقت أصلاً لتؤدي أدواراً إيجابية في حياة الإنسان ولتكمّل قواه الأخرى كالعقلية والجسدية والقلبية، لكنها إذا خرجت عن حدها إلى جانب الإفراط أو التفريط كان سبباً للوقوع في المعاصي، أشار إلى هذه القوى هشام بن الحكم في ما نقل عنه ابن أبي عمير في الاستدلال على عصمة الإمام (عَلَيْهِ السَّلَام) قال: (إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة، فهذه منتفية عنه -أي المعصوم- ثم بين ذلك) فراجعه^(١).

٣- ويعاضدها الشيطان بالتزيين والإغواء والتطمين والتهوين من الأمر حتى يقارف الذنب والمعصية قال تعالى حاكياً عن إبليس: [قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ] (الحجر: ٣-٤٠). وفي دعاء للإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَام): (فلولا أن الشيطان يخذعهم عن طاعتك ما عصاك عاصٍ، ولولا أنه صور لهم الباطل في مثال الحق ما ضلّ عن طريقك ضال)^(٢). وفي مناجاة الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَام): (إلهي أشكو إليك عدواً يضلني، وشيطاناً يغويني .. يعاضد لي الهوى ويزين لي حبّ الدنيا، ويحول بيني وبين الطاعة والزلفى)^(٣) وقد ورد التحذير من إغراء الشيطان وإغوائه كثيراً في القرآن الكريم والروايات الشريفة مما لا يخفى على أحد.

هذا التزيين الشيطاني وهذه الموافقة لأهواء النفس وشهواتها جعل للخطايا

(١) بحار الأنوار: ١٩٢/٢٥، ح ١ عن كتب الشيخ الصدوق (قدس سره) معاني الأخبار والعلل والأُمالي والعيون.

(٢) الصحيفة السجادية: الدعاء ٣٧.

(٣) مفاتيح الجنان: ١٦٧، مناجاة الشاكين.

تأثيراً ساحراً يسكر صاحبه حتى يتورط فيها، قال رسول الله (ﷺ): (احذروا سكر الخطيئة، فإن للخطيئة سكرًا كسكر الشراب، بل هي أشدُّ سكرًا منه، يقول الله تعالى: [صُمُّ بَكْمٌ عَمِيٌّ فَهَمٌّ لَا يَرْجِعُونَ] (البقرة: ١٨) (١).

٤- الاغترار بالستر الإلهي على العاصين وعدم فضح الإنسان بذنبه (فلو اطلع اليوم على ذنبي غيرك ما فعلته ولو خفتُ تعجيل العقوبة لاجتنبتة، لا لأنك أهون الناظرين إليّ وأخفُ المطلعين عليّ بل لأنك يا ربّ خير الساترين.. وأكرم الأكرمين .. تستر الذنب بكرمك وتؤخر العقوبة بحلمك) (الحمد لله الذي يحلم عني حتى كأني لا ذنب لي) (٢).

وذلك كله لسعة رحمة الله وطول أناته على ذنوب عباده رحمة بالعباد وإعطاءهم مزيداً من الفرص للندم والرجوع والإقلاع عن الذنب، وحباً من الله لعباده وشفقة عليهم، فيتمادى الإنسان ويغتر، ظاناً أن الفرصة مفتوحة على الدوام، ولا يعلم أنه قد يوصله تماديه واغتراره إلى حد هتك الستر وانغلاق الباب وسدّ الفرصة، قال تعالى: [إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا، وَكَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا] (النساء: ١٧-١٨).

٥- استصغار الذنب والاستخفاف به لما ارتكز في الذهن من أن الذنوب

(١) بحار الأنوار: ١٠٢/٧٧، ح ١.

(٢) المقطعان من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي.

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد (٣٧٣)

الموعود بها النار هي الكبائر أما غيرها فيمكن ارتكابها، وهذا التفكير بحد ذاته من الكبائر لما فيه من الجرأة على الله تعالى وعدم الاعتبار بعظمته وعلو شأنه وهو موجب لسخط الله وسلب اللطف عن العبد فتؤدي به هذه الصغائر إلى الوقوع في الكبائر والعياذ بالله.

لذا كثر التحذير من استصغار أي ذنب، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا تستصغروا قليل الآثام فإن الصغير يُحصى ويرجع إلى الكبير)^(١)، وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه: ائتوا بحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، قال: فليات كل إنسان بما قدر عليه، فجاؤوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): هكذا تجتمع الذنوب، ثم قال: إياكم والمحقرات من الذنوب، فإن لكل شيء طالباً، ألا وإن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبین)^(٢)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: أعظم الذنوب عند الله سبحانه ذنب صغر عند صاحبه)^(٣) وعنه (عليه السلام): (إن الله أخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغروا شيئاً من معصيته، فربما وافق سخطه وأنت لا تعلم)^(٤).

٦- الغفلة، فإن كثيراً من الذنوب -وبعضها من الكبائر- ترتكب لا للجهل

(١) الخصال: ٦١٦، ح ١٠.

(٢) الكافي: ٢/٢٨٨، ح ٣.

(٣) غرر الحكم: رقم ٣١٤١.

(٤) بحار الأنوار: ٣٤٩/٧٣، ح ٤٣.

بها وإنما للغفلة كالغيبة التي يُعلم أنها من الكبائر ووصفها الله عز وجل بأشنع الأوصاف وهي إدام أهل النار، ومع ذلك فقد أصبحت الغيبة فاكهة المجالس والمادة الرئيسية للأحاديث، فينبغي للمؤمن أن يتجنب الغفلة بترك المقدمات الموجبة لها، وإذا عرضت عليه فليخرج منها فور التفاته؛ بذكر الله تعالى، قال عز وجل: [إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ] (الأعراف: ٢٠١) وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (الغفلة ضلالة)^(١) وعنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (إياك والغفلة والاعتزاز بالمهلة، فإن الغفلة تفسد الأعمال)^(٢). ومن وصايا النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لأبي ذر: (هُمَّ بِالْحَسَنَةِ وَإِنْ لَمْ تَعْمَلْهَا لِكَيْلَا تَكْتَبَ مِنَ الْغَافِلِينَ)^(٣).

٧- سوء الخلق، عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لكل ذنب توبة إلا سوء الخلق، فإن صاحبه كلما خرج من ذنب دخل في ذنب)^(٤).

٨- الاختلاط الكثير مع الناس ومجالسة البطالين، والخوض في فضول الكلام، فهذه الأمور كلها مظنة الوقوع في الذنوب والمحرمات؛ لذا ورد التحذير من حضور هذه المجالس والمشاركة في اللغو الباطل [وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ] (المدثر: ٤٥)، عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (مجالسة أهل

(١) غرر الحكم: ١٩٦، ٢٧١٧.

(٢) ميزان الحكمة: ٣/٢٢٨٧.

(٣) مكارم الأخلاق: ٢/٣٧٨.

(٤) بحار الأنوار: ٤٨/٧٧، ح ٣.

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد (٣٧٥)

الهوى منسأة^(١) للإيمان ومحضرة للشيطان^(٢)، وفي الحديث عن رسول الله (ﷺ): (أكثر الناس ذنباً أكثرهم كلاماً في ما لا يعنيه)^(٣) وعن أمير المؤمنين (ﷺ): (إياك والهذر، فمن كثر كلامه كثر آثامه) وعنه (ﷺ): (الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فربّ كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة).

٩- سوء فهم بعض ما ورد في الروايات الشريفة من الثواب على بعض الأفعال كدخول الجنة بالبكاء على الحسين (ﷺ) وإقامة شعائره وشفاعة أهل البيت (ﷺ)، فقد أعطى الله تعالى هذه الكرامات لأهل البيت (سلام الله عليهم) رحمة بالعباد لكي تسدّ الخلل والتقصير والقصور مع حسن النية والعزم على فعل الخير والطاعة وبذل الوسع في ذلك، وليس بأن تكون سبباً للتمادي والجرأة والعناد واللجاجة، قال تعالى: [وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى] (الأنبياء: ٢٨) وقال تعالى: [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ] (الأعراف: ١٥٦)، وكما عبّر الإمام الرضا (ﷺ) عن إعطاء هذه الدرجات أنه (بشرطها وشروطها) في حديث سلسلة الذهب المعروف.

وقد حذر الإمام الصادق (ﷺ) في وصيته عند وفاته وقد جمع أقرباءه

(١) منسأة بفتح الميم والهمزة: أي تأخير وتأجيل.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ٨٦

(٣) و الحديثان بعده في منتخب ميزان الحكمة: ٥٥٢.

ومتعلقه: (إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة)^(١) وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (لا تتهاون بصلاتك، فإن النبي (صلى الله عليه وآله) قال عند موته: ليس مني من استخف بصلاته)^(٢).

وقد لخص الإمام السجاد (عليه السلام) ذكر هذه الأسباب لمقارفة الذنوب بما ورد عنه في الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الذي يدعى به في أسحار شهر رمضان، قال (عليه السلام): (إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد ولا بأمرك مستخف ولا لعقوبتك متعرض ولا لوعيدك متهاون، لكن خطيئة عرضت وسوّلت لي نفسي وغلبي هواي وأعانني عليها شقوتي، وغرّني سترك المرخي عليّ) وقال (عليه السلام): (إلهي ما لي كلما قلت قد صلحت سريرتي، وقرب من مجالس التوابين مجلسي، عرضت لي بلية أزالتم قدمي ... سيدي لعلك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحيتني، أو لعلك رأيتني مستخفاً بحقك فأقصيتني أو لعلك رأيتني معرضاً عنك فقليتني، أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني، أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني، أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبينهم خليتني أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني، أو لعلك بجرمي وجريرتي كافيتني أو لعلك بقله حيائي منك جازيتني..)^(٣).

(١) مستدرک الوسائل: ٢٥/٣، ح ٢٩٢٣.

(٢) الكافي: ٢٦٩/٣، ح ٧.

(٣) دعاء أبي حمزة الثمالي، تجده في مفاتيح الجنان، أعمال أسحار شهر رمضان.

كيف نحصل القدرة على اجتناب الذنوب؟

إن اجتناب الذنوب يحتاج أولاً إلى معرفة تفصيلية بها لأن بعضها وإن كان معلوماً كالكبائر إلا أن الكثير منها غير معلوم وبعضها لا يلتفت إليها أحد كعدم قضاء حوائج المؤمنين والاهتمام بها، ففي رواية عن الإمام الصادق وولده الكاظم (عليهما السلام): (من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلط عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً) ^(١) وهكذا غيرها مما ذكرناه في خطاب سابق وذكرنا أمثلة عليها من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في الاستغفار من كل نعمة لم يشكرها أو ظلم أحداً عنده فلم ينصره وهكذا، ناهيك بالمحرمات المعروفة، وهذا يتطلب تفقهاً واطلاعاً مستمراً على كتب السلف الصالح والاستماع دائماً إلى المحاضرات الإرشادية والوعظية.

ومما يقلل فرصة ارتكاب الذنب زيادة المعرفة بالله تعالى وتقوية العلاقة به تبارك وتعالى، كتذكر أنه محسن إلينا بما لا يعد ولا يحصى من النعم، و [هَلْ جَزَاءَ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ] (الرحمن: ٦٠) و [أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ] (القصص: ٧٧) وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب ألا يعصى شكراً لنعمته) ^(٢)، وعن الإمام الرضا (عليه السلام) في حديث قال: (ولو لم يخوف الله الناس بجنة ولا نار لكان الواجب عليهم أن يطيعوه ولا يعصوه

(١) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب فعل المعروف، باب ٢٥،

ح ٥، ٩، ١٠.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٢٩٠.

لتفضله عليهم وإحسانه إليهم وما بدأهم به من إنعامه الذي ما استحقوه^(١).
أو الالتفات إلى أن الذنوب تمنع بعض عطاء الله تبارك وتعالى ونحن
محتاجون إليه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) المؤمنين (عليه السلام): (لو لم يرغب الله
سبحانه في طاعته لوجب أن يطاع رجاء رحمته)^(٢).

أو تذكر أنك بمحضر الله تبارك وتعالى وتحت نظره ولا تخفى عليه خافية
في السماوات والأرض [يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ] (غافر: ١٩)،
فمعصيته والحال هذه جراءة على جبار السماوات والأرض وتحدي لعظمته، من
وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر: (يا أبا ذر لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر
إلى من عصيت) ومن كلماته (صلى الله عليه وآله): (لا تنظروا إلى صغر الذنب ولكن انظروا
إلى من اجترأتم)^(٣).

أو أن يلتفت إلى أن هذا الذنب قد يوجب هتك الستر الذي ضربه الله تعالى
عليه فتفضحه الذنوب، أو أن ينال به سخط الله تعالى وغضبه بحيث لا تنفعه
توبة ولا تدركه الألفاظ الإلهية، فقد أخفى الله غضبه في معصيته، فلا يعلم أي
معصية توجب ذلك فعلى العبد أن يتوفاها جميعاً، من دعاء الإمام أمير المؤمنين
(عليه السلام): (وإن خذلني نصرك عند محاربة النفس والشيطان فقد وكلني خذلانك
إلى حيث النصب والحرمان). في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (للمؤمن
اثنان وسبعون سترًا فإذا أذنب ذنباً أنهتك عنه ستر، فإن تاب رده الله إليه وسبعة

(١) عيون أخبار الرضا: ١٨٠/٢.

(٢) غرر الحكم: ٧٥٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ١٦٨/٧٧، ح ٦.

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد (٣٧٩)

معه، وإن أبى إلا قدماً قدماً في المعاصي تهتك أستاره، فإن تاب ردها الله إليه ومع كل ستر منها سبعة، فإن أبى إلا قدماً قدماً في المعاصي تهتك أستاره وبقي بلا مستر وأوحى الله تعالى إلى ملائكته أن استروا عبدي بأجنتكم^(١).

وفي الكافي عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (من همّ بسيئة فلا يعملها فإنه ربما يعمل العبد السيئة فيراه الرب تعالى ويقول: وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعد ذلك أبداً)^(٢).

ومما يساعد على تجنب المعاصي أن يعلم بأن ارتكاب الذنب إيذاء وإساءة لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ولأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ولفاطمة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) والأئمة المعصومين (سلام الله عليهم) ونحن نحبهم ولا نريد إيذاءهم وهم مطّلعون على أعمال العباد، كما نطقت به الآية الكريمة: [وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ] (التوبة: ١٠٥)، روي عن الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: (ما لكم تسوؤون رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟ فقال رجل: جعلتُ فداك وكيف نسوؤه؟ قال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه فإذا رأى فيها معصية الله ساءه ذلك، فلا تسوؤوا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وسرّوه)^(٣).

ومن المعرفة الموجبة لتجنب المعاصي الالتفات إلى الهدف من وجودنا في هذه الدنيا وما ينبغي أن نصرف أعمارنا فيه مما يوصل إلى الغاية، وحينئذٍ سوف لا يكون للإنسان مجال للعب والعبث واللهو فضلاً عن ارتكاب

(١) بحار الأنوار: ٦٣/٧٣، عن نوادر الراوندي: ٦.

(٢) سفينة البحار: ٢١٦/٣، بحار الأنوار: ٣٠٨/٧٣.

(٣) مجالس المفيد: ١٩٦، المجلس ٢٣، ح ٢٩.

المعاصي، عن الإمام الكاظم (عليه السلام): (إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب؟ وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض)^(١).

آثار الذنوب على النفس والمجتمع في الدنيا والآخرة:

ومما يحفز على ترك الذنوب معرفة آثارها في الدنيا والآخرة، ونتعرض هنا لبعض آثارها في الدنيا، أما في الآخرة ابتداءً من الموت وما بعده من أهوال البرزخ والحساب ويوم القيامة فإن في القرآن الكريم ما يكفي لبيان تلك العظائم [يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ] (الحج: ٢) [يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا] (المزمل: ١٧) [بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] (البقرة: ٨١) [قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] (الأنعام: ١٥) [وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ] (النمل: ٩٠) وأهون ما يذكر من تلكم الآثار الحجب عن النعيم مدة قد تطول كثيراً، في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام وإنه لينظر إلى أزواجه في الجنة يتنعمن^(٢).

إن معرفة هذه الآثار الوخيمة للذنوب توجب على كل عاقل اجتنابها، عن الإمام علي (عليه السلام): (عجبت لأقوام يحتمون الطعام مخافة الأذى كيف لا

(١) بحار الأنوار: ٣٠١/٧٨، ح ١.

(٢) الكافي: ٢٧٢/٢، باب الذنوب، ح ١٩.

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد (٣٨١)

يحتمون الذنوب مخافة النار^(١) وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (عجبت لمن يهتمي من الطعام مخافة الداء كيف لا يهتمي من الذنوب مخافة النار)^(٢).
وقد حصلنا من الروايات على جملة من تلك الآثار:

١- قصر العمر وتعجيل الفناء بحيث يظهر من أقوال المعصومين شيء عجيب وهو: أن أكثر الناس لا يبلغون أعمارهم المقدره بسبب الذنوب مما يسمى بالأجل المخروم، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر)^(٣)، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممن يعيش بالأعمار)^(٤)، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (تجنبوا البوائق يُمَدُّ لكم في الأعمار)^(٥).

ومن الذنوب التي اشتهر أنها تعجل الفناء قطيعة الرحم، وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ثلاثة من الذنوب تعجل عقوبتها ولا تؤخر إلى الآخرة، عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان)^(٦).

٢- إن الذنوب سبب للمصائب والآلام والنكبات التي يتعرض لها الفرد

(١) تحف العقول: ٢٠٤.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦٩/٦٢، ح ٦٠.

(٣) سفينة البحار: ٢١٧/٣، بحار الأنوار: ٨٣/٧٨.

(٤) سفينة البحار: ٢١٧/٣، بحار الأنوار: ١٤٠/٥.

(٥) عيون أخبار الرضا: ٣٦/٢.

(٦) ميزان الحكمة: ٣٨٣/٣، ح ٦٨٥٧.

والمجتمع، في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (أما إنه ليس من عرق يُضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب، وذلك قول الله عز وجل في كتابه: [وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ] (الشورى: ٣٠) ثم قال (عليه السلام): (وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به)^(١)، وفي الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إن أحدكم ليكثر به الخوف من السلطان وما ذلك إلا بالذنوب فتوقوها ما استطعتم ولا تمادوا فيها) وقد تستحدث لهم بلاءات لم يكن يعرفونها من قبل، في الكافي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون)^(٢).

٣- إنها توجب اسوداد القلب وانغلاقه فلا يستجيب للهداية، في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (كان أبي يقول: ما من شيء أفسد من خطيئة، إن القلب ليوافق الخطيئة فلا تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله)^(٣) أي يصبح كالإناء المقلوب فلا يحتفظ بشيء من الحق والهدى ولا تؤثر فيه الموعظة، وفيه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء فإن تاب انمحت وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح

(١) أصول الكافي: ٢٦٩/٢، باب الذنوب، ح ٣، وللمزيد من الاطلاع راجع قائمة بالذنوب التي تغير النعم والتي تنزل النقم والتي تهتك العصم والتي تعجل الفناء والتي ترد الدعاء في بحار الأنوار: ٣٧٥/٣-٣٧٦ عن معاني الأخبار للصدوق: ٢٧٠-٢٧١.

(٢) الكافي: ٢٧٢/٢، باب الذنوب، ح ٢٩.

(٣) أصول الكافي: ٢٦٨/٢، باب الذنوب، ح ١.

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد (٣٨٣)

بعدها أبداً) وشاهده من كتاب الله قوله تعالى: [كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] (المطففين: ١٤).

٤- نقص الرزق، في الكافي عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلَام) قال: (إن العبد ليذنب الذنب فيزوي - أي يقبض ويصرف - عنه الرزق) ^(١) وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَام) قال: (قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): إذا غضب الله عز وجل على أمة ولم يُنزل بها العذاب غلت أسعارها وقصرت أعمارها ولم تريح تجارها ولم تُزك ثمارها ولم تغزر أنهارها وحبس عنها أمطارها وسُلط عليها شرارها) ^(٢).

٥- الحرمان من الطاعات خصوصاً المهمة منها كصلاة الليل أو النوم عن صلاة الصبح، عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَام) قال: (إن الرجل يذنب الذنب فيحرم من صلاة الليل وإن العمل السيئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم) ^(٣).

٦- زوال النعم، قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ] (الرعد: ١١) في الكافي عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) قال: (إن الله قضى قضاءً حتماً ألا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النعمة) ^(٤) وعنه (عَلَيْهِ السَّلَام): (إن الله عز وجل بعث نبياً من أنبيائه إلى قومه وأوحى إليه أن قل لقومك إنه ليس من أهل قرية ولا ناس كانوا على طاعتي فأصابهم فيها سراء فتحولوا عما أحب إلى ما أكره إلا تحولت لهم عما يحبون إلى ما يكرهون،

(١) أصول الكافي: ٢/٢٦٨، باب الذنوب، ح ٨

(٢) ثواب الأعمال: ٣٠٥، الخصال: ٢/٣٦٠، الباب ٧، ح ٤٨.

(٣) أصول الكافي: ٢/٢٦٨، باب الذنوب، ح ١٦.

(٤) أصول الكافي: ٢/٢٧٣، باب الذنوب، ح ٢٢.

وليس من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على معصيتي فأصابهم فيها ضراء فتحولوا عما أكره إلى ما أحب إلا تحولت لهم عما يكرهون إلى ما يحبون).
 وضرب القرآن الكريم مثلاً في سباً^(١) [لَقَدْ كَانَ لِسَبِإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ، فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ، وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ] (سبأ: ١٥-٢١).

وقد ورد في الأحاديث الشريفة أن من الذنوب التي تغير النعم وتعجل عقوبتها البغي على الناس.

(١) بيان الشاهد: أنه كان لأهل سبأ بساتين ورياض غناء عن يمين بلادهم وشمالها وطلب منهم ربهم أن يشكروا نعمه فأعرضوا فأرسل عليهم سيلاً من المطر الشديد والجرذ الذي نقب السد جزاءً لتمردهم، وجعل لهم على طول المسافة بينهم وبين الشام قرىً ليستريحوا ويتزودوا لسفرهم فكانوا يقلبون في قرية ويبيتون في أخرى حتى يصلوا آمنين من المخاوف والمضار فقال العصاة: باعد بين أسفارنا أي أزل القرى واجعل المسافات شاسعة في الصحراء ليصعب على غير التجار والتمولين والمترفين السفر والتجارة ويحرموا الفقراء ويتباهون عليهم باتخاذ المراكب.

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد (٣٨٥)

٧- عدم استجابة الدعاء والإبطاء في تحقيق ما يطلبه الداعي، قال الباقر (عليه السلام): (إن العبد ليسأل الحاجة من حوائج الدنيا فيكون من شأن الله قضاؤها إلى أجل قريب أو وقت بطيء فيذنب العبد عند ذلك ذنباً فيقول الله للملك الموكل بحاجته لا تنجز له حاجته واحرمه إياها فإنه تعرّض لسخطي واستوجب الحرمان مني)^(١).

٨- نكد الحياة وشقاؤها وتعاستها، قال تعالى: [وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى] (طه: ١٢٤) وقال تعالى: [وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ، حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيُشَسِّسُ الْقَرِينُ، وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ] (الزخرف: ٣٦-٤٠) فمن يتعامى عن الحق واتباعه يخلي الله بينه وبين شيطانه يغويه ويصده (عليه السلام) سبيل الله ويكون ملازماً له فيشقيه ويتعبه [وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ] (فصلت: ٢٥).

٩- تشوش الفكر وانشغال الذهن وسوء الحفظ والحرمان من العلم النافع المقرب إلى الله تعالى، بسبب الصراع الذي يعيشه ووخز الضمير وخوف الفضيحة والعقاب، والذلة الباطنية التي يحس بها، ولحرمانه من لطف الله تعالى، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (اتقوا الذنوب فإنها ممحقة للخيرات، إن

(١) الاختصاص: ٣١.

العبد ليذنب الذنب فينسى به العلم الذي كان قد علمه^(١)، وهو ما عبّر عنه الشاعر:

شكوتُ إلى حكيمٍ سوءِ حفظي فأرشدني إلى تركِ المعاصي
وعلّله بأن العلم نورٌ ونور الله لا يؤتى لعاصي

١٠- ويعم أثر الذنوب حتى يتضرر به الآخرون وربما المجتمع كله، قال تعالى: [وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً] (الأنفال: ٢٥)، وروي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (الذنب شؤم على غير فاعله، إن عبّره ابتلي، وإن اغتابه أثم، وإن رضي به شاركه)^(٢).

والخلاصة:

أنه إذا أراد الإنسان أن يوفقه الله تعالى للمزيد من طاعته فليترك الذنوب.
وإذا أراد أن يحيى حياة مطمئنة سعيدة صافي البال فليترك الذنوب.
وإذا أراد طول العمر بخير وعافية وسعة رزق فليترك الذنوب.
وإذا أراد أن تدوم عليه نعم الله وتقل عليه المصائب فليترك الذنوب.
وإذا أراد سلامة القلب واللحاق بالصالحين فليترك الذنوب.
ولذا كان يوم العيد الحقيقي هو كل يوم لم تجترح فيه ما يكرهه الله تبارك وتعالى، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض الأعياد: (إنما هو عيدٌ لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه، وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد)^(٣).

(١) بحار الأنوار: ٣٧٧/٧٣، ح ١٤.

(٢) منتخب ميزان الحكمة: ح ٢٤٢٠.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٤٢٨.

العواصم من الذنوب:

وعلى رأس العواصم من الذنوب - وهو الأصل فيها - اللطف الإلهي الذي به عصم الله تعالى أنبياءه ورسله والصالحين من عباده قال تعالى: [وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ] (يوسف: ٢٤)، وقال تعالى: [وَلَوْلَا أَنْ تَبَتَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا] (الإسراء: ٧٤).

في رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى داوود النبي (عليه السلام) أن ائت عبدي دانيال فقل له: إنك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك، قال: فأتاه داوود (عليه السلام) فقال له: يا دانيال، إني رسول الله إليك وهو يقول لك: إنك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك. فقال له دانيال: قد بلغت يا نبي الله.

قال: فلما كان في السحر قام دانيال وناجى ربه فقال: يا رب إن داوود نبيك أخبرني عنك: إني عصيتك فغفرت لي، إني عصيتك فغفرت لي، وأخبرني عنك أنني إن عصيتك الرابعة لم تغفر لي، فوعزت لك لأعصينك ثم لأعصينك، ثم لأعصينك، إن لم تعصمني^(١)، أي: يا رب إنك إن وكلتني إلى نفسي فإني لا أستطيع أن أعصمها من الذنوب إلا أن تعصمني أنت برحمتك.

ومن العواصم الدعاء والذكر واليقظة كلما اعترته غفلة، قال تعالى: [إِنَّهُ

كَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] (النحل: ٩٩)، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أكثر الدعاء تسلم من سورة الشيطان)^(١)، وقال (عليه السلام): (تحرّز من إبليس بالخوف الصادق)^(٢).

(ومنها) الشوق إلى الله تبارك وتعالى ومحَبَّته، من مناجاة الإمام السجاد (عليه السلام) (وأن تجعل حَبِّي إياك قائداً إلى رضوانك، وشوقي إليك ذائداً عن عصيانك)^(٣)، ومن كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان دعائم الإيمان قال: (فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات)^(٤).

(ومنها) تجنب الحضور والتواجد في الأجواء المساعدة على المعصية لقطع منافذ الشيطان والنفس الأمارة بالسوء بحيث يصبح ارتكاب المعصية متعذراً، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (ثلاث من حفظهن كان معصوماً من الشيطان الرجيم ومن كل بليةٍ من لم يخلُ بامرأةٍ ليس يملك منها شيئاً، ولم يدخل على سلطان، ولم يُعِن صاحب بدعةٍ ببدعته)^(٥)؛ والإكثار من الوجود في المساجد ومجالس الصالحين فإنها تمنع من الوقوع في الذنب، قال علي (عليه السلام): (من

(١) بحار الأنوار: ج ٩/٧٨، ح ٦٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٤/٧٨، ح ١.

(٣) مفاتيح الجنان: ١٧٣، مناجاة المحييين.

(٤) نهج البلاغة، قصار الكلمات، رقم (٣١).

(٥) بحار الأنوار: ١٩٧/٧٤، ح ٣٢.

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد (٣٨٩)

العصمة تعذر المعاصي^(١)، وعنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (من اختلف إلى المساجد أصاب إحدى الثمان: ... أو يترك ذنباً خشيةً أو حياءً)^(٢).

(ومنها) المراقبة والمحاسبة الدقيقة والمستمرة للنفس، والأحاديث الآمرة بذلك كثيرة، روى الشيخ الطوسي (قدس سره) في كتاب الغيبة بسنده إلى أبي هاشم الجعفري قال: (سمعت أبا محمد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقول: من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل: ليتني لا أؤاخذ إلا بهذا، فقلت في نفسي: إن هذا لهو الدقيق ينبغي للرجل أن يتفقد من أمره ومن نفسه كل شيء، فأقبل عليّ أبو محمد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال: يا أبا هاشم صدقت فالزم ما حدثت به نفسك فإن الإشراك في الناس أخفى من ديبب الذر على الصفا في الليلة الظلماء ومن ديبب الذر على المسح الأسود)^(٣).

(ومنها) استعظام الذنب واستفضاع عاقبته، روي عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قوله: (إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبدٍ خيراً جعل ذنوبه بين عينيه ممثلة والإثم عليه ثقبلاً وبيلاً، وإذا أراد بعبدٍ شراً أنساه ذنوبه)^(٤).

وعنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه، والكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مرّ على أنفه).

(ومنها) عدم الإعجاب بالنفس، وما يصدر منها من طاعات؛ لأن ذلك

(١) نهج البلاغة: ٥٣٥، الحكمة ٣٤٥.

(٢) الخصال: ج ٢، باب الثمانية، ح ١٠.

(٣) بحار الأنوار: ٣٥٩/٧٣، ح ٧٨.

(٤) والذي بعده تجدهما في ميزان الحكمة: ٣٧٥/٣، ح ٦٧٩٤، ٦٧٩٥.

يوجب إيكال العبد إلى نفسه فيذنب حتى يكون له واعظاً ومؤدباتاً من نفسه، في الكافي بسنده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إن الله علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلي مؤمن بذنوب أبداً)^(١).

مكفرات الذنوب:

إن الله تعالى يعلم ضعف العبد عن مسك زمام نفسه الأمانة بالسوء ومقاومة غواية الشيطان وتزيين الشهوات ويعلم بجهل الإنسان بعواقب أفعاله، وهو أشفق على عباده وأرحم بهم من أنفسهم، وأكرم من أن يقابلهم على سيئاتهم بمثلها، قال تعالى: [وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا] (فاطر: ٤٥)، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به)^(٢)، في تفسير قوله تعالى: [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ] (الشورى: ٣٠).

فضاعف سبحانه وتعالى لهم الحسنات وتمهل في تسجيل السيئات، في الخصال عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا همَّ العبد بحسنة كتبت له حسنة، فإذا عملها كتبت له عشر حسنات، وإذا همَّ بسيئة لم تكتب عليه فإذا عملها أُجِّلَ تسع ساعات فإن ندم عليها واستغفر وتاب لم تكتب عليه وإن لم يندم ولم

(١) أصول الكافي: ٣١٣/٢، باب العجب، ح ١.

(٢) أصول الكافي: ٢٦٩/٢، باب الذنوب، ح ٣.

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد (٣٩١)

يتب كتبت عليه سيئة واحدة^(١)، وفي رواية أخرى: قال الله تبارك وتعالى: (قد جعلت لهم التوبة أو بسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس الحنجرة، قال يا ربّ حسبي)^(٢) أي قال آدم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حسبي تلك الفضائل لذريتي مما كان للشيطان من التأثير عليهم.

ثم لم يكتف سبحانه بكرمه ورحمته بذلك بل جعل لهم مكفرات لذنوبهم حتى يخفف عنهم أوزارهم التي احتملوها على ظهورهم بسوء أفعالهم ويلاحظ على تلك المكفرات أن بعضها اختيارية وبعضها غير اختيارية، فالاختيارية أفعال ينبغي للإنسان أن يقوم بها ليكفّر بها عن سيئاته وإن لم يفعل ابتلي بغير الاختيارية وهي أشق عليه، لذا ورد في بداية دعاء أبي حمزة الثمالي عن الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (إلهي لا تؤدبني بعقوبتك)، أما غير الاختيارية - كالأمراض - فهي أمور تعرض للإنسان بسبب منه أو من غيره فيعتبرها الله تعالى بكرمه كفارة لذنوب من تعرض لها، فعلى الإنسان أن يسعى بجد في طلب المغفرة والتكفير عن ذنوبه بالأسباب الاختيارية، وأن لا يجزع إذا حصل له ما يكفّر الذنوب، فإن بقاء ذنب واحد عليه إلى يوم القيامة كافٍ لفضيحته وإيلامه.

لذا ورد في أدعية شهر رمضان الاستعاذة من انقضائه أو انقضاء الليلة التي هو فيها وقد بقي عليه ذنب أو تبعة يؤاخذ به: (إلهي وأعوذ بوجهك الكريم

(١) الخصال: ٤١٨/٢، باب التسعة، ح ١١.

(٢) بحار الأنوار: ٢٤٩/٧١، ح ١١.

وبجلالك العظيم أن ينقضي أيام شهر رمضان ولياليه ولك قبلي تبعة أو ذنب
تؤاخذني به أو خطيئة تريد أن تقتصها مني لم تغفرها لي سيدي سيدي
سيدي^(١).

من وصايا النبي (ﷺ) لابن مسعود: (يا ابن مسعود: لا تحقرن ذنباً ولا
تصغرنه، واجتنب الكبائر، فإن العبد إذا نظر يوم القيامة إلى ذنوبه دمعت عيناه
قيحاً ودماً، يقول الله تعالى: [يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّراً وَمَا
عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً] (آل عمران: ٣٠)، يا ابن مسعود:
إذا قيل لك: (اتق الله) فلا تغضب فإنه يقول: [وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ] (البقرة: ٢٠٦))^(٢).

أما مكفرات الذنوب فهي:

١- التوبة والاستغفار بصدق:

والتي تتضمن بحسب بيان أمير المؤمنين (عليه السلام) لمعنى الاستغفار الندم
على ما صدر منه وعقد العزم بصدق على عدم العود ورد المظالم إلى أهلها
وتدارك ما فاته من التصدير، وحينئذ يكفر الله سيئاته وينسي الملائكة الحافظين
ما كتبوا وكل الشهود بما فيهم جوارحه ويمحو عنه آثار تلك الذنوب
والخطايا، ويكتب له بدل ذلك كله حسنات، قال تعالى: [إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ
وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا]

(١) من أدعية العشر الأواخر في شهر رمضان.

(٢) بحار الأنوار: ١٠١/٧٧.

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد (٣٩٣)

(الفرقان: ٧٠).

٢- القيام بالأعمال الصالحة والطاعات:

قال تعالى: [وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ] (هود: ١١٤) [ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا] (الطلاق: ٥).

قال رسول الله (ﷺ): (إذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحها)^(١)، وعنه (ﷺ): (أوصيكم بتقوى الله .. وارحضوا بها ذنوبكم وداووا بها أسقامكم).

وورد هذا الأثر في أعمال كثيرة كزيارة الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) وإحياء ليلة القدر وصوم بعض الأيام المعينة وبعض الصلوات المستحبة، وهي مذكورة في كتب السنن والمستحبات، نذكر منها ما روي عن الإمام موسى بن جعفر (عَلَيْهِ السَّلَام) قال: (ثلاث ليالي من زار فيها الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ليلة النصف من شعبان واللييلة الثالثة والعشرون من رمضان وليلة العيد) وورد في صوم ثلاث أيام الخميس والجمعة والسبت من الأشهر الحرم وهي (محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة) أنها كفارة ذنوب تسعمائة عام وهكذا.

٣- الصلاة في أوقاتها:

عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) قال: (لو كان على باب أحدكم نهر فاغتسل منه كل يوم خمس مرات هل كان يبقى على جسده من الدرن شيء؟ إنما الصلاة مثل النهر الذي ينقي، كلما صلى صلاة كان كفارة لذنوبه إلا ذنب أخرجه من

(١) الحديثان تجدهما في ميزان الحكمة: ٣٨٧/٣-٣٨٨، ح ٦٨٩٣، ٦٨٩٥.

الإيمان مقيم عليه^(١).

وننبه دائماً إلى أن مثل هذه الأمور تلحظ مع شروطها كقول رسول الله (ﷺ): (لو صليتم حتى تكونوا كالأوتار، وصمتم حتى تكونوا كالحنايا لم يقبل الله منكم إلا بورع)^(٢)، وكقول الإمام الصادق (ع): (من صلى ركعتين يعلم ما يقول فيهما، انصرف وليس بينه وبين الله ذنب)^(٣).

٤- الابتلاءات والمصائب والمصاعب في الدنيا:

قال رسول الله (ﷺ): (إن المؤمن إذا قارف الذنوب ابتلي بها بالفقر، فإن كان في ذلك كفارة لذنوبه وإلا ابتلي بالمرض، فإن كان في ذلك كفارة لذنوبه وإلا ابتلي بالخوف من السلطان يطلبه، فإن كان في ذلك كفارة لذنوبه وإلا ضيق عليه عند خروج نفسه، حتى يلقي الله حين يلقاه وما له من ذنب يدعيه عليه فيأمر به إلى الجنة)^(٤).

وعن الإمام الصادق (ع): (إذا أراد الله بعبد خيراً عجل عقوبته في الدنيا، وإذا أراد بعبد سوءاً أمسك عليه ذنوبه حتى يوافي بها يوم القيامة)^(٥).

٥- رعاية حرمة شهر رمضان:

من دعاء الإمام السجاد (ع) في وداع شهر رمضان (السلام عليك ما كان

(١) بحار الأنوار: ٢٣٦/٨٢، ح ٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ٢٥٨/٨٤، ح ٦٥.

(٣) الكافي: ٢٢٦/٣، ح ١٢.

(٤) ميزان الحكمة: ٣٨٥/٣، ح ٦٨٦٩.

(٥) ميزان الحكمة: ٣٨٥/٣، ح ٦٨٧٣.

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد (٣٩٥)

أمحاك للذنوب وأسترك لأنواع العيوب) (السلام عليك كما وفدت علينا بالبركات وغسلت عنا دنس الخطايا) حتى روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: (سمي شوال شوالاً لأن فيه شالت - أي ارتفعت وذهبت - ذنوب المؤمنين فلم يبق فيه ذنب إلا غفره الله تعالى ببركة صيام شهر رمضان فإن أجر كل أجير يعطى عند ختمه للعمل^(١)).

٦- الأمراض:

قال رسول الله (ﷺ): (السقم يمحو الذنوب)^(٢)، وقال (ﷺ): (ساعات الوجع يذهبن ساعات الخطايا)، وقال (ﷺ): (حمى ليلة كفارة سنة).

٧- الأحزان والهموم:

قال رسول الله (ﷺ): (إذا كثرت ذنوب المؤمن ولم يكن له من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها به عنه)^(٣)، وقال (ﷺ): (ساعات الهموم ساعات الكفارات، ولا يزال الهم بالمؤمن حتى يدعه وما له من ذنب).

٨- إتيان المساجد:

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (عليكم بإتيان المساجد، فإنها بيوت الله في الأرض، ومن أتاها متطهراً طهره الله من ذنوبه وكتب من زواره، فأكثروا فيها من الصلاة والدعاء)^(٤).

(١) مصابيح الجنان: ٥٩٩ عن السيد في الإقبال.

(٢) الأحاديث الثلاثة في ميزان الحكمة: ٣٨٦/٣، ح ٦٨٧٦، ٦٨٧٧، ٦٨٦٨.

(٣) الحديثان تجدهما في ميزان الحكمة: ٣٨٦/٣-٣٨٧، ح ٦٨٨٥، ٦٨٨٨.

(٤) منتخب ميزان الحكمة: ٣٠٧، ح ٢٩٢٨.

٩- العفو والصفح عن أخطاء الآخرين وتقصيراتهم:

لأن هذه من أخلاق الله تبارك وتعالى وهو يجازي من اتصف بها بأكثر منها، قال تعالى: [وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] (النور: ٢٢)، روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (من عفا عند المقدرة عفا الله عنه يوم العسرة)^(١)، ولكن مع الالتفات إلى معنى العفو ومنه ما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما عفا عن الذنب من قرّع به)^(٢). وفي دعاء الإمام السجاد (عليه السلام): (اللهم إنك أنزلت في كتابك العفو وأمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعفُ عنا فإنك أولى بذلك منا)^(٣).

١٠- اتباع رسول الله (ﷺ) والاستئناس بسنته الشريفة في الأفعال

والأقوال:

قال تعالى: [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] (آل عمران: ٣١).

وقد حفلت المصادر بذكر سنن رسول الله (ﷺ) كصوم ثلاثة أيام في الشهر وصلاة الليل وبقية النوافل، وأخلاقه (ﷺ) في الأقوال والأفعال.

١١- إغاثة الملهوف:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من كفارات الذنوب العظام: إغاثة الملهوف

(١) منتخب ميزان الحكمة: ٤٣٩، ح ٤٣٢٩.

(٢) غرر الحكم: ٩٥٦٧.

(٣) من دعاء أبي حمزة الثمالي.

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد (٣٩٧)

والتنفيس عن المكروب^(١).

١٢- كفارات خاصة:

إن بعض الذنوب والتقصيرات لها كفارات خاصة، فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها صلاة ولا صوم، قيل يا رسول الله، فما يكفرها؟ قال: الهموم في طلب المعيشة)^(٢).

وكقول الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) لعلي بن يقطين - وكان وزيراً لهارون العباسي: (كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان)^(٣).

وما في قول النبي (صلى الله عليه وآله): (من الذنوب ذنوب لا تغفر إلا بعرفات)^(٤).
ومن الكفارات الخاصة ما ورد عند القيام من أي مجلس أو انفضاض أي لقاء أو اجتماع كان مشوباً بالغفلة عن الله تعالى فيقول: [سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ].

١٣- حسن الخلق:

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل)^(٥).

(١) ميزان الحكمة: ٣/٣٨٨، ح ٦٨٩٩.

(٢) ميزان الحكمة: ٣/٣٨٧، ح ٦٨٨٦.

(٣) تحف العقول: ٤١٠، بحار الأنوار: ١٠/٢٤٧.

(٤) ميزان الحكمة: ٣/٣٨٩، ح ٦٩٠٢.

(٥) ميزان الحكمة: ٣/٣٨٨، ح ٦٨٩٨.

١٤- كثرة السجود:

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله كثرت ذنوبي وضعف عملي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أكثر من السجود فإنه يحط الذنوب كما تحط الريح ورق الشجر)^(١).

١٥- الحج والعمرة:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحججة المتقبلة ثوابها الجنة، ومن الذنوب ذنوب لا تغفر إلا بعرفات)^(٢)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله .. حج البيت واعتماره، فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنوب).

١٦- افتتاح صحيفة العمل واختتامها بالخير:

قال الإمام زين العابدين (عليه السلام): (إن الملك الموكل على العبد يكتب في صحيفة أعماله فأملوا بأولها وآخرها خيراً يغفر لكم ما بين ذلك)^(٣).

١٧- الصلاة على محمد وآله:

قال الإمام الرضا (عليه السلام): (من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدماً)^(٤).

(١) ميزان الحكمة: ٣/٣٨٩، ح ٦٩٠١.

(٢) الحديثان تجدهما في ميزان الحكمة: ٣/٣٨٩، ح ٦٩٠٢، ٦٩٠٣.

(٣) ميزان الحكمة: ٣/٣٨٩، ح ٦٩٠٤.

(٤) ميزان الحكمة: ٣/٣٨٩، ح ٦٩٠٥.

كل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد (٣٩٩)

١٨- سكرات الموت:

قال رسول الله (ﷺ): (الموت كفارة لذنوب المؤمنين)^(١).

١٩- الصدقة:

قال رسول الله (ﷺ): (الصدقة تطفى غضب الرب)^(٢)، وقال الإمام

الصادق (عليه السلام): (إن صدقة الليل تطفى غضب الرب، وتمحو الذنب العظيم).

(١) ميزان الحكمة: ٣/٣٨٩، ح ٦٩٠٦.

(٢) منتخب ميزان الحكمة: صفحة ٢٩٢، ح ٣٥١٨.

(ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) غافر / ٦٠
الدعاء : فضله وظروف استجابته^(١)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله
الطاهرين.

ان من وسائل تحصيل التقوى بل تحقيق كل أمنية وطلب: الدعاء قال تعالى:
[ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ] وقال تعالى: [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ
دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ] (البقرة: ١٨٦).
ورد عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) في تفسير قوله تعالى: [مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ
رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا] قال (عَلَيْهِ السَّلَام): (الدعاء)^(٢).

الدعاء أيسر الوسائل إلى أعظم الخزائن:

أيها الأحبة..

هذه حقيقة نغفل عنها وهي امتلاكنا لهذه الوسيلة التي تفتح خزائن رحمة
الله تبارك وتعالى التي وسعت كل شيء من خلال الدعاء، تصوروا لو أن
لأحدكم وسيلة إلى مسؤول كبير وشخصية ذات نفوذ وقوة فإنه سيكون

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الأضحى المبارك للعام ١٤٢٩ المصادف ٢٠٠٨/١٢/٩.

(٢) الروايات الواردة في الخطبة موجودة في كتاب بحار الأنوار، المجلد التاسع عشر، عن
مصادرها الأصلية، وأصول الكافي.

الدعاء أفضل العبادة وسلاح المؤمن (٤٠١)

حريصاً على إبقاء تلك الوسيلة والاستفادة منها، وها نحن نمتلك أيسر الوسائل إلى أعظم الخزائن وهو الدعاء، ولا نستثمره، يقول الإمام السجاد (عليه السلام): (ولو دلّ مخلوق مخلوقاً من نفسه على مثل الذي دللت عليه عبادك منك، كان موصوفاً بالإحسان ومنعوتاً بالامتثال ومحموداً بكل لسان، فلك الحمد ما وُجد في حمدك مذهب، وما بقي للحمد لفظ تُحمد به، ومعنى ينصرف إليه)^(١)، يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (فأكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء، فإنه ليس من باب يكثر قرعه إلا أو شك أن يُفتح لصاحبه).

وللدعاء أهمية كبرى في كتاب الله تبارك وتعالى والأحاديث الشريفة عن أهل بيت العصمة (صلوات الله وسلامه عليهم) ففي خبر صحيح عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير قول الله تبارك وتعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] (غافر: ٦٠) قال (عليه السلام): (هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء) ويشهد لذلك صدر الآية [ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ]، وفي تفسير قوله تعالى: [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ] (التوبة: ١٤٤) قال (عليه السلام): (الأواه هو الدعاء) وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (وكان أمير المؤمنين رجلاً دَعَاءً).

وقال تعالى: [قُلْ مَا يَعْجُوبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِرِزَامًا] (الفرقان: ٧٧) وقال تعالى: [وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا] (النساء: ٣٢).

(١) الصحيفة السجادية، من دعائه (عليه السلام) في وداع شهر رمضان.

الدعاء لكل حاجة:

والدعاء لكل حاجة مهما صغرت ونحن في كل نفس وكل طرفة عين محتاجون إلى الله تبارك وتعالى الغني فلا نتوقف عن اللجوء إلى الله تبارك وتعالى في كل شيء حتى إذا كان تافهاً بنظرنا أو أن الحصول عليه سهل يسير فقد روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: (سلوا الله عز وجل ما بدا لكم من حوائجكم حتى شسع النعل فإنه إن لم ييسره لم ييسر) وقال: (ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع) وعنه (ﷺ) قال: (ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من عدوكم ويدرّ أرزاقكم؟ قالوا: نعم، قال: تدعون بالليل والنهار فإن سلاح المؤمن الدعاء) وروي أن الإمام الكاظم سئل عما قيل: لكل داء دواء فقال (ﷺ): (لكل داء دعاء فإذا ألهم العليل الدعاء فقد أذن في شفائه)، وعن الإمام الصادق (ﷺ) قال: (عليكم بالدعاء فإنكم لا تتقربون بمثله ولا تتركوا صغيرة لصغرها أن تسألوها فإن صاحب الصغائر هو صاحب الكبائر).

الدعاء في كل زمان:

والدعاء في كل زمان حتى زمان اليسر والرخاء ويشد في زمان العسر والضيق والبلاء، يروي أحد أصحاب الإمام الكاظم (ﷺ) الثقات في شدة المحنة التي فرضها المنصور العباسي بعد استشهاد الإمام الصادق (ﷺ) وسيفه يقطر دماً من شعبة أهل البيت يقول: (دخلت على أبي الحسن موسى (ﷺ) بالمدينة وكان معي شيء فأوصلته إليه فقال: أبلغ أصحابك وقل لهم: اتقوا الله

الدعاء أفضل العبادة وسلاح المؤمن (٤٠٣)

عز وجل فإنكم في إمارة جبار -يعني أبا الدوانيق- فأمسكوا ألسنتكم وتوقّوا على أنفسكم وادفعوا ما تحذرون علينا وعليكم منه بالدعاء، فإن الدعاء - والله - والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قدر وقضي ولم يبق إلا إمضاؤه فإذا دعي الله وسئل: صُرف البلاء صرفاً، فألحوا في الدعاء أن يكفيكموه الله، قال أبو ولاد: فلما بلغ أصحابي مقالة أبي الحسن (عليه السلام) قال: ففعلوا ودعوا عليه وكان ذلك في السنة التي خرج فيها أبو الدوانيق إلى مكة فمات عند بئر ميمون قبل أن يقضي نسكه فأراحنا الله منه، قال الراوي: وكنت تلك السنة حاجاً فدخلت على أبي الحسن (عليه السلام) فقال: يا أبا ولاد كيف رأيتم نجاح ما أمرتكم به وحشتكم عليه من الدعاء على أبي الدوانيق، يا أبا ولاد: ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان ذلك البلاء طويلاً فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء).

وقد ورد عن الإمام الهادي في حق دعاء (يا من تُحلُّ به عُقْدُ المكاره) وهو من أدعية الصحيفة السجادية: (إن آل محمد صلى الله عليهم أجمعين يدعون بهذه الكلمات عند إشراف البلاء وظهور الأعداء وخوف الفقر وضيق الصدر وغيرها).

الدعاء يمنع اليأس والإحباط:

ولمنع الإنسان من الوقوع في حالة اليأس والإحباط والقنوط والاستسلام لما يصيبه فقد نبّه الأئمة سلام الله عليهم إلى أن الدعاء يبقى مؤثراً وكفياً بتغيير

الحال حتى لو أحكم القضاء والقدر ومهما كان التغيير عسيراً قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ادعُ ولا تقل: إن الأمر فرغ منه، إن عند الله منزلة لا تنال إلا بمسألة، ولو أن عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يعطَ شيئاً فسل تعط) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (الدعاء يرد القضاء بعدما أبرم إبراماً).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما زالت نعمة عن قوم ولا نصارة عيش إلا بذنوب اجترحوها، إن الله ليس بظلام للعبيد، ولو أنهم استقبلوا ذلك بالدعاء والإنابة لم تنزل، ولو أنهم إذا نزلت بهم النقم وزالت عنهم النعم فرعوا إلى الله بصدق من تياتهم ولم يهنوا ولم يسرفوا: لأصلح الله لهم كل فاسد ولرد عليهم كل صالح).

ظروف استجابة الدعاء:

ولا شك أن ليس كل لقلقة لسان هو دعاء بل لا بد من توفر ظروف لاستجابة الدعاء، روي أن رجلاً من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) قال: إني لأجد آيتين في كتاب الله أطلبهما فلا أجدهما، قال (عليه السلام): وما هما؟ قال الرجل: [ادعوني أستجب لكم] فدعوه فلا نرى إجابة، قال: أفترى الله أخلف وعده؟ قلت: لا، قال (عليه السلام): فمه؟ قلت: لا أدري، قال (عليه السلام): لكنني أخبرك: من أطاع الله فيما أمر به ثم دعاه من جهة الدعاء أجابه، قال الرجل: وما جهة الدعاء؟ قال (عليه السلام): تبدأ فتحمد الله وتمجده وتذكر نعمه عليك فتشكره ثم تصلي على النبي (صلى الله عليه وآله) ثم تذكر ذنوبك فتقرّ بها ثم تستغفر منها فهذه جهة الدعاء، ثم قال (عليه السلام): وما الآية الأخرى؟ قلت: قوله: [وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ

الدعاء أفضل العبادة وسلاح المؤمن (٤٠٥)

يُخْلِئُهُ] وأراني أنفق ولا أرى خلفاً، قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): أفترى الله أخلف وعده؟ قلت: لا، قال: فمه؟ قلت: لا أدري، قال: لو أن أحدكم اكتسب المال من حله وأنفقه في حقه لم ينفق درهمًا إلا أخلف الله عليه).

وهنا نصحح فكرة وهي أننا حينما نقول: إن لاستجابة الدعاء ظروفاً فهذا لا يعني تضييقاً في كرم الله تبارك وتعالى وأنه سبحانه يشترط شيئاً لعطائه فإن نعمه تفضلٌ وابتدئ بها من لا يستحق كما ورد في أدعية شهر رجب (يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة)، والإنسان الكريم لا يشترط ثمناً لعطائه فكيف يشترطها الكريم الحقيقي، يقول الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في دعاء يوم عرفة: (إلهي تقدس رضاك أن يكون له علة منك، فكيف يكون له علة مني) وهكذا كل صفاته عز شأنه ومنها الكرم تقدست أن يكون لها علة منه تبارك وتعالى لأنها ذاتية فكيف يكون لكرمه سبب من خلقه. وإنما أراد الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بذكر تلك الظروف تربية الإنسان وتكامله ليسعد وليكون لائقاً بمقام العبودية لله تبارك وتعالى ومحلاً قابلاً لنزول الفيوضات الإلهية، هذا المقام الذي يفخر به أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حين يقول: (إلهي كفى بي فخراً أن تكون لي رباً، وكفى بي عزاً أن أكون لك عبداً، إلهي أنت كما أحب فاجعني كما تحب).

ويمكن من خلال الأحاديث الشريفة الحصول على ظروف الاستجابة. فمنها: زمانية، كليلة الجمعة ويومها وما بين الطلوعين وعند الزوال وأيام الأعياد كهذا اليوم وغيرها من المذكورات في كتب السنن والمستحبات.

ومنها: مكانية، كالروضات الشريفة للمعصومين (سلام الله عليهم) والمساجد خصوصاً الأربعة المعظمة وعند قبر الوالدين ونحوها.
ومنها: حالية، كحال نزول المطر وإذا كان الدعاء جماعياً وإذا كان يدعو لغيره.

ومنها: ذاتية مرتبطة بنفس الشخص، ككونه متطهراً وفي حالة السجود وبعد الصلاة خصوصاً الفريضة فإن للمؤمن دعوة مستجابة إثر كل صلاة مفروضة^(١) وأن يسبق الدعاء بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى والصلاة على النبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) وأن يعترف بذنبه ويستغفر وأن يكون متوجهاً لما يقول وليس ساهياً^(٢) غافلاً ويلح في الدعاء ولا يمل من تكراره وأن يكون بحال الاضطرار ومن تقطعت به الأسباب واثقاً بالإجابة وإن تأخرت فعلت تأخيرها خير له^(٣) وأن يدعو لإخوانه المؤمنين أولاً بالمغفرة والرحمة وقضاء

(١) عن النبي (ﷺ): (من أدى فريضة فله عند الله دعوة مستجابة).

(٢) عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساهٍ، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن الإجابة).

(٣) في صحيحة البيهقي عن الإمام الرضا (عليه السلام): (والله كما أخرج الله عن المؤمنين مما يطلبون في هذه الدنيا خير لهم مما عجل لهم منها) ثم قال (عليه السلام) له: (أخبرني عنك لو أنني قلت قولاً كنت تتق به مني؟ قلت له: جعلت فداك: وإذا لم أثق بقولك فبمن أثق وأنت حجة الله تبارك وتعالى على خلقه، قال: فكن بالله أوثق فإنك على موعد من الله، أليس الله تبارك وتعالى: [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ] وقال: [وَلَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ] وقال: [وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا] فكن بالله عز وجل أوثق منك بغيره، ولا تجعلوا في أنفسكم إلا خيراً فإنكم مغفور لكم.

الدعاء أفضل العبادة وسلاح المؤمن (٤٠٧)

الحوائج^(١) وأن يطلب من الغير أن يدعو له^(٢) خصوصاً الإمام العادل والوالدين^(٣).

إن من مفاخر شيعة أهل البيت (سلام الله عليهم) هذا العطاء المبارك الوفير من الأدعية التي صدرت عن أهل بيت العصمة وغطت كل حاجات الإنسان، ولولا أنهم (سلام الله عليهم) علمونا كيف ندعو الله تبارك وتعالى وأدب الوقوف بين يديه لما علمنا كيف نناجي ربنا، وماذا تقتضي وظائف العبودية لله العظيم سبحانه.

لقد تضمنت تلك الأدعية أرقى معاني المعرفة بالله تبارك وتعالى وأسمى الأخلاق الكريمة وأفضل العلاقات الإنسانية وأعمق العلوم مما لا يمكن صدوره عن غيرهم (سلام الله عليهم) وليتأمل من يطلب الشواهد على ذلك في

(١) عن النبي (ﷺ): (إذا دعا أحد فليعم فإنه أوجب للدعاء ومن قدم أربعين رجلاً من إخوانه قبل أن يدعو لنفسه استجيب له فيهم وفي نفسه) وعنه (ﷺ): (ما من مؤمن أو مؤمنة مضى من أول الدهر أو هو آتٍ إلى يوم القيامة إلا وهم شفعاء لمن يقول في دعائه: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات وإن العبد ليؤمر به إلى النار يوم القيامة فيسحب، فيقول المؤمنون والمؤمنات: هذا الذي كان يدعو لنا فشفّعنا فيه فيشفّعهم الله فينجو).

(٢) روي أن الله سبحانه أوحى إلى موسى (ﷺ): (يا موسى ادعني على لسان لم تعصني به، فقال: أنى لي بذلك؟ فقال: ادعني على لسان غيرك)، وبذل الإمام الهادي (ﷺ) مالاً لأحد أصحابه كي يذهب إلى كربلاء ويزور جده الحسين (ﷺ) ويدعوه له.

(٣) عن الإمام الصادق (ﷺ) قال: (أربع لا ترد لهم دعوة: الإمام العادل لرعيته، والأخ لأخيه بظهر الغيب يوكل الله به ملكاً يقول له ولك مثل ما دعوت لأخيك، والوالد لولده، والمظلوم يقول الرب عز وجل: وعزّتي وجلالي لأنتقمن لك ولو بعد حين).

الأدعية الواردة عن رسول الله (ﷺ) وأمير المؤمنين والإمام الحسين والإمام السجاد (سلام الله عليهم أجمعين) ومنها الأدعية التي ورد الحث على المواظبة عليها كدعاء كميل ودعاء الصباح والمناجاة الشعبانية ودعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة.

فوائد الدعاء:

إن الأدعية المأثورة لا تتلى فقط لأنها عبادة بل أفضل العبادة كما ذكرنا ولا طلباً للثواب المرصود لها وإن كان عظيماً وإنما للتزود مما فيها من علوم ومعارف، وللتعرض للنفحات والألطف الإلهية المودعة فيها فيطلب من الله تبارك وتعالى أن يحققها له ويتحفه بها، ولمعرفة الحلول لكل المشاكل والعقد النفسية والاجتماعية والفكرية والعقائدية والأخلاقية، بل حتى السياسية والاقتصادية.

وخلاصة ما تقدم أن نكثر من الدعاء في كل صغيرة وكبيرة وأن نحرص على توفير ظروف استجابته وهي يسيرة ومتوفرة وأيسرها أن لا نقتل من صلاتنا المفروضة حتى نسبح تسبيح الزهراء (عليها السلام) ونسجد شكراً لله تعالى ثم نقول: (يا أرحم الراحمين) سبغاً ونصلي على النبي وآله أجمعين ثم نستغفر الله تعالى مما صدر منا ونطلب العصمة منه تبارك وتعالى لما يأتي وندعو لإخواننا المؤمنين والمؤمنات بحوائجهم العامة والخاصة ثم ندعو لأنفسنا.

والأفضل أن نضم إليه مجالس الدعاء الجماعي في المساجد وعقب صلاة الجماعة وغيرها وبذلك تحققون أكثر ظروف الاستجابة المذكورة.

الدعاء أفضل العبادة وسلاح المؤمن (٤٠٩)

اللهم صل على محمد وآل محمد (صلاة لا يقوى على إحصائها إلا أنت،
وأن تشركنا في صالح من دعاك في هذا اليوم من عبادك المؤمنين يا ربَّ
العالمين، وأن تغفر لنا ولهم إنك على كل شيء قدير، اللهم إليك تعمدت
بحاجتي، وبك أنزلت اليوم فقري وفاقتي ومسكنتي، وإني بمغفرتك ورحمتك
أوثق مني بعملتي، ولمغفرتك ورحمتك أوسع من ذنوبي، فصلِّ على محمد وآل
محمد وتولِّ قضاء كل حاجة هي لي بقدرتك عليها، وتيسير ذاك عليك،
وبفقري إليك، وغناك عني، فإني لم أصب خيراً قطَّ إلا منك، ولم يصرف عني
سوءاً قطَّ أحدٌ غيرك، ولا أرجو لأمرٍ آخرتي ودياري سواك^(١).

وأفضل الدعاء وأكمله لسيدنا ومولانا صاحب العصر والزمان (أرواحنا له
الفداء) أن يجمع الله تبارك وتعالى له الخير كله.

(١) الصحيفة السجادية، من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في يوم الأضحى.

(وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو) (التوبة/٣١)

لا يستعبدكم غيركم وقد أرادكم الله أحراراً^(١)

نعيش اليوم بين مناسبتين عظيمتين هما ذكرى البعثة النبوية المباركة
وذكرى ميلاد الأمام الحسين (عليه السلام).

فما هي المشتركات بين هاتين المناسبتين، أو قل بين هاتين الشخصيتين
العظيمتين؟

ويكفينا لمعرفة سعة الاشتراك والتطابق بل الاتحاد قول النبي (صلى الله عليه وسلم) في
سبطه الحسين (عليه السلام): (حسين مني وأنا من حسين).

ولكنني أستغل هذه الأيام الشريفة للإشارة إلى الهدف المشترك لهاتين
الحركتين المباركتين حركة النبي (صلى الله عليه وسلم) في البعثة النبوية وحركة الإمام
الحسين (عليه السلام) نحو الشهادة في كربلاء، والهدف هو تحرير الإنسان قال تعالى
[الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ
عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا
بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]
(الأعراف:١٥٧) فالهدف تخليص الإنسان وتحريره من القيود والأغلال

(١) القيت يوم السبت ٢ شعبان ١٤٣٠/المصادف ٢٥/٧/٢٠٠٩.

لا يستعبدكم غيركم وقد أرادكم الله أحراراً.....(٤١١)

والأوزار التي تكبله وتثقل ظهره نتيجة تخبطه في الجاهلية الظلماء وإتباع الهوى وشياطين الإنس والجن لذا كانت أول كلمة صدع بها رسول الله (ﷺ) أمام قريش وأهل مكة (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) وهذه الجملة فيها محتويان أو عقدان كما يقال في المصطلح، عقد سلبي وهو نفي الإلوهية عن كل شيء، وعقد إيجابي وهو إثبات الإلوهية لله تبارك وتعالى، والتوحيد ينعقد بضمهما والاعتقاد بهما معاً، وإلا فإن المشركين كانوا يعتقدون بالإلوهية والربوبية لله تبارك وتعالى لكنهم أشركوا حينما لم يسلبوا هذه الصفات عن غيره تبارك وتعالى.

وهذا ما فهمه طواغيت قريش من دعوة النبي (ﷺ) إلى التوحيد فإنه لو اكتفى بعبادة الله وحده ولم يتعرض لرفض عبادة غيره لتركوه، فقد كان الأحناف بين ظهرانيهم مدة طويلة يتعبدون لله تبارك وتعالى على دين إبراهيم الخليل (عليه السلام) ولم يتعرض المشركون لهم.

وقد جاؤوا بعرض أو صفقة مع رسول الله (ﷺ) بأن يعبدوا إلهه يوماً ويعبد آلهتهم يوماً لكن الجواب الإلهي جاء حاسماً لا مجال فيه لأنصاف الحلول [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ] فهم إذن لم يكن عندهم اعتراض على عبادة الله تبارك وتعالى. وإنما تصدوا لرسول الله (ﷺ) لأنه (ﷺ) رفض العبادة والطاعة لغير الله تبارك وتعالى من الآلهة التي صنعوها بأيديهم وخدعوا الناس بالقداسة المزيفة التي منحوها لها، للمتاجرة بها والتنعم بالامتيازات التي يحصلون عليها

مما يقدمه المخدوعون بها من نذور وهدايا والتزامات وطقوس، فالقضاء عليها يعني تجريدكم من كل تلك الامتيازات لذا قاوموا رسول الله (ﷺ) بكل وسائل البطش والقسوة واللؤم.

وهذا - أي تحرير الإنسان - هو الهدف الذي سعى لتحقيقه الإمام الحسين (عليه السلام) وصرح به في كلماته كقوله (يا شيعة آل أبي سفيان: اتركوا التعرض لحرمني فإنه إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في دنياكم إن كنتم غرباً كما تزعمون).

وقال (عليه السلام): (ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: السلة والذلة، وهيئات من الذلة) وقال (عليه السلام): (يأبى الله لنا ذلك وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام) وقال (عليه السلام): (الناس عبيد الدنيا والدين لعق على أنفسهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون).

ولأجل أهمية العبادة والتي تعني الطاعة والانقياد ولزوم تكريسها لله تبارك وتعالى ومن أمر بطاعتهم فقد تكفل القرآن الكريم والأئمة المعصومون (سلام الله عليهم) إيضاح معناها وشرح أبعادها، فقد ورد في تفسير قوله تعالى [اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ] (التوبة: ٣١) قول الإمام الصادق (عليه السلام) في الكافي (أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من

لا يستعبدكم غيركم وقد أرادكم الله أحراراً..... (٤١٣)

حيث لا يشعرون) وقد وصل التدقيق لديهم (عليه السلام) في هذا المعنى إلى حد قولهم (صلوات الله عليهم) (من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان ينطق عن الرحمن فقد عبد الرحمن وإن كان ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان).

أيها الأحبة: علينا أن نأخذ هذا المعنى ونستفيد من هذا اللطف الإلهي ونحن نحبي هذه المناسبات الشريفة، ونستحضره دائماً ما دام هو الهدف من بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) وحرارة الإمام الحسين (عليه السلام) لنكون أحراراً لا نطيع إلا الله تبارك وتعالى ولا نعبد إلا إياه، هذه العبودية التي يفتخر بها مثل أمير المؤمنين (عليه السلام) ويعتز بها، قال (عليه السلام): (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً، إلهي أنت كما أحب فاجعلني كما تحب).

وهذه هي الدعوة التي أطلقها الأئمة المعصومون (عليهم السلام) (لا يستعبدكم غيركم وقد خلقكم الله أحراراً)، فقد خلقكم الله تبارك وتعالى أحراراً واقتضت إرادته ذلك ويسر لكم كل أسباب الحرية، فمن الغريب أن يكون هذا عبداً لأهوائه وأطماعه وأنانيته، وذاك عبد لشياطين الإنس والجن يزينون له المعاصي والموبقات فيقتحمها ويعرض عن طاعة ربه الكريم، وآخر رضي لنفسه أن يكون عبداً للطواغيت والظالمين وجندياً مخلصاً لهم يأتهم بأمرهم ولا يرقب في الله تعالى إلا ولا ذمة، ورابع خدعته القداسات المزيفة لهاكل بشرية صنعتها لها أبواق الكهنة والسدنة والمستفيدين وأموالهم وسلطانهم فصار المعروف ما عرفوه والمنكر ما أنكروه وجعلوا تلك الهياكل مقياساً لمعرفة الحق وليس الحق معياراً لمعرفة الرجال، وخامس اتخذ رئيس عشيرته رباً يعبده

ويطيعه من دون الله تبارك وتعالى فالمهم طاعة هذا الرئيس والالتزام بالسنيّة العشاثرية وإن كان مخالفة لله تبارك وتعالى وما جاء به الذكر الحكيم، والله تعالى يقول: [وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَأِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ] (التوبة: ٣١).

وهذا التعدد في العناوين التي تطاع من دون الله تبارك وتعالى هو الذي أوجب هذا التشتت والضياع والتفرقة بين أبناء الدين الواحد والمذهب الواحد وحتى البيت الواحد، ولو كانوا أحراراً في دنياهم لا يطيعون إلا من أمر الله بطاعته لتوحدوا ولكنهم تفرقوا فسلبت البركات منهم والعياذ بالله.

إن الحرية التامة والانعتاق الحقيقي هي في العبودية التامة والتسليم المطلق لله تبارك وتعالى فكلما أزداد العبد طاعة وتسليماً لله تبارك وتعالى تحرر من الرق لغيره أكثر [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] (النساء: ٦٥).

نسأل الله تبارك وتعالى أن يستخلصنا لنفسه وأن لا يجعل لغيره سلطاناً علينا أبداً ولا طرفة عين.

(وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا) (هود/١٠٨)

بِمَ تَتَحَقَّقُ السَّعَادَةُ؟^(١)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على أشرف خلقه وأكرمهم أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

السعادة: حلم كل الناس والهدف الذي تسعى إليه البشرية، ولذلك كان كل اهتمام الأنبياء والرسل والفلاسفة والمفكرين والعلماء هو الوصول إلى ما تتحقق به السعادة، ونحن حينما نتبادل التهاني في العيد، يدعو بعضنا لبعض: (أسعد الله أيامكم) وإن كنا نحن في العراق نقولها وقلوبنا تعتصر ألماً لما يمرُّ به شعبنا من قتل ودمار ونقص مريع في الخدمات الأساسية، وانتشار الفقر والبطالة والمرض والجهل والفساد وأمثالها من الأمراض الاجتماعية الفتاكة التي تنخر بنية المجتمع وتدمره إلا من عصم الله تعالى.

ولا زالت دماء الضحايا والأبرياء لم تجف بعد في بغداد والبصرة والكوت وكربلاء والأنبار وغيرها من المدن العراقية المحرومة المنكوبة. وقد مرّت ستة أشهر على الانتخابات من دون تحقيق خطوة تذكّر لتشكيل الحكومة، والزعماء السياسيون منهمكون بالصراع على السلطة وغنائمها وامتيازاتها.

(١) الخطبة الأولى التي ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه الشريف)

لصلاة عيد الفطر يوم الجمعة عام ١٤٣١ الموافق ٢٠١٠/٩/١٠ م.

وأقل من هذه البلاءات بكثير دفعت شاعراً مثل المتنبي إلى القول:
عيدٌ بأية حالٍ عُدتَ يا عيدُ بما مضى أم بأمرٍ فيك تجديدُ
ويوجد اليوم في الكتاب والمتقنين من يخاطب العيد بقول المتنبي، ويسخر
ممن يقول (أيامك سعيدة) و(أسعد الله أيامكم) مع أنها كلمات دعاء وطلب من
الله تعالى بجعل أيام العمر سعيدة وهائلة وليست إخباراً عن الواقع المعاش حتى
يجد البعض أنها غير لائقة وغير منطبقة على هذا الواقع المؤلم.

وأين المتنبي وأمثاله من سمو أهل البيت (عليهم السلام) وحياتهم السعيدة وهم
الذين لم يؤذَ أحدٌ كما أوذوا، انظروا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) يسقط مضرراً
بدمائه في محراب مسجد الكوفة وهو يقول: (فُزتُ وربَّ الكعبة)، والإمام
الحسين (عليه السلام) يقول وهو يرى جمع الأعداء كالسيل وقد يبلغوا عشرات
الآلاف وهو وأصحابه لا يتجاوزون المائة يقول (عليه السلام): (ليرغب المؤمن في
لقاء الله، وإنني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً)^(١).

والإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) يشكر الله تعالى وهو في قعر السجون
وظلمات المطامير ويقول (إلهي طالما طلبت منك أن تفرغني لعبادتك وقد
فعلت).

روى صالح بن سعيد قال: (دخلت على أبي الحسن - الهادي - (عليه السلام) يوم
وروده - سامراء - فقلت له: جُعِلتُ فداك في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك
والتقصير بك حتى أنزلوك هذا المكان الأشنع خان الصعاليك.

بِمَ تَتَحَقَّقُ السَّعَادَةُ؟.....(٤١٧)

فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ها هنا أنت يا ابن سعيد، ثم أوماً بيده فإذا أنا بروضات أنيقات وأنهار جاريات وجنات فيها خيرات عطرات وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون، فحار بصري وكثر عجبني، فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لي: حيثُ كُنَّا فهذا لنا، يا ابن سعيد لسنا في خان الصعاليك^(١).

إنها الحياة السعيدة في رحاب الله تبارك وتعالى التي تشغله عن كل شيء [أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] (الرعد: ٢٨) فاطمئنان القلب الذي هو علامة السعادة يتحقق بأن تجعل الله تعالى محور حركاتك وسكناتك وهدفك الذي تسعى إليه، ولا تنال تلك السعادة إلا بالتقوى؛ لذا يعلمنا الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أن نطلبها في الدعاء كما طلبوها لأنفسهم، من دعاء الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يوم عرفة: (اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك، وأسعدني بتقواك.

فالسعادة الحقيقية هي الفوز بالجنة وهي ثمرة التقوى والعمل بما يرضي الله تبارك وتعالى ويقرب منه، قال تعالى: [وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ] (هود: ١٠٨).

وتحيط الشقاوة بالإنسان - والعياذ بالله - حينما يعصي الله تبارك وتعالى ويبتعد عنه قال تعالى: [وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ، حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ] (الزخرف: ٣٦-٣٨). فتصورا

(١) بحار الأنوار: ٢٠٢/٥٠ رواها الشيخ المفيد والكليني (رضوان الله عليهما).

أي حياة شقية تكون للشخص الذي يلزمه فيها شيطان يكون قريناً له يخلي الله بينه وبينه ليرديه في الضلالات والمهالك وفي حياة تعيسة ضيقة يصفها قوله تعالى: [وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِن لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى] (طه: ١٢٤) ولذا تكون النتيجة يوم القيامة قوله تعالى: [فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ] (هود: ١٠٦-١٠٧).

أيها الأحبة..

إن السعادة والشقاوة تنبعان من داخل الإنسان، وهي من حالات عالمه المعنوي ووصف لباطنه، فالسعيد من كان كذلك في باطنه، والشقي من كان كذلك في داخله؛ فلا تتحقق إلا بأمور من جنسها أي معنوية، وليس بأمور مادية كالمال والجنس وترف الدنيا، فكم من شخص لا تتوفر له أسباب السعادة المادية الدنيوية بفقر أصابه أو مرض ابتلي به أو مصيبة نزلت به لكنك تراه سعيداً متفائلاً مبتسماً، وآخر يعيش في ترف وتوفر له كل أسباب المتعة والعيش الرغيد لكنه عبوس كئيب وقد ينتهي به الأمر إلى الانتحار، وهذه النشرات والإحصائيات تطلعنا باستمرار على أن أكثر حالات الانتحار موجودة في أكثر الدول رفاهية.

ولا يعني كلامنا هذا تقيلاً من أهمية توفير متطلبات الحياة الهنيئة السعيدة، فإن لها دوراً في تحقيق تلك السعادة إذا أخذ منها بالمقدار المناسب للحاجة ووُظِّفت لتحقيق الهدف، فإنها خير معين لها بفضل الله تبارك وتعالى، وإنما

بِمَ تتحقق السعادة؟..... (٤١٩)

اشتق اسم السعادة أصلاً من المساعدة وهي المعاونة على ما تتحقق به السعادة الحقيقية التي سميت سعادة لما فيها من معاونة الألفاظ الإلهية للإنسان حتى وُفق إلى الخير والجنة ورضا الله تبارك وتعالى، ولذا نجد في الروايات الشريفة المأثورة عن المعصومين (عليهم السلام) إرشادات إلى ما تتحقق به السعادة الأخروية وما يستعان به على تحقيقها من أمور الدنيا.

وهذا الانسجام مع الفطرة والتوازن في مخاطبة كل عوالم الإنسان، وتلبيته كل احتياجاته الروحية والنفسية والعقلية والجسدية هي من مختصات شريعة الله تبارك وتعالى الخالق العظيم والبصير بما يصلح حال الإنسان ويسعده، بينما تاهت النظريات البشرية في تفسير السعادة وبيان ما تتحقق به لأن تحقيق السعادة حلم كل البشر ولم تنته بهم تلك النظريات إلا إلى الشقاء والقلق والخوف والكآبة والصراعات والشور والآثام، بين أصحاب النظريات المادية الذين حددوا السعادة بالمتعة وتلبية الغرائز واحتياجات الجسد إلى حد الإفراط - كما في الغرب - من دون التفات إلى حاجة الروح إلى الكمال، ونزوع النفس إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة، وبين أصحاب النظريات الفلسفية والروحية الذين جعلوا السعادة في تحقق الكمالات النفسية ولو على حساب التفريط في احتياجات الجسد، بل يجعل بعض أهل الرياضات الروحية تعذيب الجسد وإيلامه سبباً لنيل تلك الكمالات وتحقيق السعادة.

ويتغافلون بذلك عن حقيقة أن من تمام السعادة تحقيق التوازن في متطلبات كل جوانب الإنسان. وهذا ما وجدناه في شريعة الإسلام دين الفطرة [فَأَقِمْ

وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [الروم: ٣٠] ففي الوقت الذي تؤكد فيه على الجوانب المعنوية والكمالات الروحية حين تجعل التقوى وتهذيب النفس أساس السعادة والفلاح [قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا] (الشمس: ٩-١٠) وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وإن السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم)^(١).

فإنها تدعو إلى الأخذ بأسباب الحياة التي توفر الطمأنينة والراحة والسكون للنفس فنرى الحث الأكيد على العمل والكسب بالتجارة أو الزراعة أو غيرها وتجعل العمل لطلب الرزق الحلال من أفضل القربات إلى الله تعالى ففي الحديث النبوي الشريف (طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة)^(٢) وقال (صلى الله عليه وسلم): (من أكل من كد يده كان يوم القيامة في عداد الأنبياء ويأخذ ثواب الأنبياء) وفي الحديث (الكاذب على عياله كالمجاهد في سبيل الله) وفي حديث آخر (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها) وفي حديث نبوي شريف (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة، إلا كانت له به صدقة).

وتجعل تلبية الحاجة الجنسية من طرقها المحللة - أي الزواج - من آيات الله تبارك وتعالى وسننه التي يتقرب إليه تبارك وتعالى بإقامتها، وإن الإعراض عنه

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم (٢٢٣) قالها عند تلاوته [يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ].

(٢) بحار الأنوار: ٩/١٠٣، ح ٣٥.

بِمَ تَتَحَقَّقُ السَّعَادَةُ؟..... (٤٢١)

خروج عن هذه السنة قال تعالى: [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] (الروم: ٢١) وقال النبي (ﷺ): (النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني) ويقول (ﷺ): (شرار أمتي العزاب).

ونرى رفض الرهبة والانعزال وحرمان النفس والجسد من بعض ما تشتهيهِ بالمعروف وبما أحل الله تعالى: [يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] (الأعراف: ٣١-٣٢).

هذا التوازن والنهي عن الإفراط والتفريط معاً لتحقيق السعادة يظهر جلياً مما ورد في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعود، فلما رأى سعة داره قال: (ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا؟ أما أنت إليها في الآخرة كنت أحوج! وبلى، إن شئت بلغت بها الآخرة: تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة.

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد، قال (عليه السلام): وما له؟ قال: لبس العباءة وتخلي عن الدنيا، قال (عليه السلام): عليّ به، فلما جاء قال (عليه السلام): يا عُدَيَّ نفسه، لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله

من ذلك. قال: يا أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك، قال (عليه السلام): ويحك إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس لكيلا يتبيخ بالفقير فقره^(١).

ونذكر هنا مجموعة من الروايات الشريفة التي أرشدتنا إلى ما تتحقق به السعادة في الآخرة وما يعين عليها من أمور الدنيا:

١- عن جعفر بن محمد عن آبائه (عليهم السلام) عن علي (عليه السلام) أنه قال: (حقيقة السعادة أن يختم الرجل عمله بالسعادة وحقيقة الشقاء أن يختم المرء عمله بالشقاء)^(٢)، فإن الإنسان لا تكتمل سعادته إلا عندما يختم عمله بخير فإننا نرى كثيرين يعملون عمل السعداء لكنهم في منعطف من حياتهم ينقلبون ويغويهم الشيطان ويلتحقون بالأشقياء وقد يحصل العكس أحياناً كما في قضية الحر الرياحي حتى قال فيه الإمام الحسين (عليه السلام): (أنت حرّ في الدنيا وسعيد في الآخرة) فلا تتحقق السعادة إلا بالمداومة على الخير والثبات عليه.

٢- قال الإمام الصادق (عليه السلام): (من سعادة المرء خفة لحيته)^(٣) أي قلة أتباعه ورعيته سواء كان على صعيد العائلة أو السلطة أو الزعامة الدينية أو الاجتماعية؛ لأن التابع يتمسك بلحية المتبوع - كما يقال في العرف - وقد يتحمل المتبوع مسؤولية تكثير أتباعه بتكبير لحيته الظاهرية فيتبعه من يراعي تلك المقاييس.

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم (٢٠٩).

(٢) بحار الأنوار: ١٥٤/٥ عن الخصال: ٥ ب ١ ح ١٤.

(٣) بحار الأنوار: ١١٣/٧٣.

بِمَ تَتَحَقَّقُ السَّعَادَةُ؟..... (٤٢٣)

وفي (معاني الأخبار) للشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) قراءة أخرى للحديث (خفة عارضيه) أي خفة لحييه وعارضيه بذكر الله تعالى وعدم غفلته عن ربّه.

٣- عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (ثلاثة من السعادة: الزوجة المؤاتية، والولد البار، والرجل يرزق معيشة يغدو على إصلاحها ويروح على عياله)^(١).
وعن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) عن آبائه عن علي (عليه السلام) قال: (من سعادة المرء المسلم الزوجة الصالحة والمسكن الواسع والمركب الهنيء والولد الصالح)^(٢).

فالزوجة الصالحة المطيعة المتوددة، والمسكن اللائق بشأن الإنسان، والأولاد البارون الصالحون، ووسيلة التنقل المناسبة التي تغنيه عن الطلب من الناس وغيرها من الحاجات الأساسية في الحياة يؤدي توفرها إلى الحياة السعيدة المعينة على طاعة الله تعالى ونيل السعادة الحقيقية.

على أن لا تتحول هذه الأمور إلى هدف وشاغل عن الله تعالى بل يجعلها الإنسان وسائل مساعدة ومعينة على الوصول إليه تبارك وتعالى قال عز من قائل: [رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ] (النور: ٣٧) فالمشكلة ليست في وجود تجارة أو مال وإنما في تحولها إلى مانع عن الوصول إليه تبارك وتعالى، وقال: [إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ

(١) بحار الأنوار: ٦/١٠٣ عن أمالي الشيخ الطوسي.

(٢) بحار الأنوار: ٩٨/١٠٤، ح ٦٤.

فَاخَذَرُوهُمْ] (التغابن: ١٤).

٤- وفي كتاب غرر الحكم عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (السعيد من استهان بالمفقود)؛ لأن الحزن على ما فات موجب للشقاء والنكد والسعيد من صبر وتسلّى عنه واحتسبه عند الله تعالى.

وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (في لزوم الحق تكون السعادة) لأن معرفة الحق واتباعه هو أساس السعادة الحقيقية الموجبة للفوز.

وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (من حاسب نفسه سعد) لأنه بالمحاسبة يستطيع تصحيح الأخطاء وتلافي النقص ورد المظالم إلى أهلها ويقرّر حياة أفضل وكل ذلك يوجب السعادة.

وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (خلوّ الصدر من الغل والحسد من سعادة العبد) فإن أشقى الناس من امتلأ قلبه حقداً وحسداً وغلاً وخيانة وحياته تكون معذبة ويعيش مهموماً.

وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (السخاء إحدى السعادتين).

وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (سعادة المرء -في- القناعة والرضا) فإذا قنع استقر ورضي ولم يحزن على فوات شيء أو يقلق حرصاً على تحصيل شيء.

وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (سعادة الرجل في إحراز دينه والعمل لآخرفته) لأن العمل بما يرضي الله تعالى والسير على هدى أوليائه يحقق السعادة الأبدية.

وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (إذا اقترن العزم بالحزم كملت السعادة).

وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (أمانة السعادة إخلاص العمل) لأن عمله إن لم يكن بنية

بِمَ تَتَحَقَّقُ السَّعَادَةُ؟.....(٤٢٥)

مخلصة لم يكن مقبولاً ولم يحقق السعادة المطلوبة، فعلامة سعادته كون عمله مخلصاً لله تبارك وتعالى.

في كتاب مكارم الأخلاق (من سعادة المرء دابة يركبها في حوائجه ويقضي عليها حوائج إخوانه)^(١)؛ لأنه بها يستغني عن الحاجة للآخرين ويتمكن من قضاء حوائج الناس التي هي من أعظم القربات.

٥- عن الإمام السجاد (عليه السلام) قال: (من سعادة المرء المسلم أن يكون متجره في بلاده ويكون خلطاؤه صالحين ويكون له وُلْدٌ يستعين بهم)^(٢). فمن كان متجره في بلاده كفاه الله مؤونة الغربة والبعد عن الأهل والوطن ومخاطر الأسفار، ومن كان شركاؤه وأقرانه في العمل صالحين تجنب المشاكل والخصومات والخوض في الباطل، ومن كان له ولد يعينه خفّت أعباء الحياة عليه وسعد برؤيتهم.

٦- (من سعادة المرء أن يطول عمره، ويرزقه الله الإنابة إلى دار الخلود)^(٣).

(ليس كل من يحب أن يصنع المعروف إلى الناس يصنعه، وليس كل من يرغب فيه يقدر عليه ولا كل من يقدر عليه يؤذن له فيه، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن فهناك تمت السعادة للطالب والمطلوب إليه) فهكذا تجتمع الأسباب لتحقق السعادة: الإرادة من الإنسان وتيسير الأسباب والوسائل الطبيعية لإنجاز العمل وتوفيق الله سبحانه.

(١) مكارم الأخلاق: ١٣٨.

(٢) بحار الأنوار: ٧/١٠٣ ح ٢٧ عن الخصال: ١٥٩/١ باب الثلاثة.

(٣) بحار الأنوار: ٤٦/٦.

(ولو أن أشياعنا - وفقهم الله لطاعته - على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه)^(١) فالإلفة بين المؤمنين وتواددهم وتراحمهم سبب قوي لسعادتهم ونزول الرحمة عليهم.

ونذكر بعض الروايات الواردة في الشقاوة لتعرف الأمور بأضدادها:
قال رجل للنبي (ﷺ): اعدل، فقال (ﷺ): (لقد شقيتَ شقيتُ) إن لم أعدل^(٢).

وعنه (ﷺ) قال: (أشقى الناس الملوكة)^(٣) بعكس ما يتصور أغلب الناس فيحسدونهم على ما هم عليه فإذا انكشف لهم الواقع تبرأوا منه كما في قصة قارون التي حكاها الله تبارك وتعالى: [وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانُّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَانُّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ] (القصص: ٨٢).

وعنه (ﷺ) قال: (أربع خصال من الشقاء: جمود العين وقساوة القلب وبعد الأمل وحب البقاء)^(٤).

(١) الاحتجاج: ج ٢، رسالة الناحية المقدسة إلى الشيخ المفيد.

(٢) رواه البخاري: ٣١٣٨.

(٣) بحار الأنوار: ٣٤٠/٧٥.

(٤) بحار الأنوار: ١٦٤/٧٣.

بِمَ تَتَحَقَّقُ السَّعَادَةُ؟ (٤٢٧)

سئل أمير المؤمنين (عليه السلام): أي الخلق أشقى؟ قال (عليه السلام): (من باع دينه بدنيا غيره)^(١).

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (عليه السلام): (إن الشقي من حُرِمَ ما أُوتِيَ من العقل والتجربة)^(٢).

ومن كلماته (عليه السلام) في غرر الحكم: (من علامات الشقاء غش الصديق) (من الشقاء فساد النية) (من الشقاء أن يصون المرء دنياه بدينه).

ونبه هنا إلى شبهة يثيرها الغارقون في المعاصي العاجزون عن التغلب على أهوائهم فيصوّرون لأنفسهم أنه مكتوب عليهم الشقاء ولا يمكن تغييره، وقد دعمت هذا الاتجاه الفكري جهات سياسية منذ عصر صدر الإسلام لتمنع الأمة من الحركة نحو الإصلاح وتغيير الواقع الفاسد وإزالة الظلم، وينقل القرآن الكريم عنهم قولهم: [قَالُوا رَبَّنَا عَلَبْتَ عَلَيْنَا شِقْوَتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ] (المؤمنون: ١٠٦) لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) فسر الآية بقوله: (بأعمالهم شقوا)^(٣).

فالإنسان باختياره عمل ما يوجب شقاءه، وقد جرى القضاء الإلهي - أي مجموعة القوانين والسنن الإلهية - بأن من يعصي ويعرض عن الله تعالى يشقى، قال (عليه السلام) في دعاء كميل: (إلهي ومولاي أجريت عليّ حكماً اتبعت فيه هوى نفسي ولم أحترس فيه من تزيين عدوي فغرّني بما أهوى وأسعده على ذلك القضاء) فالعبد باختياره اتبع الشيطان وساعد على غوايته السنة الإلهية بإيكاله

(١) بحار الأنوار: ٣٠١/٧٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٧٤/١٨.

(٣) بحار الأنوار: ١٥٧/٥.

إلى نفسه وسلب التوفيق منه.

وفي احتجاج الإمام الصادق (عليه السلام) على الزنادقة لما سألوه: (فما السعادة وما الشقاوة؟ قال: السعادة سبب خير تمسك به السعيد فيجره إلى النجاة، والشقاوة سبب خذلان تمسك به الشقي فجره إلى الهلكة، وكلُّ يعلم الله تعالى^(١)) فالله تبارك وتعالى قضى تلك الأسباب، والإنسان بإرادته تمسك بهذا أو ذاك منها، وروى البخاري عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة) ولذا فُسرَّت السعادة بما يناسب أصلها المأخوذ منه وهي المساعدة فليل أن السعادة والسعد: ((معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير ويزادُه الشقاوة وأعظم السعادات الجنة))^(٢).

أيها الأحبة..

نستطيع تلخيص أسباب السعادة الحقيقية بالإيمان بالله تعالى وتقواه والالتزام بطاعته وطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) بإخلاص ونشاط وعزيمة لا تلين، وتطهير القلب من أمراض الحسد والحقد والبغضاء والبخل والحرص والخوف والقلق وتنقية العقل، من الشبهات والشكوك والظنون والتهم والأوهام والوساوس (فإن الشكوك والظنون لواقع الفتن ومكدره لصفو المنائح والمنز) وتهذيب النفس من الأهواء المنحرفة وضبط الغرائز على وفق ما يصلح حال

(١) بحار الأنوار: ١٠/١٨٤.

(٢) المفردات للراغب: مادة (سعد).

بِمَ تَتَحَقَّقُ السَّعَادَةُ؟.....(٤٢٩)

الإنسان في دنياه وآخرته وتجنب الإفراط والتفريط.

والزواج بالمرأة الصالحة الودودة الجميلة وطلب الأولاد وتربيتهم ليكونوا صالحين، والسعي لطلب الرزق الحلال الذي يسدّ احتياجاته ويغنيه عما في أيدي الناس ويوفّر له فرص الطاعة والقرب من الله تبارك وتعالى. وقد وجدت في الأحاديث الشريفة أن أكثر ما يوجب السعادة بعد التقوى محبة الآخرين ومواددتهم وبذل الوسع في إسعادهم وقضاء حوائجهم وإدخال السرور عليهم ابتداءً من الوالدين والزوجة والأولاد إلى الجيران والأرحام ثم عامة الناس.

وإن أكثر ما يوجب الشقاء بعد الإعراض عن الله تعالى هو الحزن والقلق، الحزن على ما فات من عزيز أو مال أو شهوة أو شيء حريص عليه، والقلق مما يأتي كالتاجر يخاف أن يخسر والمرأة تقلق أن يفوتها قطار الزواج أو يتزوج عليها زوجها امرأة ثانية. فينكد عيشتهم باحتمالات لم تقع، والحل في تجنب هذه الحالات، وإيكال الأمر إلى الله تبارك وتعالى والأخذ بالأسباب المتيسرة قال تعالى في علاج هذه الحالة: [مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ] (الحديد: ٢٢).

ولم تحصل هذه الحالات إلا بسبب الحرص والفخر والاختيال بما في اليد.

(ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه) (آل عمران/١٩١)

محطة من حياة رسول الله (ﷺ) اليومية^(١)

نحن في جوار رسول الله (ﷺ) وفي ضيافته، ونحب أن نقف عند محطة من حياته الشريفة (ﷺ) ففي الرواية إنه (ﷺ) كان إذا استيقظ من نومه^(٢) في جوف الليل قلب طرفه في السماء متأملاً ويقرأ الآيات الكريمة العشر في أواخر سورة آل عمران وهو يبكي [إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ، رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ] (آل عمران: ١٩٠-١٩٤).

[رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ] أيها الأحبة:

نحن لم نخلق في هذه الدنيا عبثاً وبلا غرض، قال تعالى: [وَمَا خَلَقْنَا

(١) كلمة ألقاها سماحة الشيخ (دام ظلّه) في المدينة المنورة في موسم الحج ١٤٣١ هـ يوم الثلاثاء

٢٤/ذو القعدة هـ الموافق ٢٠١٠/١١/٢ م.

(٢) الدر المنثور للسيوطي في تفسير الآية.

محطة من حياة رسول الله (ص) اليومية (ص) (٤٣١)

السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ، لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ] (الأنبياء: ١٦-١٧). فلا بد أن نلتفت إلى هذا الغرض الذي خلقنا من أجله ليكون ماثلاً امامنا دوماً ولنكرس حياتنا من أجله، قال تعالى: [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] (الذاريات: ٥٦).

وورد في تفسير الآية عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: (خرج الحسين بن علي (ع) على أصحابه فقال: أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبده، فإذا عبده استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه)^(١) ومما ورد في دعاء الإمام الحسين (ع) يوم عرفة (إلهي علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك مني أن تتعرف إليّ في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء).

فالغرض من وجودنا هو التعرف إلى الله تبارك وتعالى وعبادته بحقيقة العبادة، بأن يكون الله تبارك وتعالى كقطب الرحي الذي ندور حوله وإلى هذا المعنى يشير الطواف بالكعبة، وأن يكون تبارك وتعالى محور حياتنا في كل حركاتنا وكل سكناتنا ومشاعرنا وعواطفنا ومواقفنا التي نتخذها في حياتنا.

وهذا لا يعني أن نترهب ونعتزل الدنيا في الصوامع والكهوف، بل بالعكس فإن هذا الهدف يدفعك إلى أن تخوض الحياة بكل تفاصيلها وتمارسها بشكل طبيعي لتؤدي رسالتك ولكن عليك أن توظف كل ممارساتك لهذا الهدف، لقد كان الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) عبداً

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق: باب ٩: علة خلق الخلق.

مخلصين لله تبارك وتعالى ومعصومين عن الالتفات إلى غيره ومع ذلك فقد كانوا يمارسون حياتهم الطبيعية كأى إنسان، فلا منافاة.

فالعمل والكسب يمكن أن يجعله الإنسان لاكتناز الأموال وزيادة أرصده في البنوك للمباهاة والتفاخر ولا يخرج حقوقه الشرعية فيكون وبالاً عليه، ويمكن أن يجعله للتعفف مما في أيدي الناس وللإنفاق في وجوه البر والإحسان ومساعدة المحتاجين والحج والزيارة وتزويج المؤمنين ودعم المؤسسات الخيرية فينال رضا الله تبارك وتعالى ويحقق الهدف.

والأكل مثلاً يمكن أن يجعله لحفظ البدن الذي هو واجب وللتقوي على العبادة ونحوها من الأهداف الصحيحة، والزواج الذي فيه إشباع للشهوة والغريزة يمكن وضعه في هذا السياق بأن يجعل غرضه إقامة سنة الله تبارك وتعالى وصيانة النفس والزوجة من الحرام وإدخال السرور على رسول الله (ﷺ) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وتكثير نسمات الموحدين وبناء أسرة صالحة وإدخال السرور على امرأة مؤمنة ونحوها من النيات المباركة وهذا إنما يتحقق حينما يكون الإنسان دائم الذكر لربه مستحضراً وجوده المقدس والإنسان غير المعصوم لا يكون كذلك على الدوام ولكن ليحفظ هدفه الذي يسعى لتحقيقه، ولو أدركته غفلة أو انساق وراء شهوة فليعد فور تذكره إلى ربه قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ] (الأعراف: ٢٠١).

ونحن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) متمسكون بأوثق العرى الموصلة لمعرفة الله

محطة من حياة رسول الله (ص) اليومية (٤٣٣)

تبارك وتعالى الدالة على عبادته وأعظم الوسائل لنيل رضاه، والضامن الأكيد لسلامة المسير إلى الله تبارك وتعالى والصائنة من الانحراف عن الصراط المستقيم، ففي تنمة رواية علل الشرائع المتقدمة (فقال له رجل: يا ابن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته) لأن من لا يعرف إمام زمانه ولا يأخذ عنه فإنه لا يعرف الله حق معرفته، ومن يعتقد أن ربه يتركه بلا إمام يهديه فقد ضل سواء السبيل، وقد ورد في الدعاء (اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني).

وقد أمر الله تبارك وتعالى باتخاذ هذه الوسيلة لنيل رضاه قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ] (المائدة: ٣٥) وهي ولاية أهل البيت ومودّتهم كما دلت عليه الروايات ويمكن الاستفادة هذا المعنى من القرآن الكريم بالجمع بين الآيتين الكريمتين [قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا] (الفرقان: ٥٧) وقوله تعالى: [قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ] (الشورى: ٢٣). فالسبيل هي مودة أهل البيت (عليه السلام) وقد أمرت آية سورة المائدة باتخاذها وسيلة.

ومن لطف الله تعالى بعباده وحكمته في تدبير شؤونهم وتغطية كل مساحات الحياة أنه نوع الطاعات والقربات الموصلة إليه وأعطى لعباده إمكانيات ومؤهلات مختلفة، فبعض أعطي العلم النافع فهو يتقرب إلى الله

بإرشاد الناس وتعليمهم معالم دينهم وهدايتهم، وآخر أعطي المال ليتقرب إلى الله بإنفاقه في وجوه البر والإحسان، وآخر أعطي أخلاقاً كريمة يعاشر بها الناس فيحبه الله تبارك وتعالى.

فهذا التنوع في القناعات والاختلاف في أداء الأعمال الموصلة إلى الله تعالى رحمة بالعباد كما في الحديث النبوي الشريف (اختلاف أمتي رحمة)، وهنا شقشقة أريد أن أبوح بها لأن مجتمعنا مبتل بها في جميع البلدان وليست خاصة ببلد فقد بلغني أنها موجودة هنا في المملكة وإيران والبحرين ولبنان كما هي موجودة عندنا في العراق وهي عدم التعاطي مع هذا التنوع بايجابية، بل بحساسية مفرطة وسوء ظن تصل إلى حد التقاطع وتبادل الاتهامات والتسقيط وربما التكفير في بعض الحالات والعياذ بالله، وهذه حالة مرفوضة ولا مبرر لها من سيرة أهل البيت (عليهم السلام) وتعاليمهم وتوقع أصحابها في الكبائر. مع ما فيها من حرمان للأمة من طاقات فاعلة وحركات مؤثرة.

لقد شبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمة بالسفينة التي تتحرك بحركة واحدة نحو ساحل الأمان ولو شاء أحد أن ينفرد برأيه ويخرج من حركة الأمة ويقلع خشبته من السفينة فإن الأمة تغرق فلا بد من حركة تكاملية لعناصر المجتمع يتمم بعضهم دور بعض ويشكل كل واحد المساحة التي يستطيع التحرك فيها، وليست حركة تقاطعية عدائية، أجازنا الله تعالى وإياكم من مضلات الفتن.

(وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)

(النور: ٣١)

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى^(١)

دعوة موجهة إلى جميع المؤمنين ليتوبوا إلى الله تعالى، وهي موجهة إلى غيرهم من باب أولى، فالجميع مطالبون بالتوبة أي الرجوع إلى الله سبحانه لأن التوبة تعني الرجوع عن الذنب والعودة إلى الصراط الذي أمر الله تعالى به. والاستجابة المطلوبة لهذه الدعوة لها مستويات متعددة بحسب مستويات الأشخاص أنفسهم وشكل الذنوب التي تصدر منهم فيتوب الله تعالى على العبد

(١) هذا البحث أعدّه سماحة الشيخ يعقوبي لإلقائه على شكل محاضرات تربوية توعوية لاستقبال شهر رمضان إبان حكم الطاغية صدام المقبور في الفترة ٢٠٠٠-٢٠٠٣ التي تصدى فيها سماحة الشيخ يعقوبي (دام ظله) لقيادة حركة الوعي الاسلامي داخل العراق بعد استشهاد استاذ السيد الصدر الثاني (قُلَيْبٍ) عام ١٩٩٩. وقد تضمنت مسودة البحث اشارات كثيرة لأفكار كان سماحته يريد إضافتها للبحث ولم يتسع الوقت لذلك. لكن سماحته أضاف إليه عند طبعه بعض الاشارات النافعة بإذن الله تعالى. ومنها المقدمة في تفسير الآية الكريمة كما أنه (دام ظله) تطرّق إلى الكثير مما كان يريد أن يضيفه الى البحث في خطابه وكلماته اللاحقة وهي منشورة في موسوعة (خطاب المرحلة) وتفسير (من نور القرآن) وكتبه الاخرى مثل (الاسوة الحسنة). ويلاحظ ان اغلب الأحاديث الشريفة كتبها سماحته بالمضمون اعتماداً على ذاكرته لعدم توفّر المصادر والكتب يومئذٍ لديه وعدم وجود التقنيات الالكترونية ووسائل التواصل الموجودة اليوم وقد خرّجنا النصوص من مصادرها.

فيرجع على عبده بالتوفيق والجذب والدعوة للطريق الصحيح فان استجاب العبد وتاب بمستوى معين، تاب الله عليه ورجع عليه برحمة أخص ونقله الى مستوى أعلى وهكذا تكون العلاقة التكاملية درجة بدرجة وخطوة بخطوة حتى يتحقق الفلاح قال تعالى (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (التوبة: ١١٨).

وتذكر آية أخرى هذه العلاقة العاطفية بين الله تعالى و عباده وتبين ان هذا الحرص من الله تعالى على عودة العباد اليه ناشئ من المودة والرحمة قال تعالى (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) (هود: ٩٠).

وقد تكررت هذه الدعوة للمؤمنين في اكثر من آية من القرآن الكريم كقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا توبوا إلى الله توبةً نصحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويُدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يُخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) (التحريم: ٨).

وقد حث النبي (ﷺ) اتباعه على الاستجابة للدعوة مبادراً إليها بنفسه الشريفة تطبيقها على نفسه الشريفة، فقد روي عن رسول الله (ﷺ) قوله (إنه ليغان على قلبي وإني لاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة)^(١) وروي في كل يوم

(١) جامع أحاديث الشيعة: ٤٩٧/١٥ عن لب الباب للراوندي: ٣٩٧/١ ودرر اللئالي لابن ابي

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٣٧)

مئة مرة^(١) وفي الدر المنثور عن البخاري ومسلم والبيهقي عن ابي رافع قال (سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيها الناس توبوا إلى الله جميعاً فإني أتوب إليه كل يوم مائة مرة)^(٢) .

والتوبة ليست فقط من ذنوب حاصلة في أي مستوى كانت بل تحسن التوبة مما يمكن أن يحصل لو لا لطف الله وعنايته وصرفه عن العبد (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ) (يوسف: ٢٤).

وهذا المعنى ليس غريباً فإن تقديم سبب التوبة والاستغفار على الذنب نفسه وارد في الروايات كجزء لبعض الاعمال الصالحة^(٣) فكما ان الاعمال الصالحة تكفر الذنوب اللاحقة كذلك التوبة والاستغفار من الذنوب اللاحقة والمحتملة. وترقى درجات التوبة لتصل الى مستوى التوبة للحفاظ على درجة العصمة وتكاملها والبقاء في القمة وهو أحد وجوه استغفار المعصومين (عليهم السلام) التي ذكرناها في خطاب سابق.

وتتحقق التوبة الصادقة عندما تكون صادرة عن الشعور بقبح الفعل لما فيه من الجرأة على الله تعالى الخالق المنعم ومقترنة بالعزم على عدم العود إلى مثلها

(١) شرحنا في خطاب سابق معنى استغفار رسول الله ﷺ والمعصومين (عليهم السلام) (راجع موسوعة خطاب المرحلة: ج ٧/ص ٢٣٣)

(٢) الدر المنثور: ٤٤/٥

(٣) ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال من زار قبر الحسين (عليه السلام) ليلة في ثلاث ليالي غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ليلة الفطر وليلة الاضحى وليلة النصف من شعبان) (وسائل الشيعة: ٤٧٥/١٤، ابواب المزار، باب ٥٤ ح ١).

وتدارك ما فات مما يمكن تداركه كقضاء الصلاة والصيام الفائتين وإرجاع حقوق الناس التي غصبها وهكذا، وقد وصفت التوبة الصادقة في الآية المتقدمة بالنصوح للدلالة على المبالغة في النصح لنفسه أي صدق التائب مع نفسه وهذه التوبة النصوح كفيلة بمحو السيئات والنجاة من العذاب ودخول الجنة برحمة الله تعالى.

والله تعالى يعلم أن العبد مهما صدق في توبته فإنه معرض للوقوع مرة أخرى في الذنب بأحد مستوياته لذا دعاه إلى التوبة النصوح مرة أخرى. روى الشيخ الكليني في الكافي بسند صحيح عن ابي بصير قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا)؟ قال: هو الذنب الذي لا يعود فيه أبداً) فقلت: وأئنا لم يعد، فقال: يا ابا محمد إن الله يحب من عباده المقتن التواب^(١).

ومثلها رواية محمد بن الفضيل في نفس الباب. ومقام التوبة من المقامات المحمودة عند الله تعالى قال عز من قائل (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة: ٢٢٢) وأضاف الله تعالى وصف التوابين إلى ذوي الدرجات الرفيعة عنده تبارك وتعالى (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (التوبة: ١١٢) وللمعصومين (عليهم السلام) وهم سادة الخلق ادعية طويلة في طلب التوبة.

(١) الكافي: ٣١٤/٢، ح ٤

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٣٩)

فالمؤمنون جميعاً مدعوون للتوبة كغيرهم لأن عندهم ذنوباً أيضاً وإن كانت لا تشابه ذنوب الكفار والفسقة وفي هذا تحذير للمؤمنين وموعظة حتى لا يغتر مؤمن بعمله أو يعجب به أو يجعل لنفسه منزلة أفضل من الآخرين وقد تتطلب إعادة العبد الى ربه شيئاً من الابتلاء والأذى رحمة بالعبد وشفقة عليه ليضطر إلى اليقظة والعودة إلى الله تعالى، قال سبحانه (وَلَنذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْإِيقَظَةَ وَالْعُودَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى)، قال سبحانه (السجدة: ٢١) وقد ورد في ادعية ليالي شهر رمضان (إلهي لا تُؤدِّبني بِعُقُوبَتِكَ) أي لا تجعلني بحال احتاج الى عقوبة وابتلاء لكي اعود الى الطريق الصحيح بل اعود بلطفك وعنايتك.

وتوجد مضافاً إلى ذلك ذنوب لا يلتفت إليها عادةً أشرنا إليها في خطاب مفصل منشور تضمّن شاهداً على ذلك^(١) من وحي دعاء للإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَام) اللهم اني اعتذر اليك من مظلوم ظلم، بحضرتي فلم انصره، ومن معروف اسدي اليّ فلم اشكره، ومن مسيء اعتذر اليّ فلم أعذره).

هذا اذا نظرنا بلحاظ المسؤولية الشخصية، اما اذا نظرنا بلحاظ المسؤولية الاجتماعية فسنجد ذنوباً جديدة نتحملها بسبب عدم بذلنا الوسع في إصلاح المجتمع وتخليصه من المعاصي المنتشرة فيه جهلاً أو تهاوناً أو تمرداً أو لأي سبب آخر وهذا كله تقصير في اداء أعظم وظيفة في الاسلام وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢).

(١) خطاب المرحلة: ج ٧ / ص ١٠٢

(٢) راجع كتابنا عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولعل هذا أحد وجوه ورود هذه الدعوة في نهاية الآيات الآمرة بالحجاب والناحية عن التبرج من سورة النور مع أنه ليس جميع نساء المؤمنين متبرجات لكنهم جميعاً مسؤولون عن وجود هذه المعصية في المجتمع إن لم يكونوا مبتلين فعلاً بدرجة من درجات هذه المعاصي الاجتماعية فانتشار الخلاعة والمجون يصيبهم بالنظرة المحرمة والإثارة غير المشروعة ونحو ذلك والعياذ بالله.

صور من انحراف المجتمع:-

ونحن بين يدي شهر رمضان الذي هو من أعظم أسباب التوبة والاستغفار فإنه شهر المغفرة والعتق من النار ومما ورد في خطبة النبي (ﷺ) التي استقبل بها شهر رمضان في آخر جمعة من شعبان قال (ﷺ): (أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَنْفُسَكُمْ مَرهُونَةٌ بِأَعْمَالِكُمْ، فَفَكُّوْهَا بِاسْتِغْفَارِكُمْ، وَظُهُورِكُمْ ثَقِيلَةٌ مِنْ أَوْزَارِكُمْ، فَخَفِّفُوا عَنْهَا بِطُولِ سُجُودِكُمْ) (١).

ففي مجتمعنا (المسلم) مشاهد عديدة تستوقفنا وتجعلنا نطيل التأمل فرجل مسلم اشتعل رأسه شيباً يسمع المؤذن ينادي (حي على الصلاة) وهو يجلس في المقهى ويلعب الدومينو ويخوض في أحاديث الباطل وكأن النداء ليس موجهاً إليه.

وآخر اذا جنّ عليه الليل عاد الى داره ثملاً قد سلبت الخمر عقله.

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٤١)

أو امرأة مسلمة تمشي بين الرجال سافرة قد كشفت عن شعرها وبعض
اجزاء جسدها.

أو شابٌ مسلمٌ تارك للصلاة غارق في اللهو واللعب يتخذ من فنان فاسق
قدوة له يقلده في أفعاله وأقواله ويحمل على ملابسه علامات الكفار وصور
الفساق أو تراه مفطراً في نهار شهر رمضان.

أو ناس مؤمنون يخوضون في الغيبة وانتقاص الناس وتسقيطهم والافتراء
عليهم والايقاع بهم.

وآخر يغض النظر عن معاملاته ويحاول ان يجد الف طريقه لتبرير الربح
غير المشروع.

أو طالب وطالبة جامعية وهما ينشأن علاقته (حب) خارج الصيغ الشرعية و
يجلسان معاً بعيداً عن أعين النظار في اجتماع غير شريف يكون ثالثهما
الشیطان.

أو ثريّ ينفق المبالغ الضخمة لأموار تافهة لمجرد الجري على الاتيكيكيت
الرائج بين اقرانه أو للرياء والمباهاة واذا طلبت منه اخراج حق الله سبحانه
المتعلق بماله أو مساعدة شاب فقير يريد ان يحصن نفسه بالزواج أو ارامل
وايتام لا معيل لهم اعرض وناء بجانبه وربما نهر السائل واهانه.

وقد تجد عشيرتين تتقاتلان من اجل امور تافهة فتذهب الضحايا وتلف
الأموال.

أو دولتين مسلمتين تتصارعان فترهق الأرواح و يهلك الحرث والنسل من اجل ما يسمونه بالمصالح أو غيرها من الدعاوي الوهمية وهم يعلمون ان الارض لم تنفد خيراتها بل هي تكفى لهم ولأضعافهم وانهم ليحرقون الحبوب واللحوم من اجل الحفاظ على سعر السوق.

أو تجمعات قد اغواها الشيطان فجمعها على الحرام في مسرح أو ملهى أو غيرها من مراتع الشيطان.

أو الآفاً وملايين من الناس قد اضاعوا أموالها وأوقاتها وقد حبست انفاسها و فقدت وعيها من اجل كرة جلديه تافهة تدخل في هذا المرمى أو ذاك وتقوم الدنيا ولا تقعد اذا تغلب احدهما على الآخر ولا اعرف ماذا قدموا بذلك من خير للبشرية .

المعاصي القلبية:-

هذا على المستوى الظاهري واما على المستوى (المعنوي) فان المعاصي أيضاً لها مصاديق واسعة لان من كانت طاعته ظاهرية اي كان مستواه ظاهرياً ورضى ان يحاسب حساباً ظاهرياً فمعاصيه كذلك اي يؤاخذ على المعاصي بالمعنى الشرعي فقط روى الشيخ الكليني في الكافي عن زرارة عن الإمامين الباقر أو الصادق (عليهما السلام) قال: (إن الله تبارك وتعالى جعل لآدم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتبت له بها عشرة

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٤٣)

ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه (سيئة) ومن هم بها وعملها كتبت عليه سيئة^(١).

ومن كانت طاعاته قلبية باعتباره ممن التفت إلى تطهير القلب وتصفية الباطن فمعاصيه قلبية فيحاسب على الخواطر والنوازل القلبية ويستغفر لذنوب لا يحاسب عليها أهل الظاهر، مثلاً ورد في الحديث النبوي الشريف: (ثلاث لم يسلم منها أحد: الطيرة والحسد والظن، قيل وما نضع، قال: اذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ، واذا ظننت فلا تحقق)^(٢).

فاذا مرّت هذه الخواطر على القلب والتزم بما ذكره (ﷺ) فلا شيء عليه على المستوى الظاهري لكن المشتغل بتنقية القلب يعتبر نفسه في معصية قلبية لمجرد وجود هذه الخواطر في قلبه اذ يفهم ان قلبه لم يطهر تماماً أو قل انه ليس من أصحاب (القلب السليم) بدليل عدم خلّوه من هذه الخواطر، هذا القلب الذي لا ينجو غداً الا أهله قال تعالى (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (الشعراء: ٨٨-٨٩) ويمدح خليله ابراهيم (عليه السلام) بانه من اهل هذا القلب، قال تعالى (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (الصافات: ٨٣-٨٤).

(١) الكافي: ج ٢/ص ٤٢٨

(٢) تحف العقول: ٥٠، الطبعة الثانية ١٤٠٤ تعليق علي أكبر الغفاري وفي المتن ذكر الجزء الثاني من الحديث فقط ، وفي كنز العمال: (ثلاثة لازمات لأمتي: سوء الظن والحسد والطيرة، فاذا ظننت فلا تحقق، واذا حسدت فاستغفر الله، واذا تطيرت فامض) (ج ١٦ ص ٢٠ رقم الحديث ٤٣٧٨٨)

وتصفية القلب من هذه الاغلال قد لا يكون الا في يوم القيامة ويكون من نعم الله سبحانه على عباده الفائزين (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ) (الأعراف: ٤٣) (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) (الحجر: ٤٥-٤٨) ومن هذه الاغلال ان يمتعض قلبك عند مدح أحد تحسده أو تفرح عندما ينتقص رغم عدم مشاركتك في الكلام.

وانما أصبح زواله اي الغل نعمة لأنه ينكد الحياة ويمنع من افراغ القلب لله سبحانه (لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن)^(١) والسعادة الحقيقية لا تتحقق الا في هذه المرتبة .

عندما أرى أو أسمع أو أقع - الا ان تتداركني رحمة ربي - في هذه المظاهر وغيرها من اشكال السلوك المنحرف في هذه البشرية التائهة الضالّة تأمل طويلاً ويملاً التفكير أعماقي وأتساءل: الا يعلم هؤلاء ان هذه افعال محرمة لا يرضاها الله سبحانه؟ أو انها مبعدة عنه تبارك وتعالى وموجبة لتقليل الدرجات يوم القيامة؟ فان علموا ذلك فما الذي يجرتهم على معصية الله سبحانه؟ الا يعلم هؤلاء أن امامنا عقبة كؤودا هي الموت وما بعد الموت أعظم وأدهى! وعلى تعبير الامام الكاظم (عليه السلام) عندما وقف على جنازة تلحد في قبرها قال (عليه السلام) بزفره وكله تحقير لهذه الدنيا ((ان شيئاً هذا آخره - وهي

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٤٥)

الدنيا - لتحقيق ان يزهّد في أوله، وان شيئاً هذا أوله - وهي الآخرة - لتحقيق ان يخاف من آخره^(١).

وأساءل اليس هؤلاء مسلمين ويؤمنون بالله - ولو نظرياً - ويؤمنون بالآخرة والمعاد والحساب؟ فلماذا لا ينعكس هذا الايمان على تصرفاتهم؟ فأين الخلل؟ ان كل هذا يكشف عن ان المشكلة ليست على مستوى النظرية اي اقامة الدليل على كل ذلك فان الكتب حافله بما يقنع من له ادنى مسكة عقل، ولم يقصّر علماءنا ومفكروننا في حشد كل ما يمكن ان يقرب الايمان و يقنع به وانما المشكلة على مستوى التطبيق.

وعلمت عندئذٍ اننا لم نعد - كما كنّا في الخمسينات والستينات والسبعينات من القرن الماضي - بحاجة الى اثبات وجود الله سبحانه فهذه حقيقة لم يبق من يشكك فيها أو قل ان أولياء الشيطان لم يعودوا يفتنون المؤمنين من هذه الجهة^(٢) وما عادت مهمتنا اثبات هذه الحقيقة بل ان اعداء الله جاءوا بخطه جديدة تقتضي المحافظة على الشكل الظاهري والقالب الخارجي للدين و نخره من الداخل وتمييع العقيدة في النفوس وافراغها من محتواها وإماتة الوازع الديني بحيث لا يبقى له ادنى تأثير في سلوك المسلم؟؟

(١) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١١٧١

(٢) لاحظ ان تاريخ البحث قبل سقوط صدام المقبور عام ٢٠٠٣ حيث لم تكن دعوات علنية للإلحاد وإنما حصلت بعد السقوط عندما دخلت المنظمات والمؤسسات الدولية المختلفة، وتيسّرت للناس وسائل التواصل الاجتماعي.

فنحن بحاجة إذن إلى زرع وإيقاظ الاحساس بوجوده تبارك وتعالى والتعامل معه على انه موجود فعلاً وليس ايماناً نظرياً فقط وتذكرت الحديث عن الامام الصادق (عليه السلام): (ما خلق الله عز وجل يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت)^(١) فانه يقين مئة بالمئة على مستوى النظرية لكنك لا تجد من يؤمن به عملياً بمعنى انه يستعد له الاستعداد الكامل وكأنه كتب على غيره. فترى الانسان اذا عزم على سفر قد لا يطول شهراً يُعدُّ كل ما يحتاجه أو يحتمل انه يحتاج اليه ويهيئ جميع أموره حتى الحقيق منها فلماذا لا يستعد بنفس الاستعداد لسفر الآخرة ويحضر زاد هذا السفر الذي بينه القرآن الكريم (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) (البقرة: ١٩٧) وقال الامام الحسن (عليه السلام) (وحصل زادك قبل حلول أجلك) خصوصاً وإنا نعلم ان الحكم - وهو الله تبارك وتعالى - بصير لا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض وهو أقرب إلينا من جبل الوريد وشهوده كثر ومنهم هذه اعضائنا التي نعصيه بها (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (يس: ٦٥).

أعود الى التساؤل اذن كيف نحمل الناس على الالتزام بالشرعية الإلهية وكيف ندفعهم الى التطبيق؟ ولا يفهم من كلمه (نحمل) و(ندفع) القصر والإجبار والإكراه فهذا اسلوب مرفوض ولا ثمرة فيه وقد قال تعالى (لا إكراه في الدين) (البقرة: ٢٥٦) فهذا من خيانة التعبير فأنا نريد ان نتعرف على

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٤٧)

الاسلوب الذي يحبب الايمان والاسلام الى الانسان ويزينه له بحيث ينجذب اليه، تلقائياً ويجده الطريق الوحيد الذي يكفل له سعادته في الدنيا والآخرة ويكره اليه الفسوق والعصيان بالضبط عكس ما يفعله الشيطان اللعين (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضَلَا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (الحجرات: ٧-٨).

فوجدت ان ذلك يمكن تحقيقه على ثلاثة مستويات تمثل عوالم الانسان الثلاثة:

المستوى الاول: النفس

فقد يجد الانسان في الإسلام والإيمان تحقيق نزعاته النفسية وارضاء للقوى والشهوات الغريزية الكامنة فيه فيؤمن لأن الايمان يحقق له المال أو الجاه أو اي شيء آخر ولا يفهم من هذا أنه يشمل التوسل بالأمور المحرمة كما لو اردنا رده عن الزنا فنجوز له اللمس او النظرة للأجنبية فان الغاية لا تبرر الوسيلة في نظر الإسلام مهما كانت الغاية سامية لكن مثلاً نريد أن نحث رئيس عشيرة على تطبيق شريعة الإسلام في السنية العشائرية فلا حاجة إلى الغاء رئاسته ونظام عشيرته بل نبقه في موقعه ونعطيه الصلاحيات التأديبية التي يحتاجها باعتبار ان الإسلام قد وضع تعزيرات على التصرفات المحرمة وترك تحديدها بيد الحاكم الشرعي أو من ينوبه فيحصل رئيس العشيرة على السند الشرعي بتحويل الفقيه الجامع للشرائط.

أو نريد ترغيب شاب في الحضور في المساجد واداء الصلاة جماعة في أوقاتها فنقول له : ان هذا يعطيك فرصة للتعرف على وجوه المجتمع فاذا عرفوك وثقوا بك فيمكن ان يوجدوا لك عملاً تجارياً معهم أو يتكفلون زواجك إن كان لا يستطيع ذلك .

وهذا الاتجاه وان كان بعيداً عن ذوق الإسلام في التكامل الا انه امضاه وارتضاه لأنه يعلم ان الخطوة الأولى وان لم تكن لله تبارك وتعالى لكن المهم ان يلتفت إلى الإسلام ويعيش في احضانه ويستنشق عبيره وشذاه فان ذلك كافٍ لان يتخلى عن اهدافه الدنيوية تلك ويصلحها إلى اهداف ربانية مخلصه وهكذا كانت هداية رجال اصبحوا من عظماء الإسلام فقد روي ان حمزه بن عبد المطلب سيد الشهداء أسلم حينما أدركته العصبية لعشيرته وهو يرى قريش تؤذي ابن أخيه وتصبّ جام غضبها عليه وليس له ناصر الا الله سبحانه فادركه العرق الهاشمي وانتصر لابن أخيه وأعلن إسلامه ارغاماً لقريش فكانت تلك فاتحه الخير له وللإسلام^(١) .

ويندرج في هذا المستوى تخصيص جزء من الزكاة للمؤلفة وهم الذين لم يستقر الايمان في قلوبهم فيأترفهم بالمال ليحسن اسلامهم وهكذا فعل رسول الله (ﷺ) حينما وزع غنائم حنين على مشركي قريش بالأمس وطلقائه اليوم

(١) روي عن الامام زين العابدين (عليه السلام) أنه قال (لم يدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبدالمطلب وذلك حين أسلم غضباً للنبي (ﷺ) في حديث السبلا الذي ألقى على النبي (ﷺ)) (بحار الأنوار: ٢١١/١٨، ٢٨٥/٧٣). والسلا هو ما يرافق جنين الحيوان حين ولادته كالجلد الرقيق الذي يحيط به وان ابا جهل وضع سلا جزور على رسول الله (ﷺ) وهو يصلي.

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٤٩)

بعد فتح مكة ولم يعطِ الأنصار شيئاً فظنوا ان ذلك لموجدة في قلبه عليهم فجمعهم (ﷺ) وقال: ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار. وأبناء أبناء الأنصار. قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً. ثم انصرف رسول الله (ﷺ) وتفرقوا^(١) .

وورد هذا الاتجاه في طلب العلم فقد روى عنهم (عليهم السلام) أنهم قالوا (تعلموا العلم ولو لغير الله فإنه سيصير الله)^(٢) اذ بعد ان يمس العلم شغاف القلب و يتنور بالمعرفة فانه سيعود الى الله تبارك وتعالى والمهم هي البداية.

بل ان هذا الاتجاه مقبول ومشروع على مستوى الآخرة فترى القرآن الكريم يطعم المؤمنين بحور عين وولدان مخلصين ولحم طير مما يشتهون وانهار من عسل مصفى وخمر لذة للشاربين في جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها وفوق ذلك ما تشتهيهِ الأنفس وتلذذ العيون بل ما لا عين رأت ولا اذن سمعت وهي عبادة التجار على تقسيم أمير المؤمنين (عليه السلام) وهي دون عبادة الأحرار.

(١) صحيح البخاري: ج ٣ / ص ٧١، ٧٠، ٦٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ - ابن أبي الحديد، ص ٢٦٧ / ح ٩٨

وقد نقل لي بعض المتقدمين^(١) في درجات السلوك الصالح انه سأل استاذة اننا كيف نجاهد أنفسنا ونمنعها من لذاتها من اجل أنفسنا ولذاتها في الآخرة طبعاً فقال: هكذا أدبنا المعصومون (عليه السلام).

وتوجد أجوبه أخرى (منها) ان هذه زائله وتلك باقية - وفيه - انه لا يغير من الاشكال شيء (ومنها) ان جنة هؤلاء ليست من قبيل هذه النعم وانما لذات معنوية.

ومما ينبغي ملاحظته هنا انه لا ضير من ان يكون لحم الطير وهور العين حتى لأصحاب اللذات المعنوية والمقامات العالية كما انهم في هذه الدنيا في جنتهم الحقيقية ومع ذلك فهم يأكلون ويشربون وينكحون غاية الأمر ان أفعالهم هذه ليست مطلوبة في نفسها ولا للتلذذ بها وإنما لقضاء حاجة الجسم فتكون الاستفادة منها موظفة لخدمة الهدف وتكون جزءاً من التكامل لا عائناً عنه وإنما الذي نجّلهم عنه ان يكون هدفهم هذه الجنة وسد الحاجات ودفع ألم الحاجة كما يقولون جزء من السعادة وأحد مقوماتها.

المستوى الثاني: العقل

بأن نقيم الأدلة والبراهين والحجج المقنعة على صحة المعتقدات و طريقة الشرع ووجوب الالتزام بالشرعية الإلهية فاذا كان الإنسان منصفاً فلا يجد محيصاً عن الإيمان بنتائج تلك البراهين، اما المجادل والمكابر ومن اتبع هواه

(١) هو السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) في بعض رسائله الاخلاقية الى سماحة الشيخ ولم يذكر الاسم مراعاة للظروف آنذاك وقد نشرت الرسائل لاحقاً في كتاب قناديل العارفين.

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٥١)

فلا ينفع معه دليل ولا برهان (وَلَيْنِ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ) (البقرة: ١٤٥) اي هدفك وغايتك (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) (الحجر: ١٤-١٥) ولقد ألفت كتب كثيرة بهذا الاتجاه بحيث لم تترك عذراً (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) (الانعام: ١٤٩) وفتح علم خاص لهذا المجال وهو علم الكلام أو العقائد.

وقد وردت أحاديث^(١) كثيرة في فضل العلماء الذين يتصدون لنفي الشبهات عن العقائد الحق وحماية الناس من الضلال والانحراف وان أفضل المجاهدين والمرابطين في سبيل الله هم العلماء المرابطون على ثغور ابليس يردون عن عباد الله اباطيله وضلالاته وان أشد من يتيم الأبوين يتيم انقطع عن أبيه المعنوي وهو إمامه الذي يتكفل برعايته وتربيته في حياته المعنوية فهو أولى بالرعاية والعطف والحنان وأعظم اجراً عند الله تبارك وتعالى.

وان من مسؤوليات العالم المخلص ان يظهر علمه عند الفتن وانتشار الشبهات حتى يظهر الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً ليوهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

المستوى الثالث: القلب

واعني به تلك اللوحة الربانية البيضاء الناصعة التي ان صفت ونقت مما يكدرها وتعب صاحبها علي جلائها كانت مرآة صافية تعكس الحقائق عن

(١) راجعها في بحار الأنوار: ١٥-١/٢

اللوح المحفوظ من دون كسب وتحصيل فيجد صاحبها كله حاضراً عنده ومنقوشاً في باطنه، والقلب هو ساحة الصراع بين جند الشيطان وقوى النفس الامارة بالسوء وشهواتها واهوائها ودواعي السوء فيها وبين جند العقل وأدله وبراهينه ومعارفه (وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) (يوسف: ٢٤) فان تغلب العقل كان منيراً بنور معرفة الله سبحانه وتعالى وبألطافه طافية وفي فيوضاته، ففي الحديث القدسي (لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن)^(١).

وتجلت فيه صفات الكمال وغلت النفس الامارة بالسوء وكانت ميولها وشهواتها مهذبة ومؤدبة بأدب الله تبارك وتعالى لا تحيد عنه وزامها بيد الشرع الحنيف.

وإن غلب جند الشيطان - والعياذ بالله - كان مظلماً وماوى للشياطين ويغلُّ العقل ويُسخر لخدمة الشهوات كما تراه في أولياء الشيطان واتباعه الذين ما فتئت عقولهم تتفتق عن المزيد من الحيل الشيطانية لتحقيق شهواتهم ومطامعهم.

وعندما تأملت في تجارب المصلحين وسبرت اغوار التاريخ لأجد اي هذه المسؤوليات أعمق تأثيراً وأعظم انتاجاً، ودققت النظر أكثر في أعظم نقلة عاشتها البشرية وهي التي حصلت في صدر الإسلام على يد رسول الله (ﷺ)

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٥٣)

حيث سمت البشرية من حضيض الجاهلية إلى قمة الإسلام الرفيعة وفي فترة قياسية هي قصيرة جداً في عمر الزمان.

ولمعرفة عظمه هذه النقلة تستطيع ان تقارن بين حال الأمة قبل الإسلام وحالها بعده فكانوا قبل الإسلام يرتكبون جريمة وأد البنات - اي يدفونهن في التراب وهن احياء خوف العار - ويغير بعضهم على بعض فيقتل ويسلب وينتهك الأعراض، والقوي يأكل الضعيف قد تفتشت فيهم الفواحش من الزنا وشرب الخمر وهم عاكفون على عبادة حجارة لا تضر ولا تنفع، فكيف أصبحوا بفضل الله ورحمته؟ أصبحوا متأخين متحابين يؤثرون غيرهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة حتى لو كان لأحدهم رغيف من الخبز أعطى نصفه لأخيه واكتفى بالنصف الآخر، واذكر مثلاً واحداً كشاهد على عظمة تلك النقلة فقد روى العدوي انه سمع جريحاً في معركة القادسية يطلب الماء فجاءه ليسقيه فسمع آخر يطلب الماء فقال الجريح اسق أخي أولاً فلما اتاه سمع ثالثاً يطلب الماء فقال اسق أخي فلما أتاه وجده قد مات فرجع إلى الثاني فوجده قد مات وكذا الأول، مثل هذا المستوى الرفيع خلقه الإسلام في تلك الأمة، ولا أريد ان أدخل في تفاصيل هذه التجربة العظيمة فأنها تستحق أفراد كتاب^(١) مستقل لها لبيان الدروس المستفادة من رسول الله (ﷺ) في هذا المجال تطبيقاً للآية الشريفة (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: ٢١) عسى الله ان يوفقنا

(١) أنجز هذا الكتاب لاحقاً وطبع بعنوان (الأسوة الحسنة).

لإنجازه، والذي اريد ان أقوله هنا ان حديثاً آخر يقول (ان اواخر هذه الأمة لا تصلح الا بما صلح به اوائلها) وقد صلحت اوائل هذه الأمة بهذا العلاج الشافي: القرآن الكريم^(١) كما وصف نفسه انه هدى ورحمة وشفاء لما في الصدور وبيركة المعالج وهو رسول الله (ﷺ) وجهوده الجبارة وصبره المضني ومهمتنا في إصلاح المجتمع اسهل بالتأكيد لأننا نتعامل مع ناس مسلمين أولاً مهما كان درجه ابتعادهم عن الله سبحانه ومتحضرين ومثقفين ثانياً ونأتي على خلفيه تربية طويلة قام بها الأئمة (عليهم السلام) من بعد رسول الله (ﷺ) ومن بعدهم العلماء الأبرار المخلصون عبر هذه القرون الطويلة وعندما نريد ان نستفيد من تجربة القرآن نجد أنه قد كرّس نفسه طيلة مدة النبوة في مكة (وهي ثلاث عشرة سنة أي الجزء الأكبر من زمان النبوة) لإحياء القلوب والعقول وتطهير النفوس ولم يبلغ الاحكام الشرعية الا بعد ان وصلت الأمة إلى درجة من السمو الروحي والنضج العقلي والايان الراسخ وحينئذ حملهم الاحكام فاستجابوا لها وامتثلوها بلا أدنى تردد فكان ذلك المجتمع المثالي الذي لم تشهد له البشرية مثيلاً فلا انحراف ولا جناية ولا مشكلة الا ما ندر جداً مما لا يكاد يذكر فنحن - كحوزة شريفة - محتاجون إلى هذا الاحياء اكثر من حاجتنا الى تبليغ الأحكام، وان إيصال الأحكام الفقهية - مهما كان مهماً - الا أنه وحده لا يكفي بل لابد معه من احياء القلب والضمير والعقل والا فان الأحكام الفقهية

(١) تناول سماحته هذه النقطة العظيمة في حياة الأمة في كتابه (شكوى القرآن) وفي (الأسوة الحسنة).

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٥٥)

المثبتة في الرسائل العملية لا تكون فاعلة ومؤثرة ومحركة الا اذا امتزجت بما يحيي القلب ويوقظ العقل ويحرك الضمير.

وأنت اذا سبرت آيات القرآن الكريم فستجد انه حرك المسارات الثلاثة المتقدمة واستفاد منها ووظفها في عملية الهداية والإصلاح.

فعلى الصعيد الأول وهو المستوى النفسي تجده يربط بين الايمان وتوافر النعم (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (الأعراف:٩٦) (وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا) (الجن:١٦) (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) (نوح:١٠-١٢) ويربط بالمقابل بين العصيان ونزول النقم (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (الشورى:٣٠) (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَدَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ) (يونس:٩٨) (وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الأعراف:٩٦) هذا في الدنيا واما في الآخرة فمن الواضح الذي لا يحتاج إلى بيان لكثرته وتواتره ما أعد الله تعالى للمطيعين من النعم مما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر) وما اعد للكافرين من الوان العذاب ومن يتصفح القرآن خصوصاً في قسمه المكي يطّلع على الصور المشرقة السعيدة لحياة المؤمنين والحياة النكدية المعذبة الشقية للكافرين.

وعلى المستوى الثاني فقد ضمّ القرآن استدلالات وبراهين واحتجاجات كثيرة على مختلف العقائد والمعارف الإلهية كقوله تعالى في اثبات التوحيد (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) (الانبياء: ٢٢) وقوله (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) (لقمان: ١١) وأكد على ضرورة الحوار (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) (آل عمران: ٦٤) وإقامة البرهان و عدم جواز التقليد من غير دليل (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة: ١١١) ، (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي) (هود: ٨٨) ، (قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) (يونس: ٥٩) .

واما على المستوى الثالث وهو الأهم والأعمق تأثيراً والأشد رسوخاً لأن الإيمان اذا كان عن دليل عقلي محض فيمكن ان تزيله مغالطة عقلية لا يفهم الشخص وجه الشبهة فيها اما اذا كان عن طريق القلب واستقر فيه فلا يزيله شيء، من هنا قال ابراهيم (عليه السلام) (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) (البقرة: ٢٦٠)، من هنا كان أفضل مدخل لصنع شخص مليء بالإيمان من رأسه إلى أخمص قدميه هو قلبه فترى القرآن تارة يثير في القلب مشاعر الحب لله سبحانه بما يبين من أوصاف الكمال فهو الرحيم بعباده أكثر من الأم الحنون بولدها وهو الساتر عليهم والحليم عنهم والرازق لهم وهو الهادي والمنعم والكريم والعليم والقوي والقادر وغيرها من الاسماء الحسنی و اذا احبّ الانسان شيئاً اندفع إلى طاعته و تلبية رغباته من دون ان ينتظر مكافئة او أجر فالأب يسعى بكل ما عنده لإدخال السرور على

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٥٧)

أولاده واسعادهم وكذا الأم وقد يضحيان بحياتهما من اجلهم لا لمطمع عندهم ولا للخوف منهم سوى الحب لهم.
وتارة أخرى يثير مشاعر الرهبة والخوف بما يصف من مشاهد يوم القيامة ويحكي من أحوال ما بعد الموت.

محفظات للتشجيع على التوبة:-

فكيف نستفيد من هذه التجربة القرآنية، و كيف نستثمر هذه الاتجاهات الثلاثة لهداية الناس وجذبهم الى طاعه الله سبحانه وكيف ننزع من عقول الناس وقلوبهم بان الالتزام بالشريعة تقييد للحريات وانها تكليف وعبئ ثقيل نبدله الى سعادة وسرور بهذا التشریف الإلهي العظيم، نحاول هنا - بإذن الله تعالى - اثاره عدة محفظات تندرج ضمن هذه الاتجاهات الثلاثة وهو ما اتبعه الأئمة (عليهم السلام) فإنما كانوا يعظون الناس ويهدونهم بطرق شتى فواحد من جهة النفس كذلك الناصبي الذي اغدق عليه الامام (عليه السلام) العطاء فتحوّل الى موالي وهو يقول (الله اعلم حيث يجعل رسالته) وآخر من جهة الدليل والبرهان ككثير من اليهود والزنادقة وآخر من جهة القلب بإثارة العلاقة الوجدانية مع الله تعالى والتذكير بالموت وحساب الآخرة كأسلوب الامام الكاظم (عليه السلام) مع بشر الحافي في القصة المعروفة .

ومن ذلك ما روي ان رجلاً قال للامام الصادق (عليه السلام): (يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو فقد كثر عليّ المجادلون وحيروني، فقال له : يا عبد الله هل ركبت سفينة قط، قال: نعم، قال فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا

سباحة تغنيك؟ قال: نعم، قال: فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: نعم، قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حيث لا منجى، وعلى الإغاثة حيث لا معيثة^(١).

وهو ما يسمى بالوجدان وهذا ناشئ من اختلاف المؤثرات على الناس فمن الضروري ان تتعدد الأساليب والمصلح الذكي المسدد هو الذي يعرف أفضل باب يدخل منها وعندئذ سيجدون أكثر من مبرر للحرص على طاعة الله سبحانه والتعلق بها والتضحية من اجلها والشعور بالسرور والسعادة لدى الالتزام بالشرعية.

الاول:

ان التكاليف الشرعية ليست طوقاً في عنق الإنسان ثقيلاً يريد ان يتحرر منه بل هو تشریف له، واضرب لك مثلاً معاشاً فلو ان الملك أراد أمراً معيناً كافتتاح مشروع فأناب إنساناً بدلاً عنه كم سيكون هذا الإنسان محظوظاً ان ينال شرف النيابة عن الملك ويتحدث باسمه فكذلك الانسان اختاره الله سبحانه ليكون خليفته في هذه الأرض (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة: ٣٠) والله ملك الملوك وربهم وخالقهم فكم تكون عظمه النعمة ان يستخلف أحداً ويسخر له كل ما في الارض (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) (البقرة: ٢٩) وينقل عن شخص عارف انه احتفل يوم بلوغه سن التكليف الشرعي لأنه يوم تشريفه بأعظم النعم.

الثاني:

ان الشريعة الالهية إنما وضعها الله سبحانه لتنظيم حياه البشر وهدايتهم إلى ما فيه صلاحهم لأنه خالقهم وهو العارف بما يصلحه فان اي جهاز يعطل نرجع الى الشركة المصنعة للجهاز تعرف عيبه و طريقة إصلاحه والله هو خالق الإنسان وصانعه فهو العارف بمناشئ انحرافه وطرق علاجها ومن القبيح والمستهجن ان نرجع إلى نفس الإنسان التائه الضال ليرسم لنا طريق الصلاح و قد جرّبت البشرية كل النظم الوضعية فزادتها سوءاً على سوء وظلماً على ظلم ومازالت تتجرع ويلات تلك النظم البشرية، والنتيجة ان الالتزام بالتعاليم الالهية هو الطريق الوحيد الذي يضمن للبشرية سعادتها واستقرارها وطمأنينتها وان ترى بعينك وتحس سعادة المؤمن واستقرارها الروحي حتى وان مرّت به الوان المصائب وانواع المصاعب في مقابل الكافر الفاسق وصراعه النفسي وانحرافاته نتيجة الخواء الروحي الذي يعيشه فتجد حياته نكدة معذبة وهو في ذروه الرخاء المادي وربما آل به الأمر إلى الإنتحار مما لا تجده في المجتمعات المؤمنة (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) (طه:١٢٤). وهؤلاء الذين يريدون اسقاط الدين والغائه من الحياة باسم الحرية الذي هو مصطلح شفاف وتهفو له النفوس، اسألهم ماذا تعنون بالحرية هل الانفلات والانظام وعدم الخضوع لأية ضوابط وكل واحد يفعل ما يشاء ويحلوه؟ سيقولون لا طبعاً لان هذا معناه الهمجية والفوضى ولا يقوم اي تجمع بشري الا على نظام وقانون ينظم حياه البشر ويقنن العلاقات بينهم ويحدد الحقوق والواجبات و يرصد

المخالفات و يجعل لها العقوبات وبدونه لا تستقيم حياة البشر قلنا: عندئذٍ فأبي قانون أفضل يضعه الله سبحانه خالق البشر والعارف بما يصلحهم والمطلع على سرائرهم ذوالقدرات اللامتناهية والكمالات غير المحدودة من العلم والقدرة والرحمة والحكمة والعدل والغنى وغيرها ام يضع القانون بشر قاصر يقول اليوم شيئاً ويتراجع عنه غداً ويلغي اليوم ما قرره بالأمس وهو بين هذا وذاك لا يعرف نفسه فضلاً عن ان يعرف غيره.

الثالث:

ان من شأن كل عاقل ان يرد الجميل بالجميل ويجازي الاحسان بمثله (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (الرحمن:٦٦) (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) (القصص:٧٧)، ونعم الله تعالى علينا كثيرة سواء على صعيد ابداننا التي هي عبارة عن معامل ومصانع كثيرة تعمل بدقة واتقان وابطسط مراجعة لكتاب (الطب محراب الإيمان) تنبئك عن هذا مما يوقف شعر رأسك أو على صعيد الحياة حولنا من كون متناسق وأرض طيبة معطاء ونعم لا تعد ولا تحصى (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) (النحل:١٨) وجزاء هذا الإحسان إحسان مثله ولما كان الله غنياً عن عباده ولا يمكن ان يصل إليه نفع من أحد فردُّ الإحسان بالنسبة إليه طاعته ومن اشكال شكر النعم ان تطيع المنعم بها اما عصيانه مع نعمه الوفيرة فهذا مما لا يرتضيه عاقل.

الرابع:

ان كل واحدٍ منا يحب ان تزيد النعم عليه وهي بيد الله سبحانه المنعم الحقيقي وقد وعدنا سبحانه (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) (إبراهيم:٧) وفي الحديث (بالشكر تدوم النعم) فعلى من يرجو إفاضة النعم وزيادتها وكل إنسان مجبول على حب الاستزادة من المال والبنين والجاه والصحة وغيرها من نعم الله سبحانه فعليه أن يطيع الله سبحانه ويشكره ليزيده الله سبحانه من النعم (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (الأعراف:٩٦).

الخامس:

أنه اذا أخبرنا إنسان ثقة بأن حيواناً مفترساً في هذه الجهة فأنا سنهرب بالاتجاه المعاكس ونحذر منه ونتخذ الاجراءات الواقية من الوقوع في الخطر ، فاذا أكد هذا الخبر ثقة آخر ازدادت استعداداتنا لذلك وكنا أكثر حزمًا ، وقد أخبرنا مئة وعشرون الف نبي انه سيكون يوم القيامة ويثاب فيه المطيع على طاعته ويعاقب العاصي على معصيته بنارٍ وقودها الناس والحجارة افلا يوجب هذا الحذر والابتعاد عن كل ما يورطنا في هذه النار المتأججة وقد وضعها القرآن الكريم بمشاهد مرعبة وأخبرنا أن معصية الله سبحانه توقعنا فيها وان طاعته تورثنا جنة عرضها السماوات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب شر (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم) (السجدة:١٧).

السادس:

علينا ان نتذكر ان وراءنا عقبة كؤوداً وشدائد وأهوال أولها وأيسرها الموت الذي وُصف بأن نشرأً بالمناشير وقرضاً بالمقاريض أهون من سكرة من سكرات الموت هذه الأهوال التي يستغيث منها رسول الله (ﷺ) أكمل الخلق فيقول في نزعه الأخير ((حبيبي جبرئيل عند الشدائد لا تخذلني))^(١) ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) نفس رسول الله (ﷺ) في تلك الحال ((وعليكم السلام يا رسل ربي) ، وقال: (لِمَثَلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) (سورة الصافات: ٦١)))^(٢) ويبكي الامام الحسن (عليه السلام) في لحظاته الأخيرة فيسأل عن سبب بكائه فيقول: ((أبكي لفراق الأحبة وهول المطلع))^(٣) هكذا يعرف الموت من كشف له الواقع اما نحن ففي غفلة عنه حتى نراه (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) (ق:١٩) ولكن ليس من شأن المؤمن الواعي ان لا يلتفت إلى الشر والخطر حتى يقع فيه وقد نبهنا إليه الراسخون في العلم: محمد وآل محمد (ﷺ) ووصفوه بأبلغ وصف (خصوصاً في نهج البلاغة) لا يقدر عليه حتى من عاشه ورآه ودخل فيه، هذا ما ينتظرنا فماذا أعددنا له؟! معصية الخالق تبارك وتعالى والاعراض عنه والتمرد على شريعته التي هو غني عنها وانما هي لخيرنا وسعادتنا.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ / ص ٥١٠

(٢) وفاة الإمام أمير المؤمنين

(٣) أمالي الصدوق ص ١٣٣ ، العيون ص ١٦٨

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٦٣)

وعلى الانسان البعيد عن الله سبحانه ان يعي حقيقة ان الموت لا يعرف
صغيراً ولا كبيراً

فكم من صحيح عاش من غير علة وكم من عليل عاش حيناً من الدهر
وكم من فتى يمسي ويصبح غافلاً وقد تُسجت اكفانه وهو لا يدري

إن حالنا في هذه الدنيا يمكن تصويره بشخص مدلى في حبل داخل بئر
عميق وفي قعر البئر تنين عظيم فاتح فاه ينتظر سقوط هذا الشخص ليلتهمه
وتوجد فأرتان تقرضان بالحبل من أعلاه ولا يدري هذا الشخص متى يتم
قرض الحبل فيقع فريسة لهذا التنين وهو في هذا الجو المرعب بدلاً من ان يعدّ
العدة لتدارك هذا الخطر والاستعداد لمواجهة (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)
(البقرة: ١٩٧) أقبل على غسل مخلوط بالتراب على جدران البئر يلحق به ويزاحم
الحشرات والديدان المتهاككة عليه ، هذا هو حالنا فالتنين هو الموت والحبل هو
العمر والفأرتان هما الليل والنهار اللذان يُليان كل جديد والغسل هذه الملدات
الدينية المليئة بالمنغصات وهي لذة ساعة لكنها تورث حسرة دائمة.

السابع:

اننا خلقنا لهدف واحد وهو إعمار الحياة بما يرضي الله سبحانه
والتكامل في طريق الوصول وقد اعطينا رأس المال الذي نتجر به ونكسب
ونجني منه ثمار هذا الطريق ونحن في معاملاتنا الدنيوية عندما نتجر برأس مال
فأننا نستقصي التجارة التي تدر أكثر ارباحاً ولا نفرط في شيء من رأس مالنا
وتأخذنا الحسرة والندامة لو فرطنا في فرصة كان يمكننا ان نحصل على ربح

أكثر وهذه الصورة نفسها نعيشها نحن بوجودنا في الحياة الدنيا فرأس مالنا هو العمر والهدف من التجارة نيل رضا الله سبحانه وقد منَّ الله سبحانه علينا بنعم كثيرة فكلما استثمرناها في تحقيق الهدف كانت تجارتنا أكثر ربحاً وكلما قصرنا فسنعرضُ على أصابع الندم (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ - والظالم كل من فعل معصية - عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) (الفرقان: ٢٧-٢٩) نندم على كل لحظة مرت علينا لم نوظفها فيما يرضي الله سبحانه فضلاً عن هدرها في معصيته - والعياذ بالله - ومن اسماء يوم القيامة أنه يوم التغابن راجع سورة التغابن وفيها قوله تعالى (ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) (التغابن: ٩) وقد ورد ان الجميع يشعرون بالغبن حتى المؤمنون لأنهم ينظرون إلى المراتب الأعلى منهم وكانوا يستطيعون الحصول عليها لو استغلّوا وقتهم بالشكل الصحيح فيتأسفون على إضاعة الفرصة ومن هنا جاء في وصية رسول الله (ﷺ) لأبي ذر (ره) (يا أبا ذر اغتنم خمساً قبل خمس..) وفي الأخبار ان عمر الانسان بكل لحظاته يعرض عليه على شكل خزائن تفتح له الواحدة تلو الأخرى فما كان منها مستثمراً في طاعة الله سبحانه وجد في تلك الخزينة روحاً وريحان وان كانت معصية والعياذ بها هبَّت عليه منها نار محرقة وان لم تكن لا من هذه ولا هذه بأن قضاها في المباحات الخالية من نية القربة كالنوم والطعام والنكاح فسيراها فارغة فيندم على ما أضع من عمره ويجب ان نلتفت إلى ان هذه المباحات أيضاً يمكن أن تكون طاعات يتقرب بها إلى الله سبحانه فيما لو

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٦٥).

صَبَّتْ فِي الْهَدَفِ فَيَنَامُ لِيُرِيحَ بَدَنَهُ وَيَجِدُّ نَشَاطَهُ لِعَمَلِ جَدِيدٍ وَيَأْكُلُ لِيَتَقَوَّى عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَيُنْكِحُ النِّسَاءَ لِيُحْصِنَ نَفْسَهُ وَزَوْجَتَهُ مِنَ الْحَرَامِ وَلِيُزِيدَ عِدَدَ النِّسَمَاتِ الَّتِي تُوَحَّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ وَيَفْرَغَ هَمَّهُ لَطَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَهَكَذَا إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ النِّيَّاتِ الصَّالِحَةِ الْمُقَرَّبَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَبِهَذَا الْمَضْمُونِ وَرَدَ حَدِيثٌ رَوَاهُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو ذَرِّ الْغِفَارِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَجْهِ الصَّدَقَاتِ إِلَى أَنْ قَالَ ﷺ (وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ) قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيَاتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ ﷺ: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وَزَرَ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ) ^(١).

خبر على رسول الله (ﷺ) أنه قال لأبي ذر لأبي ذر - ضمن وصية جامعة له - : ولك في جماعك زوجتك أجر.. قال أبو ذر: كيف يكون لي أجر في شهوتي؟ .. فقال (ﷺ): : رأيت لو كان لك ولد، فأدرك ورجوت خيره، فمات، أكنت تحتسبه؟ قلت: نعم، فقال: فأنت خلقتة؟ ، قال: بل الله خلقه، قال: فأنت هديته؟ ، قال: بل الله هداه، قال: فأنت ترزقه؟، قال: بل الله كان يرزقه، قال: كذلك فضعه في حلاله، وجنبه حرامه، فإن شاء الله احياه، وإن شاء أماته، ولك أجر.

أفبعد هذا كله يلهو الانسان ويلعب أو يضيع وقته في الأمور التافهة فضلاً عن ان يجرّ على نفسه الويلات بما يجترح من السيئات (رِجَالٌ لَّا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ

(١) صحيح مسلم ٣٣٠ كتاب الزكاة، باب ١٦، ح (١٠٠٦):.

وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ (النور: ٣٧).

الثامن:

انه لا بد للإنسان من اله يعبد فإن لم يكن الله سبحانه هو اله المعبود فسيقع في عبادة الإلهة الأخرى وكفى بذلك ضلالاً لا وخسراناً مبيناً (اخشروا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) (الصفات: ٢٢-٢٣) فما هي هذه الإلهة التي يطيعها الإنسان البعيد عن الله سبحانه لأن معنى العبادة هو الطاعة والانصياع لذا ورد في تحف العقول عن الامام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (من أصغى إلى ناطق فقد عبده) فالذي يطيع نفسه الأمانة بالسوء ويلبي شهواتها فقد اطاعها وعبدها قال تعالى (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (الجاثية: ٢٣) ومن الإلهة الأخرى (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (يس: ٦٠) (اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) (التوبة: ٣١) ، (مَا نَعْبُدُهُمْ - الْأَصْنَامَ - إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (الزمر: ٣٩) ، (إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا) (الأحزاب: ٣٣) ، (إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ) (الأعراف: ١٧٣) فأبي عاقل يرضى بأن يخرج من حصن ولاية الله العظيم وطاعته إلى ولاية هذه التوافه التي لا تملك لنفسها فضلاً عن غيرها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياءً ولا نشورا وفي مقابلهم من أخلص الطاعة لله سبحانه (قُلْ إِنِّي

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٦٧)

أَمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأَمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ
إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي *
فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُمْ مَنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ
ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونَ * وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ
يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ
أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ * أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ
كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تَنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ * لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ
فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ
(الزمر: ١١-٢٠) استمع الى الله سبحانه يحكي لك الحوار الذي سيدور بين
العاصي لله سبحانه وآلهته التي اطاعها من دونه تبارك وتعالى والتي أهمها
النفس الأمارة بالسوء التي وصفها أمير المؤمنين (عليه السلام) في دعاء الصباح (فَيْسَسَ
الْمَطِيئَةَ الَّتِي امْتَطَتْ نَفْسِي مِنْ هَوَاهَا فَوَاهَا لَهَا لِمَا سَوَّاتْ لَهَا ظُنُونُهَا وَمُنَاهَا، وَتَبَّأَ
لَهَا لِحُرَّاتِهَا عَلَى سَيِّدِهَا وَمَوْلَاهَا) وفي دعاء آخر (وَتَجَعَّلَنِي عِنْدَكَ أَهْوَى هَالِكِ)
(وَأَزَلَفْتَ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ * وَبَرَزْتَ الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ
تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ * فَكُبِّكِبُوا فِيهَا هُمْ
وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودٌ إِنْ لَيْسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا
لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا
لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ

في ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (الشعراء: ٩٠-١٠٣) وهم كاذبون في هذه الدعوى قال تعالى (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) (الأنعام: ٢٨).

هذا الاعتزاز والسمو بعبادة الله سبحانه ونبذ ما سواه هو ما عبّر عنه أمير المؤمنين (عليه السلام) (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً، إلهي أنت لي كما أحب فوفقني لما تحب)^(١) .

والمفارقة الصارخة التي تجعل هؤلاء العصاة يدسون رؤوسهم في التراب ان تكاليف عبادة ما سوى الله سبحانه هي أضعاف تكاليف عبادة الله سبحانه بغض النظر عن العقوبة^(٢) في الآخرة فالمرأة المحجبة لا تحتاج إلى أزيد من غطاء لرأسها وازار لجسمها بينما السافرة تحتاج ان تشتري انواع البدلات و الثياب لأن (الاتيكيت) لا يرضى لها ان تثبت على لباس واحد و ان تصفف شعرها على أحدث الموديلات و ان تضع انواع المساحيق والعطور وأدوات التجميل وغيرها من المستلزمات لهذا العرف الشيطاني من حقائب وأحذية والآت الزينة و الغرب الكافر حينما جرّ مجتمعنا الإسلامي إلى هذا الوضع المنحدر لم ينظر إلى هزيمة ديننا و اخلاقنا ونظامنا الاجتماعي المتماسك بل استهدف أيضاً إلى الجانب الاقتصادي حيث أصبحت بلادنا سوقاً رائجة لتصريف منتجاته الشيطانية.

هذا مثال على الصعيد الفردي ومثال آخر على الصعيد الاجتماعي مثل الأمة

(١) بحار الأنوار: ج ٩١ / ص ٩٤

(٢) لبيان تفصيل هذه الفكرة راجع تفسير قوله تعالى: (فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً)، موسوعة خطاب المرحلة ج ١٠ / ص ٧٣ ، من نور القرآن ج ٣ / ص ٣٦٩.

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٦٩)

قد تحتاج إلى تقديم عدد معين من الضحايا والقرايين لنيل حريتها وكرامتها وشرفها لكن تخضع وتستكين للذل وتقاعس عن اداء الواجب فتدفع أضعاف ذلك العدد وهي على ما هي عليه من الهوان والضيعة فالإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) عندما طلب من الأمة ان تقول كلمة الحق في وجه يزيد وتقف في وجه انحرافاته ولو كلفها بعض التضحيات ولمّا أخذت إلى الأرض وتعلقت بالدنيا وتشبت بها وبخلت على الله تعالى بالقرايين اذاقها الذل والهوان كما حذرهم الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) (سَلِّطْ عَلَيْكُمْ شُرَاكِمَ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ) ودفعوا في وقعة واحدة هي واقعة الحرة: عشرة الاف انسان. وهذه سنة الله سبحانه جارية في الأمم جميعاً.

فهؤلاء البعيدون عن الله سبحانه انما يلهثون وراء سراب (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (النور: ٣٩).

التاسع:

نقول له: ماذا يخسر الانسان لو اطاع الله سبحانه؟! لا يخسر شيئاً بل هو يعيش ويتمتع بالحياة كما يفعل البعيد عن الله سبحانه وفوق ذلك له المكاسب الدنيوية والأخروية التي يحققها له الايمان بالله سبحانه والسير على شريعته، قال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (الأعراف: ٣٢) وفي آية أخرى (وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ) (النساء: ١٠٤).

وقد اتبع هذا الاسلوب الامام الصادق (عليه السلام) حين قال لابن ابي العوجاء:
- وهو من زعماء الملحدين - : في موسم الحج وكان يسخر من الطواف حول
الكعبة (إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون يعني أهل
الطواف فقد سلموا وعطبتهم، وإن يكن الأمر على ما تقولون وليس كما تقولون
فقد استويتهم وهم)^(١). وهو اسلوب لا يستطيع ان يرفضه اي عاقل.

العاشر:

أنه لو خُيِّرَتَ بأنك هل تريد أن تدخل في تجارة تعطي فيها ديناراً فيردّ عليك بسبعمئة دينار والله يضاعف لمن يشاء فتصلي خمس صلوات في اليوم وتصوم شهراً في السنة وتحج مرة في العمر إن استطعت وتجنب الخمر والخنزير والزنا والسرقة لمدة سبعين سنة مقابل ان يدخلك الله جنة عرضها السماوات والأرض تجد فيها كل ما تشتهي حاضراً عندك من دون عناء ولا منغصات خالداً فيها وان تلك الحياة الدنيا لا تشكّل الا جزءاً يسيراً من الحياة الخالدة (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) (الحج: ٢٢) فأبي عاقل لا يرضى بهذه المعاوضة فيعطي التراب ويأخذ الذهب؟ كلنا عرض علينا هذا الأمر فوافقنا عليه وأخذ الله سبحانه منّا العهود والمواثيق على الالتزام بهذا العهد فلما خرجنا إلى الدنيا نسيناه (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا

(١) بحار الأنوار: ج ٣ / ٤٣ عن كتاب التوحيد للصدوق: ١٢٥ باب ٩ ح ٤.

فلنرجع الى الله تبارك وتعالى (٤٧١)

إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ
(الأعراف: ١٧٢-١٧٣).

الحادي عشر:

ان حقيقة يجب أن نصدق بها ونعيشها في وجداننا وهي ان الله تعالى معنا أينما كنا من حيث الزمان أو المكان وفي مختلف أحوالنا (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الحديد: ٤) وانه كما وصف تعالى (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (ق: ٥٠) ويعلم كل شيئاً عنا (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) (الأنعام: ٣)، (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) (آل عمران: ٥).

وامام هذه الحقيقة الدامغة لا يسعنا الا ان نلتزم بآداب العبودية بين يدي الخالق العظيم في جميع أحوالنا، ومن وصايا النبي (ﷺ) لأبي ذر (رضوان الله تعالى عليه) ((أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك))^(١).

الثاني عشر:

إن كل ما عندنا من مال وجاه وبنين وصحة واستقرار وسائر النعم الأخرى التي لا تعد ولا تحصى (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) (النحل: ١٨) هي مما أفاضه الله تعالى على عبده (وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ) (النحل: ٥٣).

واي عاقل يرى أن من غير الانصاف أن تقابل هذه النعم بالمعاصي والتمرد بل بالشكر والعمل بطاعة الله تعالى، وإذا أصرَّ العبد على المعاصي فليرجع هذه النعم إلى خالقه وليعص الله بأدوات من صنعه إن قدر على ذلك، لكنه سوف لا يملك شيئاً يعصي به الله تعالى لأن كل ما عنده من الله تعالى وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فكيف يعصيه إذن وبهذا المعنى ورد الحديث القدسي (من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي فليعبد رباً سوائى، وليخرج من أرضي وسماي)^(١) .

الفهرس

- ٣ (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ).....
- ١١ (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) أَحِبُّوا اللَّهَ تَعَالَى وَحِبُّوا اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَيُحِبُّكُمْ.....
- ٢٨ (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) مَوْجِبَاتِ الرَّحْمَةِ الإِلهِيَةِ.....
- ٣٧ (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) نَبْذِ الْإِلهَةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى.....
- ٤٤ [فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ].....
- ٥١ (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) مَوْجِبَاتِ الْفَرَحِ الْحَقِيقِيِّ.....
- ٥٧ (وَذَكَرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ).....
- ٦١ (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ).....
- ٧١ (هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ).....
- (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ) تَأْسِيسِ بِنَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى
- التقوى ٧٦
- (وَلْيَعْبُوا وَيُصْنَفُوا أَلَّا تُحِبُّوا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ)..... ٨٦
- (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) الصَّنَاعَةُ الإِلهِيَةُ لِلْإِنْسَانِ ٩١
- (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)..... ٩٨

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) الإيمان لا يتحقق إلا بتحكيم شريعة الله

تعالى ١٠٥

(وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) ١١٨

تعرضوا لنفحات ربكم ١٢٧

(وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) ١٣٥

(لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا) ١٤٦

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ) الحل والعلاج في العودة

إلى الله تبارك وتعالى ١٥٢

(وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) ١٦٠

(وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ) نستشعر الرقابة الإلهية ١٦٤

(وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ) (الانسان: ٨) ١٦٨

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) ١٧٧

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) أهم قضايانا: أن نستحضر الله تعالى

في وجداننا ١٩١

(إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ) الاستعداد للموت:

علامة صدق الإيمان ١٩٥

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) صلاة الليل

وسيلة الإعداد لتحمل المسؤوليات الكبيرة ونيل المقامات الرفيعة ٢٠٤

- (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) ذكر الله تعالى عند الطاعة والمعصية ٢١٢
- (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا) العطاء في سبيل الله تعالى غنيمة وليس خسارة ٢١٦
- (اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ) ٢٢١
- (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) لتكن لنا مشاركة في تحقيق الهدف الإلهي العظيم ٢٢٣
- (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (آل عمران: ١٩) ٢٢٩
- (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) المعية الإلهية ... الثمرات والمراتب ٢٣٨
- (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) ٢٤٥
- (وَإِذَا يَنْزَغُوكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) الاستعاذة بالله تعالى من شياطين الجن والانس ٢٥١
- (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ) ٢٥٩
- (وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَن يُاتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) السيدة الزهراء (عليها السلام) تدعو إلى الرجوع إلى الله تعالى والانقياد له ٢٦٤
- (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) كن عند المنكسرة قلوبهم .. ٢٧٣
- (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) ٢٧٦
- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) ٢٨١

- (فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً) من لا يقدم ما عليه في طاعة الله تعالى يعطي أكثر منه في معصيته ٢٨٨
- (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) ٢٩٧
- أما الأحاديث الشريفة فقد ورد فيها الشيء الكثير: - ٣٠٥
- (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ) ٣١٤
- (ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِنِ) ٣٢٣
- (أَخْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ) ذنوب قلما نلتفت إليها ٣٣٥
- (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) الاستقامة ٣٤٢
- (لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) معنى إستغفار المعصومين عليهم السلام .. ٣٥٥
- (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد ٣٦٦
- (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) الدعاء: فضله وظروف استجابته ٤٠٠
- (وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَأِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) لا يستعبدكم غيركم وقد أرادكم الله أحراراً ٤١٠
- (وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا) بم تتحقق السعادة؟ ٤١٥
- (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ) محطة من حياة رسول الله ﷺ (اليومية) . ٤٣٠
- (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) فلنرجع الى الله تبارك وتعالى ٤٣٥
- الفهرس ٤٧٣